

دراسات حول المدينة المنورة

(١٠)

وإهداء

عمر بن إبراهيم البري

من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

تحقيق وتقديم

الدكتور محمد العبدان الخطراوي

مكتبة دار التراث

المدنة المنورة - ص.ب ١٦٤٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٥٥٥
عمر بن ابراهيم البرقي
من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

حقوق الطبع محفوظة للمحقق
الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

أسرة الشاعر:

ينتسب شاعرنا إلى آل البري، وهم من الأسر الكبيرة التي جمعت في المدينة بين العراقة في النسب والعراقة في العلم.

أما من حيث النسب فقد أشار الأنصاري^(١) إلى أن نسب هذه الأسرة حسبما ذكره له بعض أفرادها، يرجع إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه، استوطن رجالها الأواثل قرية فُرَيانة (بضم الفاء وتشديد الراء مكسورة) بتونس، وهي الآن تنطق بكسر الفاء وسكون الراء.

وأول من سكن منهم المدينة الشيخ أحمد المغربي المالكي، وذلك في حدود سنة ٩٠٠ هـ وكان عالماً فاضلاً متبحراً في الفقه المالكي، ولذلك أسند له فيها قضاء المالكية، حيث كان في المدينة لذلك العهد قاض خاص لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وكانت وفاته بها سنة ٩٧٠ هـ بعد أن بلغ عمره المائة.

ولكنني حصلت في الآونة الأخيرة من أحد أفراد هذه الأسرة وهو الأستاذ أمين محمد البري على قُرْمِيَّة^(٢) خاصة بنسب هذه الأسرة تؤكد

(١) تحفة المحبين والأصحاب - عبد الرحمن بن عبد الكريم الأنصاري ص ٩١،

تحقيق العروسي المطوي - ط ١ تونس ١٣٩٠ هـ.

(٢) قُرْمِيَّة: شجرة نسب.

أن جدهم المهاجر إلى المدينة هو الشيخ عبد البر البري المالكي المغربي، وذلك سنة ستمائة واثنين وسبعين من الهجرة. وهذا نصها:

هذه قرمية تتضمن نسب السادة الخطباء البريين المجاورين لسيد الخلق أجمعين، المتصل نسبهم إلى سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه، آمين. حررها الهمام الأمجد، الكامل الأوحد، الخطيب صالح البري بن المرحوم الخطيب محمد بن المرحوم الخطيب إبراهيم بن المرحوم الخطيب أحمد بن المرحوم الخطيب محمد بن العالم العلامة، مدرس الحرمين الشريفين، مفتي بلدة طه وياسين رحمته، الخطيب إبراهيم البري الحنفي، بن الخطيب عبد الله بن الخطيب أحمد الحنفي بن الخطيب عبد الله بن أبي السرور بن الخطيب أبي اللطف بن الخطيب عبد الله بن الخطيب يحيى البري ابن المرحوم الشيخ الفاضل، الكامل العالم العلامة الشيخ عبد البر البري المالكي المغربي التونسي، المهاجر لقبر^(١) سيد الخلق أجمعين، جاء من تونس إلى المدينة المنورة سنة ٦٧٢ ستمائة واثنين وسبعين من الهجرة النبوية.

وهذا الشيخ عبد البر: ابن علي بن محمد بن عبيد الله بن صالح بن سالم بن عمر بن أحمد بن حماد بن ناصر بن نصار بن ثابت بن حماد بن قاسم بن عباد بن محمد بن عبد الله بن عمر الشهير بعباد بن معمر بن حماد الأكبر بن يحيى بن عثمان بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن إبراهيم بن محمد (ابن الحنفية) بن الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه ورضي عنه وعن كل الصحابة أجمعين،

(١) هكذا في الأصل، والهجرة إنما تكون إلى المدينة لا إلى قبر الرسول ﷺ.

آمين. انتهى. نقلت هذه من نسخة منقولة من قرمية الأصل، في اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك سنة خمس عشرة وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. يقول كاتبها الفقير إلى رحمة ربه القدير محمد عمر بن الشيخ الفاضل المكرم إبراهيم بن الفاضل عبد القادر بن العلامة الأديب المفضل مفتي المدينة المنورة الشيخ عمر البري بن العلامة الإمام الشيخ إبراهيم البري نائب القاضي بالمدينة المنورة بن محمد البري المدني الحنفي، عامل الله الجميع والمسلمين جميعاً بلطفه الخفي، وكان نسخي لها من الصورة المشروحة في اليوم الموافق سلخ جمادى الأولى لسنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وألف. اللهم اغفر لكاتبها وقارئها وسامعها والمسلمين أجمعين.

وفي آخر هذا الصك كتب بشكل منفصل في أسلوب تحشية، ما يلي:

الكلام على الخطيب المرحوم محمد البري والد الخطيب صالح البري المحرر لهذه النسبة الجليلة، أبنائه محمد أمين البري وصالح البري المذكور وعمر البري. محمد أمين البري المذكور ابنه حمزة، ابنه عباس. صالح لم يعقب سوى بنت ماتت بعده. عمر البري المذكور ابنه معتوق البري. أدام الله نسلهم إلى يوم الدين، آمين.

ومكتوب في حاشية الصك بخط دقيق مغاير:

سجلت صحة شرعية ثبوت كون عبد الرؤوف بن عارف البري هو من العرب الهاشميين ومن أولاد محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب.

فعلى مقتضى هذه القرمية تكون أسرة آل البري استقرت في المدينة المنورة منذ أكثر من سبعة قرون وبعد سقوط بغداد على يد التتر المغول بست عشرة سنة. وعلى قول الأنصاري يكونون قد نيفوا فيها على خمسة قرون. وفي كلتا الحالتين تثبت لهم عراقاة الثالثة في هذا البلد، تتمثل في بعد العهد وأصالة الجذور.

وأما العراقاة العلمية فإن كتب التواريخ تحدثنا عن عدد كبير من رجالات هذه الأسرة، الذين أقبلوا على مدارس العلم وتدرسه بالمسجد النبوي، مما جعل الكثيرين منهم يتولون المناصب العلمية والوظيفية بالمدينة، كالإمامة والقضاء والإفتاء وغيرها، ومن هؤلاء^(١):

١ - عبد القادر بن القاضي أحمد البري، وقد تولى مثل والده قضاء المالكية.

٢ - علي بن عبد القادر البري. وتولى تدريس المالكية من وقف السلطان مراد خان.

٣ - عبد البر بن القاضي أحمد البري. وكان عالماً فاضلاً، اختاره أهل المدينة في مهمة لهم لدى الدولة العلية، فأرسلوه رسولاً عنهم إلى إسلامبول، فتوفي في طريقه إليها بالشام سنة ٩٨٧ هـ وفيه انحصر نسب آل البري الحاليين.

٤ - محمد بن عبد البر البري، تمذهب بالمذهب الحنفي، وتولى الإمامة في المسجد النبوي والخطابة فيه بالنيابة سنة ٩٩٢ هـ ثم بالأصالة سنة ٩٩٤ هـ، وكان يكنى بأبي اللطف.

(١) انظر تحفة المحبين.

٥ - أحمد بن عبد البر البري . وتولى منصب أمين بيت المال .

٦ - أحمد بن عبد الله بن أبي اللطف محمد . كان أحد أعيان العلماء الأحناف بالمدينة ، تولى الإمامة والخطابة والتدريس بالمسجد النبوي ، وكان إلى جانب ذلك أديباً شاعراً عالماً بالأخبار ، ولد سنة ١٠١٠ هـ ودرس على علماء المدينة ثم رحل إلى مكة ودرس على جمع من علمائها وحصل منهم على إجازات تشهد بعلمه وفضله ، ومن مشائخه فيها : العلامة عبد الملك العصامي ، والشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي .

ولما وصل القاضي تاج الدين المالكي المكي للمدينة سنة ١٠٤٥ هـ ومدح أهلها بهذه الأبيات وهي :

يا ساكني طيبةً فخرًا فقد	طابت فروع منكم والأصولُ
وآية الأنصار فيكم سرتُ	كأنما المقصود منها الشمولُ
تُصفون محض الود من جاءكم	فما عسى مادحكم أن يقول
وليُهنكم ما قد خُصصتم به	فيالها خصيصة لا تزول
جاورتُم المختار خيرَ الوري	وفزتُم في سوحه بالحلول

أجابه صاحبنا أحمد البري فقال :

أعظم بأهل الركن من سادة	في مفرق العلياء جرؤا الذيولُ
جيران بيت الله قدرهمُ	تحرار في درك مداه العقولُ
بمكة حلُّوا فحلُّوا بها	جيد المعالي حليَّة لا تزولُ
من مثلهُم والفضل حق لهمُ	ومنهمُ التاج إمام النقولُ
رئيسُ هذا العصر من جلة	سماذع ، غرُّ كرام ، فحولُ
أكرمُ به إذ قال من أجلنا :	طابت فروع منكم والأصولُ

وآية الأنصار فيكم سرت. لكنني بالإذن منكم أقول:
يا نخبة الأنصار منكم لنا حتى شهدتم وصفكم لا يحول
وأنتم جيران ذاك الحمى والآن أنتم في جوار الرسول
جمعتم فضلاً إلى فضلكم فسدتم الناس، وحق المقول
فالله رب العرش سبحانه يوليكم الحسنى وحسن القبول
حتى توافوا القصد في نعمة ترى، وعمر في سرور يطول
ودولة الأفضال تسمو بكم وتزدهي طوراً، وطوراً تصول
ما غردت ورقاء في دوحة غنا، وغنت حين طاب الدخول

وأورد الشيخ أحمد إبراهيم السمان^(١) مخمساً لشاعر من آل
البري عبّر عنه (بشيخنا)، لعله صاحبنا هذا فقال: من شعر الأفندي
خطيب المسجد النبوي الشريف وإمامه: الشيخ أحمد بن السيد عبد
الله البري المدني، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته:

يا خليلي خليلاني، ورؤحاً واشهدا الدمع في الجفون صريحا
قلت للعاذل المعذب روحاً: دع جفوني، يحق لي أن تبوحا
لم تدع لي الذنوب قلباً صحيحاً

زاد همي، وهمتي في انتقاصي ويرى القلب هول يوم القصاص
ويح نفسي، ما حيلتي في خلاصي؟ أخلقت بهجتي أكف المعاصي
ونعاني المشيب نعيأ فصيحاً

من مغيثي من فرط غم وكرب وقصور في حفظ بيتٍ لرَبِّ
حرتُ والله، أدركوني بطب كَلِمَا قلت: قد برى جرح قلبي
عاد قلبي من الذنوب جريحاً

(١) نماذج واللوان من تراث أدبائنا وشعرائنا في المدينة المنورة - جمع أحمد إبراهيم
السمان - ص ٢٧، الطبعة الأولى - سنة ١٤٠٤ هـ.

يا إلهي، امننْ عليَّ بجدٍّ وأمانٍ من هول عَرْضِ الدُّ
ونعيمِ ألقاه في بطنٍ لحدٍ إنما الفوز والنعيم لعبدٍ
جاء في الحشر آمناً مستريحاً

وتوفي سنة ١٠٩٢ هـ ودفن بالبقيع فرثاه كثير من الشعراء، منهم
تلميذه أحمد بن إبراهيم الخياري، فإنه رثاه بقصيدة طويلة أرخ فيها
وفاته على طريقة القدماء بقوله: (مات الخطيب) منها:

فجأ الأنام جميعهم خطب ألم بهم عجب
ومصيبة قد أوجبت للطفل فيها أن يشيب
ورزية عظمت بدا ر المصطفى طه الحبيب
فقد الإمام الحافظ ال علامة الشهم الخطيب
فأجبتهم متأوهاً بلسان محزون كئيب:
زل أول الأعداد من تاريخه لتكن مصيب
واسمع فقد وافى لنا تاريخه: مات الخطيب^(١)

٧ - إبراهيم بن أحمد البري، المولود سنة ١٠٥٠ هـ كان عالماً
فاضلاً، وتولى نيابة القضاء سنة ١١٠٢ هـ، كما تولى إفتاء
الحنفية سنة ١١٠٤ هـ.

٨ - محمد بن إبراهيم بن أحمد البري، الحنفي، المولود سنة
١٠٨٠ هـ، أخذ العلم عن والده المتقدم الشيخ إبراهيم، وعن
مُلاً إبراهيم بن حسن الكوراني، والسيد محمد بن عبد الرسول
البرزنجي، وغيرهم من العلماء الذين كانت حلقاتهم تزحم
المسجد النبوي في عهده، كان من وجوه آل البري علماً

(١) خلاصة الأثر ١: ٢٣٠.

وصلاحاً، ذا هيبة ووقار، وتولى الإمامة بالمسجد النبوي وصار شيخ الخطباء فيه مدة طويلة ثم تنحى عنها وتفرغ للتدريس، وقام بجمع فتاوى والده، وكانت وفاته سنة ١١٥٧ هـ^(١).

٩ - يحيى بن إبراهيم بن أحمد البري (١٠٨٥ - ١١٣٨ هـ) تولى الخطابة، وكان أديباً صاحب مكارم، أنشأ داراً كبيرة جعلها منتدى لأصحابه من أهل العلم والفضل والأدب، وقد أرخ عمارتها شيخه أحمد أفندي المدرس بقوله: (بناء مجد شاده يحيى الخطيب)^(٢).

١٠ - عبد الله بن إبراهيم البري، الحنفي، ولد سنة ١٠٨٣ هـ، ودرس على مجموعة من الشيوخ منهم والده، ويوسف أفندي الشرواني، والجمال عبد الله بن سالم البصري، والشيخ محمد أبو الطاهر بن إبراهيم الكوراني، وأبو الطيب السندي. ونبغ في الخطابة بالحرم الشريف وتميز فيها حتى كان لا يطلق الخطيب في وقته إلا عليه. وكتب كثيراً من الكتب بخطه، منها: حاشية شيخه أبي الطيب السندي على «الدر المختار»، وشرح التسهيل لابن عقيل، والفتوى الغياثية وغيرها. . ومات سنة ١١٧٥ هـ ودفن بالبقيع^(٣).

١١ - عبد الله بن يحيى بن إبراهيم البري. كان عالماً فاضلاً متفوقاً،

(١) سلك الدرر ٤ : ١٦ وفي التحفة ولادته سنة ١٠٨٣ هـ، وهي في الحقيقة سنة

ولادة أخيه عبد الله الآتي في رقم (١٠).

(٢) تحفة المحبين ص ٩٥، وسلك الدرر ١ : ١٤٨.

(٣) سلك الدرر ٣ : ٨٢.

أخذ العلم في الغالب عن والده يحيى وعميه محمد وعبد الله
وغيرهم من الشيوخ، وكان يتعاطى نظم الشعر، ومن ذلك قوله:

ما عذب قلبي وما أثار به النار إلاك يا من يفوق ضوء الأقمار
كم أسهد طرفي لذا تزايد وجدي بالسقم فحسي من المحبة أقدار
يا مالك قلبي ومن تحكم فيه رفقا بمحب سوى جمالك ما اختار
أواه إلى كم أبيت منك بقلب في الناس وحق الهوى تلهب بالنار
لو شمت غرامي لجدت لي بمرامي يا براء سقامي ولم تزدني أضرار
من لي بغزال إذا بدا كهلال قد صاد فؤادي ولم يُنلني أوطار
دع عنك عذابي ولا تمل لبعادي يا كل مرادي، ويا نزيهة أبصار
ناهيك بأني إذا أطلت صدودي سلسلت دموعي خدودي أنهار

وهذا الوزن من بحر السلسلة، ووزنه: (فعلن فعِلن فعو فعِلاتن)
كما ذكره السيد كبريت والسيوطي ورشيد الدين الأسواني في شرح
مقامته (الحصيبة)^(١).

وفي مطلع العهد السعودي الزاهر التحق كثير منهم بالوظائف
الحكومية مثل كتابة العدل والتدريس في المسجد النبوي، ويسهم
أبنائهم وأحفادهم اليوم في العمل بالجامعات والخارجية والصحة وفي
كل شأن من شؤون الحياة العامة والخاصة، ولا تزال أسرهم تعد من
أكبر الأسر بالمدينة.

* * *

(١) حلية البشر ٢: ١٠١٩.

هذا الديوان :

قصائد هذا الديوان لم ينشر منها في حياة صاحبها إلا الأقل من القليل ، وذلك في جريدة (المدينة) قبل أن تنتقل إدارتها ومطبعتها إلى جدة ، ولذلك يمكننا أن نعتبر تلك القصائد المنشورة - على قلتها - نهائية الصيغة ، أي أن صاحبها حين هيأها للنشر وضعها في الشكل النهائي الذي ارتضاه لها من نفسه ، وهي بالتالي على هذا النحو صالحة لأن يعتمد عليها الباحث في الحكم على مستواه الفني والشعري على وجه من الوجوه ، لكن القصائد التي لم تنشر - وهي الأكثر كما قلنا - لا تستطيع في اعتقادنا أن تبلغ هذه الدرجة في تمثيله ، وإن لم تخل من دلالات أكيدة في رسم معالم شخصيته الشعرية ، ذلك أن المجموع الذي بين أيدينا ، والذي اعتمدت عليه في صنع الديوان ، هو بخط ابنه الأكبر عبد الكريم - كما أفاد حفيد الشاعر^(١) ، وعبد الكريم - رحمه الله - كان رجلاً محدود الثقافة ، لا علاقة له بالشعر ، دفعه وفاؤه لوالده إلى جمع قصائده المبعثرة وضماها في مجموع مقروء ، دون أي التزام زمني أو موضوعي ، ودون تفريق بين غث وسمين ، وقد تكون بعض الألفاظ سقطت منه في أثناء

(١) هو عبد المجيد عبد الكريم عمر بري .

التبييض، أو لم يستطع قراءتها فترك مكانها بياضاً، أو استبدل بها غيرها، مما جعل بعض الأبيات مضطربة الأوزان، لأننا من خلال تواريخ القصائد نستبعد أن يكون ذلك الاضطراب من الشاعر، لكونها ليست في مرحلة بدايته الشعرية.

وعلى كل حال، لم تكن رحلتي مع الديوان يسيرة سهلة، بل على العكس تماماً كان فيها كثير من العنت والجهد، ولولا شيء من صبر وجلد، ثم إيمان مني واقتناع بوجود خدمة هذا البلد المبارك - المدينة المنورة - في كل ما يتصل بترائه التاريخي والأدبي والحضاري، ومن ثم الإسهام في إثراء الحركة الأدبية في مملكتنا الحبيبة بعامة، لما استطعت صنعه وإخراجه إلى الوجود.

بدأ ذلك الجهد منذ سنوات عديدة، متمثلاً في الجري وراء أبنائه وأحفاده للحصول على الديوان، فقد كانوا يعتزون به إلى درجة الضن، ولولا أنهم كانوا في يوم من الأيام من تلاميذي لما مكنوني من نسخه والعمل فيه، لأن نسخته يتيمة يخشون عليها الضياع، ولأن فيه روائع والدهم الشاعر الكبير، فأنا أشكر لهم هذه الثقة الكريمة، وأرجو أن أكون أحسنت تقديم شعره إلى جمهور القارئ.

ويمكن أن أخص عملي في الديوان فيما يلي:

١ - قمت بكتابة نسخة من الديوان بخط يدي، كنت أقف فيها عند كل كلمة أو بيت متحققاً مثبتاً، وما تعذر عليّ من ذلك حاولت أن أصل به إلى أقرب صورة راجحة.

٢ - صحيح أنني لم أرو الديوان عن صاحبه مشافهة، ولم أقم بجمعه

من بطون الكتب والمجلات، أو من شفاه الرجال، بل كان وصوله لي وجادة، ولكنني أدعي مع ذلك أنني صانعه بوجه آخر، لأنني قمت بإزالة الكلف عن وجهه، وتنقيته من كل ما يشينه من أخطاء نحوية أو صرفية أو عروضية، وأعطيت لنفسي الحق من أجل تحقيق هذا الغرض في تغيير بعض الكلمات وإقامة بعض الأوزان، وما استعصى عليّ من الأبيات في ذلك، ولم يكن للتمسك به كبير فائدة - وهو قليل على كل حال - أجزت لنفسي حذفه، ولم أعتبر ذلك مخالفاً للأمانة العلمية أو أصول التحقيق، لاستبعاد نسبة تلك الأخطاء إلى الشاعر، فقد كان معروفاً بين أقرانه بالإلمام الجيد بالنحو والصرف والعروض، بل ودرّس هذه العلوم، وله فيها تلاميذ، فرجحت أن تكون من كتاب شعره ورواته.

ولست بدعاً في إجراء مثل هذه التغييرات اليسيرة التي هي بمثابة ترميم القطعة الأثرية لتحفظ بجمالها وروائها، أو تعزيز مخطوطة هرمة لتقرأ، وتستعين على عوادي الأيام، وقد فعل ذلك قبلي أبو تمام في اختياراته لديوان الحماسة. يقول أحمد أمين في تصدير طبعته لشرح الحماسة بالاشتراك مع عبد السلام هارون: ففي الحق أن اختيار أبي تمام كان اختياراً موفقاً، لأن جامعته شاعر ممتاز، مكّنه شعره من أن يختار أحسن ما تقع عليه عينه، وما تسمعه أذنه، وهو إلى جانب ذلك شاعر كبير من شعراء المعاني، فكان هذا أيضاً محور اختياره، ولذلك فقد يقرأ القصيدة الطويلة كلها، فيعجبه منها معنى أو معنيان، فيختارهما من بين القصيدة الطويلة. وإذا لم يكن بينهما رابط ربط بينهما، وإذا

كانت هناك كلمة نابية غيرها بخير منها، فكان مختاراً ومنقحاً في وقت واحد^(١).

ويقول المرزوقي في مقدمة شرحه للحماسة: وجمع ما يوافق نظمهُ ويخالفه، لأن ضروب الاختيار لم تخفَ عليه، وطرق الإحسان والاستحسان لم تستر عنه، حتى إنك تراه ينتهي إلى البيت الجيد فيه لفظة تشينه، فيجبرُ نقيصته من عنده، ويبدلُ الكلمة بأختها في نقده، وهذا يبين لمن رجع إلى دواوينهم، فقابل ما في اختياره بها^(٢).

وقال عبد السلام هارون في مقدمة التحقيق أيضاً: وهذه التهمة تهمة أبي تمام بتغيير النصوص التي اختارها، والتي يدعمها المرزوقي في أثناء شرحه، بما يظهرها ويقوّيها، كان جديراً بها أن تنزل بقيمة الحماسة، باعتبارها نصوصاً يستشهد بها في علوم اللغة والعربية، ولكننا نجد العلماء مجمعين على تركية أبي تمام في الحماسة، وعلى تركية الحماسة ونصوصها، بل يعدون صنيعه في الحماسة داعية إلى الوثوق بشعر أبي تمام نفسه والاستشهاد بشعره^(٣).

على أنني أبقيت من تلك الأخطاء ما اعتقدت صدوره منه، ووقعه فيه. ثم قسمت قصائد الديوان إلى مجموعات أربع رتبته على النحو التالي:

(١) مقدمة تحقيق ديوان الحماسة ص ٣.

(٢) مقدمة الشرح ص ١٣ - ١٤.

(٣) مقدمة التحقيق ص ٩.

أ- وجدانيات وإخوانيات :

وهي تجمع ما قاله في المناسبات الإخوانية المختلفة،
كمناسبات الزواج والحفلات العادية، وما نظمه في مدح مشائخه
وبعض أطبائه وأصدقائه، كما يضم ما كتبه تعبيراً عن أحاسيسه
حول بعض المعاني والمواقف المختلفة. وبلغ مجموع ذلك سبعاً
وخمسين قطعة بين قصيدة ومقطوعة.

ب - تاريخيات :

بدأتها بقصيدة مدح بها الرسول ﷺ، ثم بمقطوعة ودع بها
العهد العثماني بالحجاز، ومجموعة من القصائد التي تعامل بها
مع العهد الهاشمي، ثم قصائد متنوعة امتدح بها جماعة من أمراء
الهنود وبعض الوجهاء الذين كانوا يزورون المدينة المنورة، أو
يجتمع بهم في مواسم الحج المختلفة، وأكثرهم كانوا من ذوي
اليسار ومن أصحاب الفضل والجدوى عليه، وهكذا بلغت هذه
المجموعة أربعاً وعشرين قصيدة، ومقطوعة واحدة.

ج - غزليات :

وأول ما يلحظ في هذه المجموعة أن أغلبها كان من الغزل
الصناعي، الذي يقصد منه إلى التفنن وإظهار البراعة وإثبات
القدرة الشعرية، وفي مقدمة بعضها ذكر أنه نظم القصيدة بناء
على طلب أحد لداته من أفراد أسرته، ولكن هذا لم يكن يمنعه
من تمثيل التجربة وتقمّص شخصية العاشق الحقيقي. والملحوظة
الثانية أن بعض هذا الغزل لم يزد عن كونه تشطيراً أو تخميساً
لآبيات بعض الشعراء القدامى، دفعه إليه استحسانه لشعرهم

وإعجابه بهم، وتمثل هذه الغزليات في شعره ثلاثاً وستين قطعة
ما بين قصيدة ومقطوعة.

د - سعوديات :

وهي عبارة عن ست وثلاثين قصيدة، ومقطوعة واحدة، وقد
شملت مدحه لجلالة المغفور له الملك عبد العزيز، ثم الملك
سعود في أثناء ولايته للعهد، وفي أيام حكمه الأولى، وكذلك
مدحه لأصحاب السمو: الأمير محمد بن عبد العزيز، والأمير
منصور بن عبد العزيز، والأمير طلال بن عبد العزيز، والملك
فيصل حين كان نائباً عاماً على الحجاز، وشملت أيضاً مدحه
لرجال آخرين كانوا ذوي شأن في حياة الشاعر الخاصة، وذوي
مكانة عامة في الحكم أو الحياة السياسية في الدولة.

٣ - تعمدت حذف بعض القصائد والمقطوعات، وذلك لاضطراب
أوزانها أو لتفكك عباراتها، أو لكونها غزلاً لا يمكن التحايل
لنشره، لدخوله في باب الأسرار الشخصية الخاصة جداً، ولا ضير
البتة على الشعر والشاعر إن نحن حذفنا تلك القصائد من هذا
الديوان وإلى الأبد، فإنه لا يليق بنا أن نسيء إلى الأموات أو أن
نتعرض لكشف العورات، كما لا يجدر بنا أن ننقل عن الناس ما
لا ينبغي أن ينقل، أو نقول عنهم ما لا يقال.

ملاحم من الحياة العلمية والثقافية في عصر صاحب الديوان

ولد شاعرنا الشيخ عمر بن إبراهيم البري سنة ١٣٠٩ هـ، وتوفي سنة ١٣٧٨ هـ، ومعنى هذا أنه عاش تسعة وستين عاماً، وأنه شاعر مخضرم بين ثلاثة عهود تعاقبت على حكم الحجاز، هي: آخر العهد العثماني الذي انتهى بسنة ١٣٣٤ هـ، وكل العهد الهاشمي الذي انتهى في المدينة بـ ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ، والعهد السعودي الذي امتدت به الحياة فيه ٣٤ عاماً.

وعلى الرغم مما ساد هذه الفترة من اضطراب في الأمن ونزوع إلى الفتنة، وازدراء من الأتراك وبخاصة من الاتحاديين، لكل شعوب الدولة العثمانية من غير الأتراك، في أسلوب عنصري بغيض، رافقته حملة منظمة للتتريك، بالرغم من كل ذلك فإن المدينة دخلتها بعض عناصر التحديث من وسائل الحضارة، كالبرق والهاتف وسكة الحديد، ونعمت بقدر من العلم والثقافة كان يمكن أن يؤتي ثماره لو لقي جهوداً كافية من التعهد والرعاية، ولو لم تقف في طريقه كثير من المعوقات والمبطلات.

وكانت ركائز العلم والثقافة في ذلك العهد قائمة على:

أ - الكتاتيب:

كانت الكتاتيب هي أول جهة دراسية يتجه إليها الأطفال، فما أن يبلغوا سن الخامسة حتى يلتحقوا بها، ليتعلموا فيها القراءة والكتابة، فإذا أتقنوها شرعوا في حفظ القرآن الكريم، وذلك بوساطة الألواح، التي كان يتم طلاؤها بالمدرة الأبيض بعد غسلها بالماء، لتصبح بعد جفافها صالحة للكتابة عليها. وعندما تتقدم بهم السن قليلاً ويقوون على حفظ نصيب طيب من القرآن، يضاف إليهم بعض المعلومات الدينية الضرورية مما يتصل بالعبادات والعقائد.

وكان آخر المسجد النبوي يعج بمجموعة من هذه الكتاتيب، بعضها أرضي، وبعضها في الدور الثاني، ولم يكن يقل عدد الطلاب في الكتاب الواحد عن خمسين طالباً، ولا يخرج الطالب من كتابه إلا بعد أن يكرمه الله بحفظ القرآن الكريم كله، أو حفظ أجزاء عديدة منه. وجرت العادة عندهم إذا حفظ الطالب القرآن كله أن يحتفي به أهله احتفاءً عظيماً، ويسيروا له حفلاً كبيراً يجمع الأقارب والجيران وجميع زملاء ابنهم في الكتاب، حيث يلبسون أجمل ثيابهم ويخرجون من الكتاب في مجموعات رشيقة، وهم ينشدون القصائد التقليدية، حتى يصلوا إلى منزل صاحب الختم^(١). وبالطبع كان ينال الشيخ صاحب الكتاب بهذه المناسبة، الكثير من التكريم.

ومن الكتاتيب الرئيسية المعروفة:

١ - كتاب الشيخ إبراهيم الطرودي، الذي لا يزال ذكره وذكر عريفه

(١) صور وذكرات عن المدينة المنورة - ص ١٤ للسيد عثمان حافظ ط ١ سنة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

محمد بن سالم حديث الكبار من أهل المدينة.

٢ - كتاب الشيخ إبراهيم فقيه، والد الشيخ جعفر فقيه الذي كان مديراً لمكتبة المسجد النبوي في أول عهد الملك فيصل رحمه الله.

٣ - كتاب الشيخ عبده أبو خضير.

٤ - كتاب الشيخ الكتامي.

ولم يكن المسجد النبوي وحده مكاناً للكتاتيب، بل كان بكل مسجد من مساجد المدينة الأخرى كتاب أو أكثر، تقوم بنفس المهمة، وتهيئ لأبناء طيبة الفرصة لحفظ كتاب الله وتفصيح ألسنتهم بلغة القرآن.

ب - المدارس :

عرف الحجاز المدارس النظامية منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي^(١)، من صناعية وزراعية ودور معلمين، ومن مدارس ابتدائية وإعدادية، ويذكر ساطع الحصري أنها بلغت ثمانياً وسبعين مدرسة حكومية وأهلية كانت مقسمة على أكبر المدن الحجازية: مكة، والمدينة، وجدة، والطائف^(٢).

وكانت المدرسة الرشدية - كما يذكر السيد عثمان حافظ^(٣) - هي أول مدرسة بالمدينة، سميت بذلك نسبة إلى والي الحجاز رشدي

(١) يحدد عثمان حافظ سنة البدء بـ ١٣١٠ هـ، بينما يرجح الفوزان في كتابه: (إقليم

الحجاز ص ٢٨١) أنها سنة ١٣٠١ هـ.

(٢) حولية الثقافة العربية - السنة الأولى - ص ٣.

(٣) صور وذكريات ص ١٦٦.

بك، وكانت بمستوى المرحلة المتوسطة. وبلغ عدد المدارس التحضيرية في العهد العثماني أربعاً، وعدد المدارس الابتدائية ثلاثاً، في المدينة وأطرافها، كما كان يوجد بها مدرستان ليليتان لمحو الأمية.

وفي حوالي عام ١٣١٨ هـ تم تأسيس المدرسة الإعدادية، وهي في مستوى المدارس الثانوية، وكانت ذات خمسة فصول، ثم أضيف إليها فصل سادس باسم: (إحضاري فصلي جامعي) وهو بمستوى السنة التوجيهية. وكان مبنى هذه المدرسة بالباب المجيدي في شمال شرقي المسجد النبوي، وقد أزيل في التوسعة السعودية للمسجد عام ١٣٧٥ هـ.

وكانت الحكومة العثمانية تطلب كل عام أربعة من خريجي المدرسة الإعدادية لابتعائهم إلى استانبول أو دمشق أو القدس، لاستكمال دراستهم العالية. ومع ذلك فقد كان الإقبال على المدارس من الأهالي في العهد العثماني بصفة عامة ضعيفاً في أول الأمر، وذلك لشبوع فكرة حولها، مفادها أن المتخرجين منها سيكون مصيرهم التوجيه إلى العسكرية، فلما تلاشت هذه الفكرة كثر الإقبال على المدارس وامتألت فصولها بالطلاب، وقد كان خريجوها النواة الأولى للحركة التعليمية الحديثة بالمدينة.

وفي حوالي سنة ١٣٢٧ هـ أنشأ الأتراك داراً للمعلمين، وكان مقرها: (الساحة)، ومهمتها تزويد المدارس الابتدائية والتحضيرية بالمدرسين، ولذلك فإن طلابها يكونون عادة من المتخرجين من المدرسة الإعدادية^(١).

(١) المرجع السابق ص ١٦٧.

أما لغة الدراسة في هذه المدارس، فقد كانت في المرحلة الابتدائية والتحضيرية، هي اللغة التركية، بينما كانت المدرسة الإعدادية ودار المعلمين تجمع بين اللغتين: العربية والتركية.

ولتشجيع الالتحاق بدار المعلمين كانت الحكومة العثمانية تدفع للطلاب فيها مكافأة شهرية قدرها ثلاثة ريالات مجيدة.

وكانت النية - فيما يبدو - متجهة إلى تطوير هذه الحركة التعليمية، ولذلك أنشئت مديرية عامة للمعارف مربوطة بنظارة المعارف باستانبول، وتقرر إنشاء جامعة إسلامية تحمل اسم: (صلاح الدين الأيوبي)، يلتحق بها المتخرجون من المدرسة الإعدادية، ممن لا يريدون الالتحاق بدار المعلمين، ويرغبون في مواصلة دراستهم العالية، وشرعت السلطات بالفعل في حوالي عام ١٣٣٢ هـ ببنائها وفق مواصفات وضعها مهندسون متخصصون، وتمّ تشييد الطابق السفلي منها بالحجارة السوداء المنحوتة، وأسهم ذوو الفضل واليسار في العالم الإسلامي في دعم المشروع، إلا أن الحرب العالمية حالت دون إتمامها، فتوقف العمل فيها سنة ١٣٣٤ هـ وأهمل المبنى إلى أن أظّل العهد السعودي المبارك، حيث أقيم عليه طابق ثان، وأصبح أول ثانوية بالمدينة هي ثانوية طيبة. وحقق هذا العهد حلم العالم الإسلامي في إنشاء جامعة إسلامية بمدينة رسول الله ﷺ، فكانت (الجامعة الإسلامية) التي نشاهد مبانيها الضخمة الشاهقة في العقيق.

وإذا كانت الظروف لم تساعد على استكمال إنشاء جامعة في المدينة آنذاك، فإن ذلك لم يمنع ذوي الطموح من أبناء المدينة من مواصلة تعليمهم الجامعي، فقد خرج بعضهم في بعثات إلى استانبول

ودمشق والقدس، وتكبدوا المشاق من أجل التحصيل العلمي، وقدمت لهم الحكومة بعض المساعدات التي تخفف عنهم جزءاً من التكاليف، كتخفيض تذاكر السفر في القطار، وغير ذلك من التسهيلات.

ومن هؤلاء المبتعثين إلى جامعة صلاح الدين بالقدس:

الشيخ محمد المغيربي فتيح، والشيخ عمر قازاني، والشيخ عبد القادر عبد الجواد، والشيخ سليمان حماد، والشيخ كامل حواري، والشيخ حسن قباني، والشيخ منتظر طرابزونى، والشيخ عمر توفيق، والشيخ حسن عنبر خان.

وممن ابتعث إلى استانبول: رفاقت علي، وقد تخرج طبيباً، وعاد إلى المدينة ومارس الطب فيها، وكان شاعراً مرموقاً. وكذلك السيد جميل أحمد.

وقد كان لهؤلاء المبتعثين وزملائهم المتخرجين من المدارس الإعدادية ودار المعلمين الفضل الأكبر - كما أشرنا قبل قليل - في مسيرة التعليم التي آتت أكلها في العهد السعودي، فكان منهم الأساتذة والمديرون وأصحاب القيادات.

وأما في العهد الهاشمي، فقد تأخر التعليم بعض التأخر، بدعوى الحماسة للعربية والإخلاص لعلوم الشريعة، ومع ذلك فقد تمّ في عام ١٣٣٨ هـ افتتاح أربع مدارس تحضيرية، كل مدرسة بفصلين، وهي:

١ - المدرسة الفيصلية، وكان مديرها السيد حسين طه.

٢ - المدرسة العبدلية، وكان مديرها السيد أحمد صقر.

٣ - المدرسة الزيدية، وكان مديرها السيد ماجد عشقي .

٤ - المدرسة العلوية، وكان مديرها الشيخ يس كردي .

ثم أسست المدرسة الراقية عام ١٣٤٠ هـ، وتولى إدارتها السيد حسين طه، وهي مرحلة بعد التحضيرية .

ومع تأكيدنا على أهمية دور تلك المدارس التي تمّ إنشاؤها في أواخر العهد العثماني وفي العهد الهاشمي، فإن أهل المدينة خشوا على أولادهم من التتريك، وخافوا عليهم من اتجاه الاتحاديين العلماني، فتسابقوا في إنشاء مجموعة من المدارس الأهلية التي توفر لأبنائهم الدراسة الإسلامية وتحفظ لهم لسانهم العربي، ومن أهم تلك المدارس :

١ - المدرسة الجليّة، وكان مديرها عمر لطفي أفندي .

٢ - مدرسة بشير آغا، وكان مديرها عمر زاهد، وأخوه أحمد زاهد .

٣ - مدرسة الشفاء، وكان مديرها علي أفندي .

٤ - المدرسة الإحسانية، وكان مديرها عثمان أفندي الجاللي .

٥ - مدرسة ثروت أفندي، وكان مديرها أحمد أفندي .

ثم أسست بعد ذلك :

١ - مدرسة الحديث .

٢ - مدرسة النجاح .

وأخيراً أنشئت مدرسة العلوم الشرعية، التي كان لخريجها شأن كبير في الحركة الأدبية بعد ذلك، أسسها الشيخ أحمد الفيض أبادي في أواخر حكم الأشراف سنة ١٣٤١ هـ، لتقوم بدور مدارس الفلاح في جدة ومكة .

جـ - المسجد النبوي :

كان هذا المسجد المبارك في مطلع القرن الرابع عشر الهجري كما هو حاله في جميع العصور، مراداً لطلاب العلم، ومثابة للعلماء، تدرّس فيه العلوم الدينية، والعربية، والتاريخ، والتراجم، والرياضيات، والمنطق، والفلسفة، والفرائض، ولا تكاد تنقطع فيه حلقات الدرس طوال النهار وأجزاء كثيرة من الليل، بالإضافة إلى تعدد تلك الحلقات في الوقت الواحد والعلم الواحد، ويقوم الطالب باختيار العلم الذي يأنس في نفسه الاستعداد لدراسته، وحلقة الشيخ الذي يحس الاستفادة منه ويطيب له الدراسة على يديه، وهو حرّ أيضاً في عدد المواد التي يدرسها، وكلما أتقن علماً على يد شيخ منحه إجازة تشهد بإتقانه، وقد تكون الإجازة قاصرة على كتاب من أمهات الكتب لا تتعداه إلى غيره، كما قد تكون مصحوبة بسند الشيخ.

وهو بهذه الصورة يطبق نظاماً تعليمياً من أرقى الأنظمة التعليمية المعاصرة، التي تدعي لنفسها الابتكار، ويزيد عليها في عدة أمور، منها أن المدرس لا يُكتفى فيه بحيازته على وثيقة دراسية فقط، بل لا بد أن يجتاز مقابلة علمية يجريها له كبار علماء المسجد، ويزيد عليها أيضاً في أن الهيمنة الإدارية تكاد تكون مفقودة على الطالب والمدرّس، وأن المدرسين والطلاب كانوا كلهم من جميع البلاد الإسلامية، وأنه لم يكن يُدفع للمدرسين في الغالب أي راتب أو مكافأة، بل هو الاحتساب وحب العلم وأهله.

ومن أشهر الشيوخ الذين أكرمهم الله بالتدريس في المسجد :

الشيخ محمد الطيب الأنصاري - الشيخ إبراهيم برّي - الشيخ

أحمد بُساطي - الشيخ حمزة بساطي - الشيخ محمد صادق الجزائري -
الشيخ عبد الباقي الأيوبي - الشيخ محمد محمود التركي الشنقيطي -
الشيخ محمد الخضر الشنقيطي - الشيخ حسن الشاعر (والد وزير
الإعلام الحالي: معالي الأستاذ علي حسن الشاعر) - الشيخ حميدة
الطيب الجزائري - الشيخ إبراهيم الكوراني - الشيخ عمر حمدان -
الشيخ عبد الحق رفاقت علي .

وممن سعدوا بالتدريس فيه في العهد السعودي غير من تقدم :

الشيخ صالح التونسي (والد مدير الأمن العام السابق محمد
الطيب، ومعالي الأستاذ عبد الرحمن مدير عام مدارس الثغر، والأستاذ
مكي) - الشيخ عمر بن إبراهيم بَرِّي (شاعرنا هذا) - ابن عمه الشيخ
ماجد بَرِّي (والد تلميذنا وأخينا الدكتور عدنان بَرِّي) - الشيخ عبد
الرحمن الإفريقي - الشيخ محمد علي التركي - الشيخ عبد القادر
شليبي - الشيخ محمود شويل - الشيخ ألفا هاشم - الشيخ حسين
أحمد - الشيخ محمد الزغيبي - الشيخ محمد العربي المغربي - الشيخ
محمد الأمين الجكني الشنقيطي - الشيخ محمد المختار الشنقيطي -
الشيخ محمد الحافظ أبو موسى - الشيخ عطية سالم - الشيخ محمد
العايش الجزائري - الشيخ أبو بكر جابر الجزائري - الشيخ عمر محمد
فلّانة - الشيخ محمد ثاني - الشيخ أبو بكر التنبكتي - الشيخ عمار
بلزعر السُوفي الجزائري - الشيخ أمين طرابلسي - الشيخ صالح
الطرابلسي، وغيرهم .

ويلاحظ أن الدراسة في المسجد النبوي بعد الحرب العالمية
أخذت في عمومها الطابع الوعظي، واتجهت إلى العامة أكثر من

اتجاهها إلى الخاصة، ولم تعد تمنح الإجازات، وذلك بسبب انتشار المدارس الابتدائية، ثم المتوسطة والثانوية، ثم الجامعية.

د- المكتبات:

لقد زحرت المدينة بمجموعة من المكتبات القيمة، التي كانت تضم بين جنباتها أمهات المخطوطات، ولعل أهم تلك المكتبات وأقدمها جميعاً: مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة^(١)، التي أنشأها صاحبها سنة ١٢٧٠ هـ، ثم المكتبة المحمودية التي أسسها السلطان محمود العثماني سنة ١٢٧٢ هـ.

وهناك مكتبات عامة أخرى كانت تابعة للمدارس التي تحدثنا عنها قبل قليل، كمكتبة مدرسة الشفاء، ومكتبة مدرسة قرّه باش، وغيرهما.

وبجانب ذلك كانت توجد مكتبات خاصة قائمة في بيوت العلماء، كمكتبة آل هاشم، ومكتبة آل الصافي، ومكتبة آل البساطي، ومكتبة آل البرزنجي، ومكتبة آل البري.

وعمداد كل هذه المكتبات إنما هو الكتب المخطوطة، إذ لم تكن الكتب المطبوعة قد انتشرت في هذه البلاد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بالقدر الكافي، إلا ما كان يصل بقلّة من بعض المطبوعات الحجرية من الهند، أو بعض المطبوعات الأقل من جهات أخرى.

(١) انظر: مقدمة تحقيقنا لكتاب (شهبي النغم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم - للألوسي).

وكان للمكتبات والكتاب المطبوع موعد بعد ذلك في العهد السعودي، وازدهاره أيما ازدهار.

هـ - المطابع والصحف:

أسس بعض الأهالي في سنة ١٣٢٨ هـ برئاسة محمد مأمون الأرزنجاني، أول مطبعة في المدينة، وهي (مطبعة المدينة) كما ذكر البتنوني، الذي زار المدينة سنة ١٩١٠ م، وهي التي أسهمت في طبع بعض المؤلفات لسكان المدينة، إضافة إلى جريدة المدينة.

وصدر بالمدينة في العهد التركي ثلاث جرائد هي:

١ - المدينة: أصدرها الأديب المدني محمد مأمون الأرزنجاني في ١٦/١/١٩٠٩ م باللغة التركية والعربية، وكان يطبعها بمطبعة (البالوزة) بالمدينة، وصدر منها ثمانية أعداد، ثم انقطعت، تحدث عنها البتنوني في رحلته إلى المدينة عام ١٩١٠ م، ومما كان ينشر فيها بعض القصائد الشعرية التي كان يكتبها صاحبها ومدير تحريرها الأرزنجاني، ومن ذلك القصيدة الترحيبية التي قالها بمناسبة زيارة الجناب العالي المصري للمدينة عام ١٩١٠ م ومطلعها:

البدر في أفق العليّ قد طلعا وكوكب السعد في إسعاده طلعا

٢ - الرقيب: وكانت خطية، أصدرها الأديبان: إبراهيم خطاب، وأبو بكر دغستاني في يناير عام ١٩٠٩ م، وذلك قبل وصول المطبعة للمدينة.

٣ - الحجاز: وهي غير جريدة (حجاز) التي كانت تصدر بمكة، وكان صدورها بعد ثورة الحسين بمكة وسيطرته على الجريدة الرسمية،

ولذلك اتخذ منها الأتراك في المدينة الجريدة الرسمية الناطقة باسمهم، وكتبوا عليها: (جريدة سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية)، وجلبت لها آلة الطباعة من سوريا، واتسعت الحكومة في نشرها حتى غدت يومية، وأحضرت لها محرراً من سوريا، هو الأديب: (محمد مصطفى النعساني) الحلبي، الذي حوّل الجريدة إلى جريدة عربية عامة، تنشر أي موضوع يرسل إليها، شريطة أن يسهم في إضرام الثورة ضد الابتزاز والظلم الذي جلبه أحمد جمال باشا في الشام، وأعوانه من الأتراك في المدينة المنورة، عندما تنكرت القيادة السياسية في آخر العهد التركي، وتعتبر هذه الجريدة من أجود الوثائق لمن يريد دراسة الأوضاع السياسية والاجتماعية وما آل إليه الوضع في المدينة المنورة قبل خروج الأتراك منها، وقد صدر منها ١٠٥ أعداد، وآخر ما صدر منها في ١٢٣٥/٦/١ هـ^(١).

أما في العهد السعودي^(٢) فقد ظهر فيها أول ما ظهر مجلة المنهل لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري، وذلك في شهر ذي الحجة عام ١٣٥٥ هـ، وبعد ثلاثة أعداد منها انتقل بها صاحبها إلى مكة عام ١٣٥٦ هـ، ثم إلى جدة، ولا تزال.

وأول جريدة هي جريدة (المدينة) لصاحبها: عثمان حافظ، وعلي حافظ، وقد صدر أول عدد منها في ١٣٥٦/١/٢٦ هـ، وكانت أسبوعية، ومن أبرز من اشتركوا في الكتابة فيها والإشراف عليها: السيد أمين مدني، ومحمد حسين زيدان، وضياء الدين رجب، ولكنها

(١) إقليم الحجاز ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٧.

انتقلت أيضاً إلى جدة منذ العدد (١١٤٦) المؤرخ في
١٣٨٢/٧/٢٧ هـ.

و- الأنديّة العلميّة والأديبة:

يقول السيد عثمان حافظ في هذا الصدد، وهو يتحدث عن
أواخر العهد التركي والعهد الهاشمي:

كانت بيوت الأدباء والعلماء منتديات للأدب والثقافة، ومن هذه
المنتديات:

أ - ندوة الشيخ عبد الجليل برّادة، وهو من شيوخ الأدب والعلم،
ومن الشعراء المجيدين، وكانت ندوته تعقد في بستانه (الأبارية)
في موضع فندق التيسير الآن.

ب - ندوة السيد أنور عشقي، وهو من الشعراء والأدباء البارزين أيضاً،
وكانت ندوته تعقد في بستانه (العشقية)، في سفح جبل سلع،
شمال ثنية الوداع، وفي هذا البستان يقول صاحبه أنور عشقي:

وروضة ما رضيت عنها بملك كسرى ولا بقيصر
وكيف وهي المني و(عشقي) بها، وزهر الربيع (أنور)^(١)

كذلك كانت تعقد الندوات في منازل الأدباء والعلماء الآتية

أسماءهم:

١ - منزل الشيخ عبد القادر بري.

٢ - منزل السيد أحمد الصافي.

٣ - منزل السيد عبد القادر هاشم.

(١) عشقي: اسم ابنه الأكبر. أنور: اسمه هو.

٤ - منزل السيد عبد الجليل مدني، وأخويه: عبد العزيز، وزين العابدين.

وقد ساد في هذه المجالس التشطير والتخميس والتشجير، ومن ذلك قول الشاعر:

من لي بظبي أهيف خُتم الجمال به وتَم
في فيه ماء حياتنا والموت في جفنيه ثَم
إن قلت: صلني، قال لي: من رام وصلاً مات غم
فقد شطرها أكثر من سبعين شاعراً.

وكذلك البيتان:

ظبي جاوى قد سباني وجهه الباهي الأنيس
ثغره كنز اللالي ريقه (أنقر منيس)^(١)

ومن شعراء المدينة في هذا العهد: الشاعر عبد الجليل برّادة، الذي عرف بتمكنه في اللغة والأدب، وبإحسانه اللغتين: التركية والفارسية أيضاً، كما عرف بكثرة رحلاته إلى مختلف البلاد، الأمر الذي هيا له المشاركات الكثيرة، وشقق أمامه فنون القول، ووصله بالعديد من أدباء عصره، ومن أشهر قصائده رائيته التي كتبها حينما تم انتصار الدولة العثمانية على اليونان، وذلك في سنة ١٣١٣ هـ، والتي مطلعها^(٢):

كذا فليكن ما يحرز المجد والفخر كذا فليكن ما يجمع الفتح والنصر

(١) الأنقر منيس: هو شراب الورد، أو الليمون، أو المهليات مع الحلويات والخبز.

(٢) حلية البشر ٢: ٧٨١.

كذا فليكن ما يبلغ السؤل والمنى كذا فليكن ما يدرك الثار والوتر
وفيها يقول عن الأعداء:

سمعنا بأن الجبن فيهم سجية ولما التقينا صدق الخبر الخبر
لقد تركوا الأوطان والأهل عنوة وأجلاهم القتل المبرح والأسر
وما وقفوا في مآقط الحرب لحظة ولا ثبتوا، كلاً، ولكنهم فروا

والشاعر إبراهيم الأسكوبي المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ الذي قال عنه
الأستاذ العامودي: إنه (على رأس شعرائنا الحجازيين في أواخر العصر
العثماني)^(١)، وقد اشتهر بقصيدته السياسية: (يا آل عثمان):

يا آل عثمان.. فالمغرور من غراً بأهل أوربة، أو عهدهم طرا
أأمنون لموتورين ديدنهم ألا يروا منكم فوق الثرى حرّاً
إلى أن يقول:

لا تحسبوا أنهم ناسون ما فعلت أسلافكم بهم في سالف مراً
هي التي أتتم فيها منازلهم غصبتموهم عليها فاعلموا قهراً
ويختتمها بقوله:

لو ألف عام طلبتم علم أوربة وحالكم هكذا لم تبلغوا العُشرا
نصيحة حثها النصر المبين لكم عسى عسى بعدها أن تنفع الذكرى

أما في العهد السعودي وبعد ١٣٥٠ هـ بالذات، فقد أسس
بالمدينة ناديان أدبيان هما:

(١) من تاريخنا للعامودي ص ٢٢٥ ط ثانية.

١ - نادي الحفل الأدبي :

ومن أعضائه: عبد القدوس الأنصاري - السيد أحمد خياري -
أحمد رضا حوحو.

٢ - نادي جماعة المحاضرات :

ومن أعضائه: عبد الحق نقشبندي - محمد عمر توفيق - علي
حافظ - عثمان حافظ - عبد الحميد عنبر - ماجد عشقي .
وكانت ندواتهما تعقد أسبوعياً، فمساء الجمعة للحفل، ويوم
الثلاثاء للجماعة^(١).

ولو ذهبنا نعد الشعراء والأدباء الذين برزوا في العهد السعودي
وزاملوا شاعرنا البري، أو قامت بينه وبينهم علاقة، لطال بنا الحديث .
ومن هؤلاء الشعراء الشيخ محمد العُمري (المتوفى سنة
١٣٦٥ هـ)، والشيخ عمر كردي الكوراني الذي تولى قضاء المدينة
لعدة سنوات، وأخوه عبد الحفيظ كردي الذي كان في وقت من
الأوقات نائباً لقاضي المدينة أيضاً، وضياء الدين رجب، وأحمد
العربي، وعبيد مدني، وعبد الحق نقشبندي، ومحمد سعيد دفتر دار،
وغيرهم .

وبعد :

فلعله يحق لنا بعد هذا العرض السريع للحياة الثقافية التي
كانت تعيشها المدينة في النصف الأول من القرن الرابع عشر
الهجري، أن نسأل عن موقع شاعرنا البري من هذه المعالم

(١) صور وذكريات ١٠٨ - ١٠٩ .

والأحداث، وأن نسأل عن مدى شاعريته بين أقرانه؟.

ينحدر شاعرنا - كما رأينا - من بيت أدب وعلم، فمنهم المفتي والقاضي، والمدرّس والإمام والخطيب، والشاعر والأديب، وكان والده الشيخ إبراهيم أحد علماء المدينة الأجلاء، وإذا التفتنا إلى نسبه من جهة أمه ألفينا جده لأمه هو الشاعر إبراهيم الأسكوبي، وابن خالته هو الشاعر محمد سعيد دفتر دار.

هذا وقد أدركنا من علماء آل البري وشعرائهم: الشيخ عبد العزيز بن عبد القادر بري، الذي كان رئيساً لكتابة عدل المدينة في عهد جلالة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله، كما كان لكل من شاعرنا (عمر بري) وابن عمه الشيخ ماجد بري، حلقة درس بالمسجد النبوي.

وبالإضافة إلى ذلك كان شاعرنا يقوم في القسم العالي بمدرسة العلوم الشرعية بتدريس مختلف علوم العربية والشريعة، من نحو وصرف وأدب وعروض وبلاغة، وفقه وفرائض، وغيرها، ولهذا فإننا نعتقد أن خط سير دراسته منذ نشأته، لم يكن على صلة بالمدارس الحكومية التي سبق أن أشرنا إلى قيامها في أواخر العهد العثماني، وإنما كان ملتصقاً بالثقافة العربية في البيت والكتاب وحلقات الدرس بالمسجد، ومن أساتذته البارزين في المسجد: الشيخ الطيب التونسي، والشيخ الطيب الأنصاري، وكلاهما من العلماء الكبار المشهورين بالعلم والفضل.

ويبدو أنه وأمثاله ممن سلكوا هذا الخط الدراسي، كانوا بذلك يعبرون عن كراهيتهم لأسلوب التريك الذي نهجه العثمانيون، ويظهر سخطه هذا بالفعل في الأبيات التالية التي كتبها حين بدأ الترك في

الجلء من المينة وهو بالشام سنة ١٣٣٧ هـ:

يا معشر الإسلام ها كُمْ عبرةً أضحت مُبينه
وتمعنوا دُرر الحديد ث، لأنها دُرر ثمينه
أو ما تروا بالذل عي من الترك قد أضحت سخينه
ولمحوهم أرّخ: (جزاً لشقائهم آذوا المدينه)

ويظهر موقفه منهم أيضاً في مناصرته للثورة العربية وامتداحه
لزعيمها الشريف الحسين بن علي، وابنه الشريف علي بن الحسين،
ولكنه حين أحس أن تلك الثورة لم تحقق الآمال العربية التي كانت
معقودة عليها، ولم تتناغم مع أحلامه، عاد فقلب لزعمائها ظهر
المجن، وعلقت عيناه ببطل آخر تتجسم فيه القيم والسمات المطلوبة،
وتتحقق على يديه كل الطموحات التي كان يرجوها للحجاز والجزيرة
العربية كلها، فكان جلاله المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود.

وتأتي لشعره بعامة فيما عدا غزلياته، أهمية كبيرة، من حيث
كونه تسجيلاً لأحداث، أو تاريخاً لأعلام وحكّام، وبخاصة أن قصائده
إما مؤرخة في آخرها بحساب الجُمَل، وإما مسبوقة بالتاريخ العادي.
ولعل هذا من أبرز الأسباب التي دعّني إلى تحقيق هذا الديوان
وإخراجه.

أما من حيث المستوى الفني لشعره، فإنه إن كان متفوقاً فيه
على زميله الشاعر عبد الحق نقشبندي - مثلاً - إلى حد كبير، ومساوياً
لعمر كردي وأخيه عبد الحفيظ، فإنه لم يستطع مجاراة شاعر كضياء
الدين رجب، ولا مضاهاة ابن خالته محمد سعيد دفتر دار، اللذين
امتد بهما العمر بعده بكثير، وما ذلك إلا لأنه غلبت عليه روح العالم،

فقلصت في داخله بعض قدرات الإبداع، وصبغت شعره ببعض العبارات والأخيلة العلمية، وجعلته يعتمد في شعره على تقليد القدماء صورة وعبارة وأسلوباً في جميع أغراض شعره، فهو يشطر ويخمس، ويطرز ويشجر، ويؤرخ بحساب الجمّل، وينهي القصيدة بنفس شطرة المطلع، ويحاجي ويلغز، ويتصيد المحسن البديعي إلى درجة التكلف أحياناً، وهو يبالغ إذا تغزل أو مدح أو استرفد أو هجا.

ولا غرابة في ظهور المسحة العلمية في شعره، فكذلك كان أكثر الشعراء من الفقهاء والعلماء، يقول ابن خلدون: (وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم ويمتلىء به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة، لأن العبارات عن القوانين والعلوم لا حظّ بها في البلاغة).

فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلوّنت به النفس، جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم، وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين^(١).

روي أن أحد الأدباء سمع مطلع قصيدة ابن النحوي الذي يقول:

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى
فقال السامع على البديهة: هذا شعر فقيه. فقليل له: ومن أين
عرفت؟ قال: من قوله: (ما الفرق)، إذ هي من كلام الفقهاء، وليست
من أساليب كلام العرب.

(١) المقدمة ص ٥٧٩ - المكتبة التجارية بمصر.

وقد كنا نعتقد أن يكون لأسفاره الكثيرة إلى مختلف أقطار
العروبة والإسلام، أثرٌ على موضوعات شعره وتوجيهه إلى شيء من
التجديد، فقد تردد كثيراً على مختلف مدن الهند والشام، وسافر إلى
تونس واستقر بها عدة سنوات، واختلط بعلمائها وأدائها، كأثير
شعرائها الشاذلي خزندار، ولكنه مع ذلك كله ظل في شعره مقلداً إلى
أبعد حدود التقليد، ولم يستطع أن يفيد من الحركات الأدبية التجديدية
التي سرت روحها في العالم العربي، وبخاصة في مصر والشام، بين
الحريين العالميتين، والتي تأثر بها زميلاه: ضياء الدين رجب، والدفتر
دار، وأصبحت مزية ومذهباً لتلاميذه ومن في طبقتهم، كمحمد هاشم
رشيد، وحسن مصطفى صيرفي، وعبد السلام هاشم حافظ، ومحمد
العبد الخطراوي، وليس لذلك من سبب في تصوري غير هذا التكوين
العلمي الذي أشرنا إليه، وهذا الوفاء للقديم بكل مظاهره، فقد أدركناه
رحمه الله محافظاً عليه حتى في ملبسه، بحيث لم يترك العمة وما كان
يصحبها من زيّ كان يعرف به العلماء بالحجاز في مطلع القرن الرابع
عشر.

ومع هذه الروح العلمية التي كانت تحكم شعر البري، والنهج
التقليدي الذي يسيطر عليه، فإنه كان شاعراً عاش أحداث عصره
واحتك بكبرائه ورجالاته، وسجل كل أولئك في شعر مقروء، إن فاته
التصوير والتحليق في آفاق الخيال الممجنح، فإنه لم تفته السجاجة
والرجاحة، ولم يخذله فيه العقل والحكمة، ولم يخل من بعض
النبضات الشاعرية التي تدل على الموهبة، ولا من الصدق الذي هو
أساس كل عمل أدبي أصيل.

د. محمد العبد الخطراوي



ديوان
عمر بن إبراهيم البري
من شعراء المدينة في مطلع القرن الرابع عشر

تقديم وتحقيق
الدكتور محمد العيد الخطراوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الناسخ

الحمد لله رب العالمين، ثم الصلاة (والسلام)^(١) على أشرف المرسلين، القائل: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة»، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

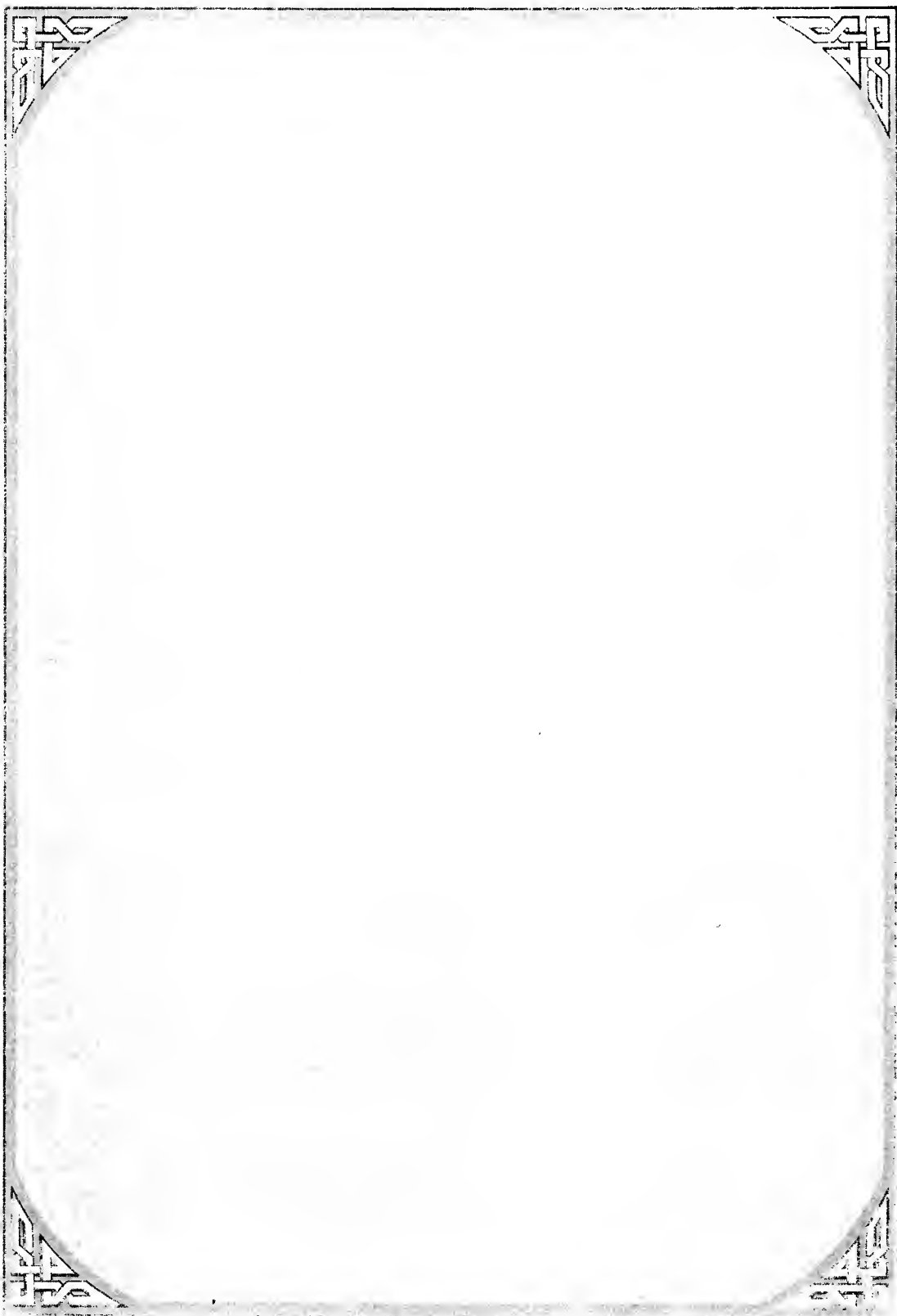
فإن هذا الكتاب مجموع قصائد شاعر المدينة الكبير، وأحد علمائها الشهير، الشيخ عمر بن المرحوم الشيخ الفاضل العالم العلامة، والحبر والبحر الفهامة، إبراهيم بن عبد القادر بن عمر البري المدني، غفر الله لهم، آمين.

(عبد الكريم عمر برّي)^(١)

(١) ما بين القوسين ليس في الأصل.



== وجدانيات وإخوانيات ==



- ١ -

يا أيها البر الذي لاحت برؤيته النعيم
كل الوجوه استبشرت مذ لُحِتَ يا عبد الكريم^(١)

- ٢ -

وقال:

أكلف مع زماني أن يراني على حال التجنب والسكوت
ولو أوليته جزء اقتدار لقال لنفسه في الحين: موتي

- ٣ -

وقال:

ومالي والصحاب ولي فؤاد يرجح أن يرى دوماً فريداً؟
بعيد الظل من نادي أناسٍ تحقّقهم لإبليس جنودا

(١) يبدو أن هذين البيتين في ولده عبد الكريم.

فلا للدين ينقادون خوفاً ولا الدنيا تُسرُّ بهم وجوداً
فكن منهم على حذر دواماً فلتست بواجدٍ خلاً حميداً

- ٤ -

وقال:

لئن أمسيتُ منفرداً	وحيداً ما له ثان
سأسترفد آدابي	فهي من خير أعواني
وأغدو ثانيَ الكت	ب أنيسان صفيان
طوال الليل تسعدني	أراعيها وترعاني
تحدث بالذي أهوى	وما يطرد أحزاني
تشكي لي سرائرها	وأرفدها بكتماني
تحكمني على رأيي	فكتبي هي سلطاني
فطوراً أنا في لهو	وطوراً وسط بستان
وطوراً في مسافات	أروح كمثل نشوان
وطوراً أقطع الدنيا	أراها بين أعياني
وطوراً أنا في عُرب	وأخرى بين عجمان
وطوراً أنا في نجد	أنيساً بين خلان
وأطواراً تهامي	أراني بين سكان
وأطواراً عراقي	وأطواراً خراساني
وطوراً أنا في وعظ	يقيم سماعه شاني
وطوراً أنا في فقه	وفي طاعة ديّان
وأحياناً أنادِمُ مث	ل كسرى أنوشروان
وأحياناً أرى بقرا	ط جنبي وسط إيواني

وأحياناً بني العبا
وأحياناً بني حمدا
وأحياناً أرى سيبود
وأحياناً أرى الطائي
وأحياناً نواسي
فإن شئت فقسُ بعد
وإن شئت فسحبا
كأنني في الوري ملك
فعَبَّاد وهارون
ومأمون بني العبا
وسيفُ ابن ذي يزن
أراهم في ملاطفتي

س ندماني، ومروان
ن ألقاهم بإحسان
ه ينحو نحو سلطاني
والكنديّ ندماني
وحيناً أنا همذاني
ضُ خلّاني وإخواني
نُ وأكثم لي خليلان
لي الأقصى مع الداني
وسيف ما له ثان
س، والمدعو بخاقان
كذا المُسمَى بنعمان
مدى الأيام إخواني

* * *

لذلك لا أجد الدهر
سوى كتّبي وآدابي

رَ في صحبة إنسان
ما دام الجديدان

* * *

وقال:

رمزُ المسرة في الحسان جميعه إن الجوانح في الغرام تُطيعه
والأنس يوجد في النسيب، ونظمه يشريه سمعي في الورى ويبيعه
والسكر أن تصطاد معنى رائقاً تحظى بأنك في الأنام تذييه
وأرى الربيع لدى البديع زهوره إن البديع لدى الأديب ربيعه
نغمات (معبد) في استماعي منشداً يروي القريض مرتلاً ويذيعه

* * *

وقال بديهة في ١٧/٧/١٣٦٩ هـ:

ومن العجائب أنني مهما أرى شخصاً يسألني عن الأخبار
أزورّ منه لأنني لم أحتكم خبراً صحيحاً مطفئاً لأواري
وأراه في تسأله متقلقاً فكأنه في حيرة أو نار
ما لي وللأخبار؟ إن سماعها يصم النفوس بذلة وصغار
ماذا أجب السائلين وهذه الد نيا تسير على شفير هار
يا سائلي، عني إليك! فإنني في الناس محسوب من الأحجار
متللم في حجر داري، صامت تحت القضاء وحكمة الأقدار
والله يختم لي بخير شامل في زمرة الصلحاء والأخيار

* * *

وله أيضاً:

أصلح فسادك أيها الإنسان وتوق نفسك، إنها ثعبان
أرغم حسودك بالصلاح لأنه في فعله متربص شيطان
واكبح فؤادك إذ يشور ببغضة فالخسر كل الخسر حين تدان
كم من غضوب ضيع الأراب في نزوات غيظ، ثم ظل يهان

* * *

عادات سادات البلاد كأهلها عادات سادات عادات، لها السلطان
ومن السعادة في حظوظك أن ترى في حد قدرك واقفاً تزدان
فحش الإضاعة في الإذاعة فاربطن هذا اللسان، فللأنام لسان
فمراة عصرك جلب عصرك فاحذرن لا يشغلنك بالكلام مكان
لا يرمينك في غيابة جبه ما في الزمان - إذا نظرت - مصان
لا تشتغل إلا بذاتك واقمعن لذاتها، فلنبشها بركان

* * *

نعم الشفيع إلى عدوك عقله بئس الرجاء، وفي الصديق إعان
وافطن ففطنة صاحب هي فتنه يسعى بها في هضمك الفتان
واحلم فمنحته تكون كمحنة لا يستقل بحملها إنسان
والفكر رائد كل عقل صالح وأنا الضمين بأن ذاك ضمان

* * *

إن الخلاف خلاف شر كله فإرضه، إن البعد عنه أمان
فالمرء يهدم بالمرء مروءة ما بعد هذا في الخراب كيان

من حصن الأطراف طولَ زمانه قد حسن الأوصافَ فهي حصان

* * *

أوفى وأحصن من حصونك سنة يرضى بها المعقول والإيمان
فأصبح لسنة خير من وطىء الثرى إن الركون لها هو الإيقان
والسلم صاحبه يذم لك حظّه فلكل يوم في الزمان طعان

* * *

ليكن قرينك من يزيناك صحبة والبشر نور في الصحاب مُزان
واخبر بنفسك لا بسمعك إن ترد خلاً، ودع خبراً يقول فلان
ما كل خاطر وهم بالٍ عاطر أبداً، ولا كل الدواب حصان

* * *

ورضاك عنك دليل خلف ظاهر فرضاً بنفسك دائماً خسران
ولربما أغنت مداراة الورى عمن تباريه، وذاك عيان
وإذا تبقى ما اصطنعت ذخيرة لا تأس عما فات يا إنسان

* * *

لا يُجمع المظلّم الذميم مع الندى وأصخ لحكمي، إنه ميزان
فلرب ردّ هائل خير لنا من كل وعد حائل يختان
وإذا طلوع للعقوق بدا فقل هذا أقول، للعقوق هوان
إن الندامة في الورى مع حدة فرسا رهان، والرشيذ مُعان
والجود مشترك بكل شجاعة في رأس مالك، إن تلك عنان

١٣٦٩/٥/١٢ هـ

* * *

وقال في سفرته إلى ألبانيا سنة ١٣٤٥ هـ:

أسف الفؤادُ وحقه يتأسف
فارقت طابة مكرها أبغي الغنى
ما كان في أمني بأن الناس قد
يتحاسدون على النقيير كأنهم
ويحطمون نفوسهم عند الذي
ما حال من حالت به أيامه
في كل ناد لا ترى إلا أسي
من ناقصٍ قبحت نتائج فعله
ومن المحال بأن ترى متأدباً
(وإذا تكون كريهة أدعى لها
هي سفرة سمرت بها الأيام عن
يا قوم، إن الدين أصبح في الوري
والناس مالوا نحو أوروبا، هوى
أما ديارُ الروم فهي بأسرها

ويظل في نادي الحجا يتلهف
والله يعلم أنني متأسف
ألفوا النفاق، وصار فيهم يوصف
يتحاسدون على جنان تُقطف
يسوى ولا يسوى بحال يؤنف
عن عهداها، والناس فيه زحف
ووجوه شر بالوقاحة تُعرف
أو ساقط في كل جمع يزحف
بكلامه الحلو الجنى يتلطف
وإذا يحاس الحيس يدعى) السفسف
مكروه عصر جورُه لا ينزف
فرداً غريباً، قلبه يُتخطف
منهم، وكفراً ظاهراً يتكشف
مرتدة إلا القليل يُخوف

* * *

وقال يحث تلاميذ مدرسة العلوم الشرعية سنة ١٣٦٦ هـ:

العلم أولى بأن يُلقى لكم أرباباً
شيدوا منازلهم، أحيوا مشاعله
واستطلعوا كل بدر من مشارقه
كونوا كأبنائه طوعاً لخدمته
وأظهروا كل غال في محبته
إن الجسوم بلا علم يجمّلها
فآلة المجد علم بعده عمل
والعلم أغير من أن يرتضي أبداً
فكم رأينا على الغبراء من رجل
دوى له الكون حتى قال قائلنا:
تجسّمت منه أوهام فأبرزها
في الجوّ، في البحر، لاشيء يعارضه
أقام مجدداً على الجوزاء بنيته
فيه أسود فنون لا يقابلها
تبث ما ترك الإحسان مرتهاً
تبث ما أبرز الإتقان منتسباً
حازوا به راحة دامت بكدهم
يا قوم إنكم في عصر ملتفت
في عصر أسمع من أعطاكم أمداً

جدّوا وكونوا له في عصركم نخبا
واسقوا أزهرة، واستثمروا الرتبا
بالجد والكد كيما تدركوا العجا
حتى يكون لكم في العالمين أبا
أعطوا اللّجين وبثوا بعده الذهب
ليست بحساسة ضرباً ولا ضرباً^(١)
هو القوّ والعلی، من حازه غلبا
إخاء أخرق يهوى اللهو واللعبا
بصدق جدّ أجدّ الصدق لا الكذبا
هذا هو السحر من أفعاله اقتربا
بالعلم شخصاً يراه الناس قد غضبا
إلا ومارسه بالعلم فانقلبا
بمعهد للعلی، مستحضراً كتباً
أسود غاب تبث العلم والأدبا
لدى التلاميذ مشغوفاً بهم طربا
لكل شيء لديهم فارتضوا التعبا
صنعاً نراه لصنع الجن قد نسباً
إلى المعارف يهوى منكم الطلبا
لتنبعوا من بحور العلم ما نضباً

(١) الضرب - بالتحريك: العسل.

تستنفذوا كل نجم من مناجمه
فأدرِكوا فرصة كانت لمجدكمو
(عبدالعزیز) أعزَّ الله دولته
ملكُ عدل وأمنٍ ثم عارفة
فالله يوليه ما يرضيه من أمل
ثم الصلاة على المختار ما تُليتُ:
حتى يكوّن منكم قادةً نجبا
عنقاء مغرب، فانقادت به عجبا
تمثّل العز بين الناس مرتهبا
تسدى، وحظّ، لمن ناواه قد غلبا
نعم، ويُبقيه دوماً للعلی نسبا
العلم أولى بأن يُلفى لكم أربا

* * *

وقال :

بالذوق يطلب رأي من لم يحضر
أعديمه، خفف عليك فما النهى
ما سُمي الإنسان إنساناً بلا
هي زلة النسيان لا توهي قوى
والناس معلومون عند ذوي النهى
قل للنقيد نقدت لكن لا ترى
ما زاد نقدك فوق قدرك غايةً
ليقال: هذا عالمٌ بالنحو في
ويرى ضعاف الناس أنك عارف
وتظل تسحب ذيلَ تيهك عامداً
أتعبت نفسك بالفضول وقُدتها
لا سَهْمُ حظك في العلى بمسدد
أذكرتني قول الحريري الذي
: (قد أوعب التكوين كل مكوّن
فلو ابتغيت بكل جهدٍ نيلَ ما

للحاذق السباق وقت المخبر
مجنونة حتى تفوز بمحضر
معنى، وهل عذر لمن لم يعذر؟
فضل، ولا تولي حجاباً للمنكر
في وزن جهد مُقلّهم والمكثر
أسداً، ولا تغدو الفتى في المحضر
بل للرياء ورئت زنداً لم ير
قومٍ مناقب فضلهم لم تحصر
ويجوز جهلك في العديد الأكثر
رغم الأنوف، وأنف كل مخير
جهلاً إلى درك الحضيض المسعر
أبداءً، ولا أنا بجهلك نم تري
قامت أدلة فضله للمبصر
مذ أحكم التقدير كلّ مقدر
سبق القضاء بمنعه، لم تقدر)

* * *

وقال:

أبدأ بتونس في الأنام تعلقي
بلد المعارف والعوارف والنهي
في مصر منها مشبه في ذوقها
وتكاد تشرك طابة في لهجة
صور كأمثال اللجين وضمنها
ووراء ذاك فطانة ولباقة
ولها - وليس لها نظير عندما
جو يسيل من النضارة صفوه
يهديك نشرأ زهرها فتخاله
فترى بها الغبراء كالخضراء من

وللهجتي فيهم تبين تشوقي
والذوق، كل في المجادة يلتقي
ولحسنها بعض تراه بجلق
وفصاحة تسبي العقول بمنطق
خلق كما الذهب المصفى، مُرتق
كالعشق في قلب المحب المشفق
يبدو الربيع: صباحة بتأنق
فيزيل أقدار الزمان، وينتقي
أخلاق أهلها الكرام السبق
خضراء معنى لطفها المتذوق

* * *

- ١٢ -

وقال مشطراً بيتاً:

(ما إن ندمت على سكوتي مرةً) أبداً لأنني بالسكوت أداري
فلذا تراني معلناً تفضيله (ولقد ندمتُ على الكلام مرارا)

* * *

- ١٣ -

وقال مضمناً له أيضاً:

يا لاثمي في الصمت ما بين الوري ويرى الصوامت كلها أحجارا
إن كان فيه نقيصةً تدنيك من جدثِ الخمول، وكان عندك عارا
فالصمت خير من شرارة كلمة تعطيك في العقبي لجسمك نارا
(ما إن ندمت على سكوتي مرةً) ولقد ندمت على الكلام مرارا

* * *

- ١٤ -

ثم ضمن هذا البيت زميله الشاعر محمد سعيد دفتر دار فقال:

قالوا ألفت الصمت، قلت: لأنني بستاره من جاهل أتواري
أضحى السكوت فضيلةً محمودة والقول أصبح للشرور مشارا
قالوا: تكلم، قلت: لست بقائل، يا قوم كيف أكلّم الأحجارا؟
إني تركت القول حتى ينجلي وضُحِ الحقيقة للعيان جهارا
(ما إن ندمت على سكوتي مرةً) ولقد ندمت على الكلام مرارا

* * *

وقال مشطراً بيتاً لبشار بن برد:

(أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم) إن المهالك إعجاباً تناديه
يا خالي الفكر من رشد يُزيّنه (قد ضل من كانت العميان تهديه)

وشطره مرة أخرى فقال:

(أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم) وكل من قاده أعمى سيرديه
إن كان أعمى يقود المبصرين إذن (قد ضل من كانت العميان تهديه)

* * *

وقال بديهة بعنوان:

سلوى وضجر

غيري بأسرار الغرام ييوح
ويظل يرتجل النسيب تهتكاً
ينمى إلى مجنون ليلى في الهوى
فكأنه المجنون إلا أنه
وتراه نشوان الفؤاد إذا أتت
وإذا تنضدت الموائد ماد من
يشكو السقام من الغرام تولها
ويقول: كدت أطير سقماً في الورى
قابلت منه متيماً لكنه
ويقول: ما لي والغرام بغادة
يشدو ويلهج بالصدود لأنه
أمسى قتيل الهجر من (شكشوكة)
يا قيس قلبك بالحسان (مشبك)
أمسى المخبل (بالقلايا) مغرماً
خذها مثقفة القوافي إن تُرد

يغدو بشكواه، نعم ويروح
والدمع منه دائماً مسفوح
ويثن من نار الجوى ويصيح
إن لاح وجه القرص فهو صحيح
من جانب القدر المتبل ريح
طرب تقول: بها أبوه ذريح
(وأبو معاذ) جسمه الممسوح
يا زيد، إن أباك فيك يلوح
نحو المطابخ جسمه مطروح
وهي (الكنافة) سره المفضوح
من بعد أطباق الدجاج جريح
ويلاه حُكم الجوع منه قبيح
(والقول) قالوا: للشجي مريح
(باللفت) يلزم قدره ويفوح
طباً لدائك، إنها تشريح

* * *

وقال مضمناً بيتين لبشار بن برد:

قلت للخلِّ إذ يزاول مني	فعلَ ما لا يليق بالأمجاد
ويريني العيوب غير عيوب	ويريني الفساد غير فساد
وَيْكَ أين السلامُ دنيا وأخرى	إن تكن أنت مالِكاً لقيادي؟
وَيْكَ أين الحياء والخوفُ يا هذا	وكيف الخلاص يوم التنادي؟
أنت إن كنت غائب الرشد إني	لم يغب في الأمور أصلاً رشادي
(ولقد أصرف الفؤاد عن الشيءِ	ءِ حياءاً وجُبَّه في السواد)
أمسكُ النفس بالعفاف وأمسي	ذاكراً في غد حديث الأعادي

* * *

أنشد الشيخ محمد دفتر دار بيتاً مفرداً وهو:

شكوت إلى المهيمن ما ألاقي أموراً لا يفسرها الأريب
فذيله شاعرنا فقال:

ويدركها وليس له لسان مخافة أن يصادف ما يريب
ويسكت ليس عن عيٍّ ولكن وراء بيانه للفتك ذيب
زمانك بين أزمان البرايا صبي أرعن شره غضوب
وينبو الناس مما فيه خير وجُلَّهُم إلى البلوى قريب
فما يحلو به إلا سفاه ولا تصفوه به إلا العيوب
وأكيس ما يروق به ذنيء عديم الصدق في الدنيا كذوب
وأحسن ما ترى فيه ممات فليس إلى الحياة به نصيب

* * *

وله مضمناً بيتاً لبعض الفضلاء:

وكم أنشدت في الخلوات وحدي وحسن الظن لي ملجأً عجيب
(عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب)

* * *

- ٢٠ -

ومن تشطيراته:

(إن للخلاق لطفاً) ليس يدركه التّصوّر
وهو بالحكمة أدرى (قبل أن يبلي يدبّر)

* * *

- ٢١ -

وله أيضاً مشطراً:

(إذا المرء كانت له فكرة) وجات على نفسه نظرة
وراعى بها حادثات الزمان (ففي كل شيء له عبرة)

* * *

- ٢٢ -

وله مشطراً:

(إذا لم تكن للصبح عين صحيحة) يضل بأدنى شبهة ويحيّر
إذا كان هذا دأبه الدهر أعوجاً (فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر)

* * *

- ٢٣ -

وله على البديهة:

وأبغضُ كل خلق الله عندي غيٌّ يستطيل بكل مهل
ولو أني تساعدني الأماني نقشتُ مثاله في وسط نعل

* * *

- ٢٤ -

وله في الحكمة على البديهة:

إذا شئت السلامة من زمان فلا تحفل به في كل أمر
وغادره كأنك لست فيه وأنت به على ما ظل يجري
وكن فيه كطير مستفز بغير بلاده في غير وكر

* * *

- ٢٥ -

وله تخميس بيتين لبعض الشعراء:

كن بالخليل رفيقاً سليم صدرٍ شفوفاً
وكن محباً صدوقاً (لا تحسدن صديقاً
على تزايد نعمة)

ولا تقولن بوذي أراه مثلي مُكِدٍ
عديم حلي ونقيد (فإن ذلك عندي
سقوطُ نفس وهمة)

* * *

وله تخميس بيتين لبعض الفضلاء، على البديهة، وذلك في
بستان (قويم بَري) في ٩/١٠/١٣٤٤ هـ:

يا مريدَ الصّدِّ عن سبَل الردى هاك قولاً مرغماً أنفَ العدى
لا تُضِعْ عمراً بلا معنى سدى (كن إذا ما حاد عن حدِّ الهدى
أشعريّ الطبع، شيطان البشر)
مؤمناً حقاً بلا ريب ولا شبهة ترديك عن سبَل العلا
خاضعاً للدين من بين الملا (شافعيّ الشرع، سني الحلى
حنبليّ العَقْد، صوفيّ السير)

* * *

وله أيضاً تخميس بيتين لأبي العلاء المعري:

وقوم لثام غدا مقتهم حُلِيّاً تحلّى بها وقتهم
يموتون غيظاً بأن سدتهم (تعاطوا مكاني وقد فتهم
فما أدركوا غيرَ لمحِ البصر)
قرود يُقرّر بهم نعتهم بِشبه ابن آدم إن جثتهم
يعيبون قولي وما عبتهم (وقد نبحوني وما هجتهم
كما نبح الكلبُ ضوء القمر)

* * *

وله تشطير بيتين لبعض الفضلاء:

(إذا كان عون الله للمرء خادماً) فكل امرئ يأتيك منه وداده
(إذا كان ملحوظاً بعين عناية) (تهياً له من كل صعب مراده)
(إذا لم يكن عون من الله للفتى) تحاماه حتى في الليالي رقاده
(وإن رام أمراً باجتهاد وحيلة) (فأول ما يجني عليه اجتهاده)

* * *

وله تضمين بيت لبعض الفضلاء:

مدينة خير الرسل أعظم مَفخراً من الغير إلا مكة عند من قرَن
تسامى بها الإحسان والحسن، إنها كريمة أهلٍ إن نظرت مع السَّكن
همُ ورثوا الأنصار في أصل مجدهم بهم يُدرك المعروف من غير ما ثَمَن
(ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلامُ بنسيان الأجرة والوطن)

* * *

وله تخميس بيتين لبعض الفضلاء في ١٣/١٢/١٣٣٩ هـ:

يا أيها الرجل الذي لبس العنا وبدا بفخّ الزهد يلتمس الغنى
لا تُظهِرَنَّ ما لا تذوق له جنى (ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى
فهناك زهدك من شروط الدّين)

أين العقارات التي مُلّكتها وخزائنُ الذهب التي أحرزتها
حتى تعف عن التي قد حُرّتها؟ (فالزهد في الدنيا إذا ما رمتها
فأبّت عليك، كعفة العنّين)

* * *

وقال:

مِنَ اللّواحِظِ فاهَرَبَ أيها الرجلُ فكم كمثلك أرباب الهوى قُتِلوا
وإن رأيتَ جمالاً راق منظره واستجلب الأُنس، فاحذر، إنه أجل
فالحسن مَلِكٌ تهابُ الأسدُ صولته طبعاً وتنقاد في قانونه الدّول

* * *

وقال:

إذا فكَّرتُ في نفسي وحالي وذلي بعد عزِّي والحياةِ
تصوَّرتُ المصائب نُصب عيني وشاقتني المروءةُ للوفاةِ

* * *

وقال:

يا أيُّ هذا السَّريِّ ذو الفضل والحسب ومعدن الجود من جرثومة^(١) النُّجَبِ
لا تحسبن هروبي عنك منقصةً في حرمة الود، أو في حرمة الأدبِ
لكن هربت لأيد^(٢) منك لي سبقت والضَّغْطُ بالبرِّ من داعية الهَرَبِ
فاصفح جناية تقصيري بخدمتكم واعذر محبًّا ولا تخجله بالعتبِ

* * *

(١) الجرثومة: الأصل.

(٢) أيد: الصواب أياذ.

وقال:

فَكُرْ وإن كانت لديك شجاعة فالرأي إن رمت الأمور هو السنا
إن البصير بكل أمرٍ فائز لم تلق ذا فكر تعوّق أو دنا
أقدم بعزم صادق متيقظاً للخطب، إن جللاً ترى أو هيئنا
واصبر، ففي الصبر المفاخرُ كلّها مرجوة، واصمّت تراحُ من العنا
والحزم كل الحزم في كتم الأسى وإذا فعلت بعكسه تلقى الونى

* * *

وقال راثياً:

العلم يبكي شجوهً وينوح والدمع في خد الزمان سفوح
لَمْ لا، وقد فُقد الذي بوجوده شخص الجهالة في الورى مذبوح؟

* * *

وقال مجيباً شاعر تونس الكبير الشاذلي خزندار:

يا شاذلي، يا فتى الآداب، يا قمرُ
ما زلت أُلحظ فيك الشعرَ مُنحَصِراً
يا خزندارَ المعاني، ما لمفتخرٍ
إذا أخذت طريقاً أنت قاصده
الجدّ في الجدّ تُنشيه وتبعثه
فأهل طابّة طرّاً فيك ذو ولّيه
وإن أردت مزاحاً في مداعبة
فلا تسل عن أخيك (البرّي) إن له
فأهل تونس أنس حين أذكّهم
أنت قصيدتك الغراء يحملها
فكان موقعها عندي وقد تُلّيت
وقمت فوراً بما وكّلتنني فرحاً
ثم الصلاة على المختار ما تُلّيت:

يا شمسَ فضلٍ لها في فكرنا أثر
حتى توحدت يرنو نحوك البشر
بالشعر بعدك حظ، أوّله خطر
أعطاك نطقك، لا يبقى ولا يذر
عقودَ فخر بها الإحسانُ يفتخر
كلُّ بشعرِكَ مفتون ومنتظر
تقاطر اللطف كالسلسال ينحدر
على تنائيك شوقٌ زاد يستعر
وعندهم مُنتي والقلبُ والفكر
(محمد الشلبي) السامي البها، النضرُ
كمثل مُجدبةٍ وافى بها المطر
وحسنُ ظنك عند الله معتبر
يا شاذلي، يا فتى الآداب، يا قمرُ

* * *

وقال يمدح شيخه الشيخ محمد الطيب التنبكتي الأنصاري:

صدعت بسيف سنائها الإطلاما
سفرت بأسفار العلوم وجمعت
وسطت أشعتها على ما دق عن
وتبسمت عن ناصع الدر الذي
وجلّت كؤوس القول من صوب النهي
وتقلّد المعقول والمنقول من
أمعيد مفخر مالك ومقامه
لا سيما في طابة في طرزه،
يا أحمد الفضلاء، بل يا أروع الد
أنا قاصر عن ذك ما قد حزنه
تطريز مثلي للذي قد صغته
لا يطرق الحساب أني قلته
فلائت أنور من دكا يا شمسنا
لكنني قد رمت تبريكي به
فلئن بسطت يد القبول لدره
وأريتني مأوى السها، وغمرتني
وبقاء مثلك للشريعة والورى
ثم الصلاة على النبي وآله
وافى بتكميل السلام مؤرخ

شمس تخيرت القلوب مقاما
ما كان للأسفار فيه مراما
فهم الورى، فاستظهرته لزاما
ترك الكواكب بتبغيه غراما
فسقت به الأفهام منه مداما
إشراق بهجتها البهي وساما
مامات مالك إن بقيت دواما
في زهده، أبدا يرى قواما
بلاء، بل يا من يشحذ الأفهاما
هيهات أحجمني السنا إقداما
لا يستقل بما حوت مقاما
كيما يكون لدى الورى مستاما
ولأنت أعلى في الأنام مقاما
ومن المهيمن أرتجي الإكراما
فلقد نشرت لرفعتي أعلاما
من سحب فضلك ما يكون سجاما
نور، قدم كهف العلوم دواما
والصحب ما أفشى الأنام سلاما
بيدي بهي المسك فيه ختاماً

٢٦ + ٢٧ + ١٥١ + ٩٥ + ١٠٤٢ = ١٣٤١ هـ.

* * *

ومدحه بقصيدة أخرى فقال :

نَشْرُ الشَّذَى عَنْ خَتَمِهَا الْمَتَمَسِّكِ يَقْضِي بِحَجِّي^(١) رُبْعَ ذَاكَ الْمَنَسْكِ
كَيْمَا أَشَاهِدَ مِنْ سَنَى أَنْوَارِهِ مَا يَسْتَمِيلُ بِهِ عَقُولَ النَّسْكِ
لِلَّهِ شَمْسُ مَعَارِفٍ كَشَفَتْ لَنَا عَنْ أَصْلِ فَضْلِ فِي مَنَاقِبِهِ زَكِي
وَأَرَى مَحَاسِنَ أَوْجِهِ مَا حَقَّهَا إِلَّا الْغَرَامَ بِهَا وَلَمَّا تَتْرَكَ
إِنِّي بِهَا مَا عَشْتُ حَلْفُ صَبَابَةٍ لِلانْقِيَادِ بِهَا بِحَسَنِ تَمَسُّكِ
وَأَرَى مِنَ الرُّشْدِ الْخُضُوعَ لِحُكْمِهَا وَأَرَى إِذَاعَةَ سِرِّهَا لَمْ يَفْرَكِ
وَأَرَى التَّسَامِيَّ فِي هَوَاهَا مَذْهَبِي وَأَرَى التَّفَنُّنَ فِي حِلَاها مَسْلُكِي
وَأَرَى التَّسْلِيَّ عَنْ مِثَالِ جَمَالِهَا إِثْمًا، وَصَبْرِي سَاعَةً لَمْ يُمَلِّكِ
يَا فَارِسًا أَرْدَى الْجَهَالََةَ بَعْدَمَا كَثُرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهَا فِي الْمَعْرَكِ
أَيْنَعْتَ مِنْ صَوْبِ الْعُلُومِ رُبُوعَنَا وَلَطَفَتْ فِي شَحْذِ الْفُهُومِ الْهَلْكَ

* * *

يَا أَحْمَدُ أَحْيَيْتَ سَنَةَ أَحْمَدِ وَنَشَطْتَ فِي إِظْهَارِهَا لَمْ (تَوْعَكَ)
وَعَدَوْتَ مَالِكََ فِي الْعُلُومِ جَمِيعِهَا وَقَطَعْتَ مَقُولَ كُلِّ طَائِشٍ مُلْبِكِ
يَا مَرشِدَ الْأَفْكَارِ بَعْدَ جَمُوحِهَا إِثْرَ الْعِمَايَةِ فِي الطَّرِيقِ الْحَالِكِ
وَمَقُومُ الْمَعْجُوزِ مِنْ آرَائِنَا وَطَبِيبَ أَدْوَاءِ الْقُلُوبِ الْحُسَّكِ
لَبَّاكَ تَقْرِيزِي يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْإِ حَسَانَ فِيمَا قَلْتَهُ فِي الْمَنَسْكِ
وَيَقُومُ بِالْمَفْرُوضِ فِيهِ لِأَنَّهُ هُوَ فِي رِضَاكَ مُوَحَّدٌ لَمْ يَشْرِكِ
لَا زَلْتُ دَوْمًا لِلْعُلُومِ تَبَثُّهَا تَعْلُو السَّمَاءَ بِفَضْلِ رَأْيِ أَسْمَكِ

(١) حجي : قصدي وزيارتي .

ثم الصلاة مع السلام على الذي بسناه أنقذنا هدى من مهلك
والآل والصحب الكرام تعمهم من نشرها بمُصنِّدٍ وممسك
ما لاح نجم في السماء، وما بدا نورٌ على هام الربى في مسلك

* * *

وقال يمدحه أيضاً:

أفشت سعاد حديثي المتكثما
أبعد ما ذهب الغرام بجديتي
هو ما يراه، وكان أمراً مُبرماً
ساروا بسالبة النهي مرغومة
لا بوركت تلك المطايا إنها
فلترضني زُهر النجوم مسامراً
قد عاد يوحشني الزمان تعبساً
يوم النوى، وأحالت الدمع دماً
أخشى الرقيب بحالنا أن يعلمنا
كشف الرحيل غطاءه كي يُعلمنا
لولا الحيا لمنعت أن تتقدماً
سارت على مُهَج، ورضت أعظماً
من بعدها، حتى الصباح منادماً
من بعد ما آنست منه تبسماً

* * *

علامة العلماء واللج الذي
الصائب الرأي المنير بصبره
ما سار في ذا العصر في سبل الهدى
يا ابن النهي، وأخا الهدى، وأبا التقى
أنا لا أشك بأن من ينمى إلى
أما العلوم فإنها يا حرزها
فاسلم فإنك شمس كل فضيلة
ترك البحور جداولاً إن أقدمنا
الثاقب الفهم، الفصيح تكلمنا
كمثال أحمد للرشاد مقوماً
بوركت من شرف أضاء فعمماً
خدمات هذا الفضل كان مكرماً
لولاك ضاعت وانزوت أن تُعلمنا
ووسيلة للخير تغدو دائماً

* * *

يا أيها القطب العلي مقامه
هذي بضاعة مرتجي الدعوات من
هي إن تكن مزجاة في عين الورى
ورضاك عنها خير ما كسبت يدي
السائر الصيت المكرم حيثما
تلك الشمائل إذ رأت أن تنعما
فكثير إخلاصي سيعليها السما
فاشمل بحلمك عيها المتوهماً

مهما تكن فالقصد منها أني
هي جدول من بحر شيخي مَنْ سُمِّي
هاتيك نسبتني التي أزهو بها
ثم الصلاة مع السلام على الذي
والآل والصحب الكرام ومن قفا
أحظى بأنوار الدعاء إذا سما
بمحمّد ذاك الذي يُروى الظما
بعلائكم، والفضل ينسب كيفما
بهدهاء سُدنا في الأنام تكرّما
آثارهم يرجو السلامة دائما

* * *

وقال مهنثاً الحكيم عبد القادر نيس:

أهلاً بنسل أفاضل الأنصار	الطَّبُّ عبد القادر الأنصاري
لك في الفحول مزية معلومة	منسوبة لمدينة المختار
حَكَمَ من الله الكريم حويتها	وبلغت فيها مجدَّ كلِّ فخار
كن كيف شئت فإن قدرك معتلٍ	فوق السماك، ولستُ فيه أواري
ما أنت إلا نخبة من سادة	شادوا بنا الإسلام في الأفكار
عيدُ الحجيج مع الزيارة واللقا	في طابة، وسماعكم أشعاري
بسمتُ بذا الدنيا فنلتَ كمالها	والعفو في الأخرى من الأوزار
دانَ الثناء لعِظَمَ قدرك فاستمع	دراً يهجنُ حسن كل دراري
أنتَ الحكيم بطبه وبعقله	والمجدُّ فيك مكملُ المقدار
لك في نفوس أولي الفضائل والنهي	تقديرُ فضلٍ مثلُ بذر سارٍ
قادتُك للإسعاد نفسك وارتوت	من ماء طابة، فالسعود مُجارٍ
أنعمَ بمسجدها وروضتها التي	هي جنة في أصدق الأخبار
عالجَ همومك بالدعاء بها، وزر	خير الخلائق، إن سعدك وإرٍ
راح الكمال يخصُّ ذاتك قائلاً:	أهلاً بنسل أفاضل الأنصار

* * *

وقال مادحاً الدكتور سعيد بك مصطفى، مدير صحة المدينة سابقاً، ونشرتها جريدة المدينة بعددها (٨) في ١٧/٣/١٣٥٦ هـ:

أما الشناء فإنه بك أليق	في مثل طبك يا (سعيد) يحقق
لك في اصطناع العالمين صنائع	أبداً بفعلك في الوري تتألق
(بقراط) عصرك حكمةً وتفناً	فكأنه من فيك دوماً ينطق
لك (جسّة) في نبض كل ممزق	بيد الضنى، ترفو السقام وترتق
لك مقول يغني المريض عن الدوا	فكأنه برء عليه يُخندق
طوراً بأصناف العلاج وتارة	بالجود، فالإحسان منك محقق
وتسوس كل مصرّع ومخبّل	أبداً، ويعطيك القياد (الأحمق)
وتشارك المسقوم في أسقامه	ويرنّ قلب منك حقاً مشفق
كيف التشكّر بعدما أخرستني	بمحاسنٍ قد ضاق فيها المنطق
يكفيك مني أن أُشيد بشيمة	وخلائق من طب فعلك تعبق
فاسلم دوماً للمكارم والعلی	ولعارفيك فكلّهم بك مُحَدّق
ما قال شادي الدوح فيك مردّداً:	أما الشناء فإنه بك أليق

* * *

وقال مادحاً الدكتور محمد علي الشواف مدير صحة المدينة:

الفضل أولى أن يكون مقدراً
أولى الورى بالمدح من يسعى لما
أمر تدور عليه غايات النهى
(أمحمد الشواف) إنك للورى
وتزيد بالأخلاق والتلطيف ما
فكأنك الإحسان جاء مجسماً
كم من عليل موته كحياته
قسمان هذا العلم: علم تطب
هذا لإصلاح النفوس وصقلها
والروح أجدر أن تكون سليمة
يا قوم إني للشفوق لعاشق
أنا لا أرى (الشواف) إلا نعمة
في كل يوم للمسامح حكمة
إن العيون جميعها شوافة
يأتيه جمع بالسقام مكسّر
في الحال ينعتّه بجمع سالم

ويكون في نظر التمدّن أزهر
فيه صلاح الجسم إن سقم عرا
وبه يرى العمران غصاً مثمرا
بقراط، صار الحظ منك الأشهر
جئت العليل، نرى لبشرك مظهرا
في رافة كادت لنا أن تقطرا
لولا الأساة لعاش عيشاً أكدر
وديانة تهندي السعادة للورى
والطب للأجسام جاء معمراً
ولذاك كان الشأن فيها أكبرا
لا سيما إن كان شهماً أخيراً
ريضت لطابة فضلها لن يكفرا
عنه تقال، وبالتشكر تشتري
بعد العشا، (شوافها) بين الورى
في بيته فُقدت لذاذات الكرى
بغرائب الإسعاف لن يتأخرا

* * *

وقال مطرّاً، تقديراً وتهنئة للشيخ محمد رفيع الدهلوي:

مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً	بمحمد رفيع المفضال
حزت من ربك العفو والغف	ران فانعم وكن حميد خصال
مثلت نفسك الكريمة إذ زر	ت نبيّ الهدى بأسعد حال
دنت لله إذ أتيت لحجّ	منه ترجو مواقف الإقبال
روح الروح وسط روضة خيّد	بر الخلق واجنّ السماح بالأفضال
فزت بالمسجد الشريف فأدّ الف	رض فيه موقفاً للكمال
يا سعيداً حزت السعادة فاهناً	ستنال المنى وكل سؤال
عش عزيزاً ففضل ربك دوماً	لك قد حفّ بالرضى والجمال

* * *

وقال مطرّزاً ومهنئاً الشيخ محمد سعيد:

أبدأ ثناؤك بالرضا يتقرّر	وعيلك منه من المجادة منظر
شيء خصصت به وكنت موفقاً	فاسلم فسعدك في المجمع أكبر
يا زائر المختار، أبشّر بالمنى	ولك السلامة ما بقيت تقدّر
ما كل من نال السعادة حائزاً	فضل الصلاة بمسجد هو أشهر
حقّق به معنى الثواب فإنه	بالألف محسوبٌ وذاك مقرّر
ما أحسن الدنيا إذا اقترنت بما	فيه الديانة لا تزال تكرر!
الدين والدنيا هما الحظ الذي	يرجوه صافي العقل حين يفكر
سلم على المختار، أدّ تحيةً	كيما تحوز جوابه يا أفخر
عفو الإله بحجك المبرور مرّ	جو، وأنت بحسن ظنك تؤجر
دُم هكذا والحال ينشد دائماً:	أبدأ ثناؤك بالرضى يتقرّر

* * *

وقال مطرّزاً، تهنئةً وتقديراً للمحترم: متين أحمد:

مدحُ اللسانِ على مثالك يطلّق	وعليه فيك من السّاحة رونق
تأتيك أزهارُ الشّاء كأنّها	زهر الخمائل، أو كشمسٍ تُشرق
يا قادماً نحو المدينة زائراً	متواضعاً، والحال منها ينطق
نادتك طابّة فرحة وتودّداً	اهناً فإنّك في الأجور موفّق
أدّ الصلاة بمسجد المختار كي	تحظى بالف، فالثوابُ محقّق
حز فرصة الدعوات، إن كنت الفتى	في روضة المختار عفو يخفق
ما أنت حين تزور أشرف مرسل	إلا سعيدٌ شأؤه لا يُلحق
دم هكذا في كل عام حاجباً	أو زائراً، والسعد حولك يحدّق

* * *

وقال مادحاً ومهنتاً فضيلة الشيخ زكريا التانوي، بمطرز:

الشيخ في الكون مثل الشمس في النور
له التجلة دوماً والكمال، ومن
شيخ يرحب في إقباله طرباً
يقول: أهلاً لمن قد زار مسجدها
خالٍ من الغش، بالإخلاص متصف
زرت النبي وهذا الفوز أجمعه
كن شاكراً ربك الوهاب في نعم
رح سالماً ظافراً بالعفو مكتسباً
يا عالماً طالما سارت فضائله
أتاك مدحي والتقدير باعثة
إن المعارف في الأكوان صورتها
لك البشارة في العقبى وعاجلة
تلاًل الدر من نظمي لأن له
إن السعيد سعيد حيث كان ولا
نعم المديح لمن بالعلم متصف
وجه المفاخر بالإقبال متجه
يا حسن بدئي وختمي ما أخاطبكم:

وأصله في البها من أصل إكسير
حاز الفضائل يمشي في صفا النور
جو المدينة عن تعبير تقدير
مع الرسول بشوق منه منظور
بلا رياء، بعيد من أذى الزور
فاظفر بحج مع الإقبال، مبرور
كيما يراك بسعي فيه مشكور
بحسن ظن يقي من كل محذور
سير السحاب بمغمور ومعمور
فارجع بثوب الثنا في شخص ماجور
مطبوعة فيك مع رأي وتدبير
أنت الجدير بإسعاد وتبشير
برصف مدحك ضوء غير منكور
مثل السعيد سعيد غير منفور
به يزان بحظ فيه موفور
لوجه مثلك في خير وتيسير
الشيخ في الكون مثل الشمس في النور

* * *

وكتب في صدر كتاب للشيخ أحمد باعشن :

يا أحمد الخيرات مثلك ماجد	يضحي بمدرجة الشاء قليلا
يقضي السماح على سلاسة جوده	ويكون هذا الرأي منه نبىلا
أخجلتني بالبر إذ طوّقتني	منناً دعنتي لليسار نزيلا
وتركتني رهن الدعاء بروضة	بعلوّ قدرك دائماً مشغولا
وردت عطيتك الكريمة، إنها	آس يعالج للشفاء عيلا
فالله يعطيك الثواب مع الرضى	فضلاً يكون على الدوام منيلا
فاقبل تحية شاكر لصنيعكم	واعلم بكونك للسماح خليلا

* * *

وله مديح في الشيخ أحمد البساطي علي البديهة :

سألت الناس عن شهرهم مجلّ	بأثواب الصلاح على الصراط
فقالوا: ذاك أحمدكم سماحاً	ونعني شيخكم ذاك البساطي

* * *

وقال مطرزاً مادحاً أحد أصدقائه في أسلوب غزل:

أنا في الهوى عبد الحسين	ملكتُه رقي بعين
لا حظ - عذالي...! - به	عندي سوى خفي حنين
سلمته لما بدا	قلبي بكلتا الراحتين
يا لائمي أنت القبيح	فلم ملامك في حسين؟
دعني فعقرب صدغه	يُردي القلوب بأسودين
حكمته في مهجتي	فأذاقها ثكل الحسين
سبحان مزهر خدّه الز	اهي الأسيل بوردتين
يلهو ويلعب بالعقول	بمقلة وبحاجبين
نادمته فإذا الرقي	أوهت قواي بكلمتين
اللحظ والألفاظ، ما	سلب الرشاد بغير دين
لا صبر لي عن حسنه	حتى ولا بدقيقتين
صبري سفاه في الهوى	من يشتري أثراً بعين
رحماك يا من قد غدا	وتراً لشفع النيرين
أنا ليس لي جسم يطيق	الهجر يا روعي وعيني
فقت الحسان محاسناً	واجمع إليك الحسنين

* * *

وقال مطرزا^(١) ومادحاً الشيخ عباس قطان، على سبيل

المداعبة:

أنا في وداك دائماً مفتون
لا أعذل العشاق في دعواهم
شاءت بك الأيام أنك سيدي
يا أيها الودّ الصراح، ومهجتي
خل السماحة من تراه لدى الوري
عبست لي الدنيا فلما جاءها
بالله أقسم أن مثلك في الوري
إن ابن يوسف من سلالة معشر
سبحان مورثهم وداّد معاشر
قل فيهم ما شئت إن علاهم
طيب وأخلاق ولطف مجالس
أنا شاكراً، أنا شاعر بعلاكم
نمّقت بالتطريز اسم بهائكم
أهذي بحبك، والجنون فنون
لكن عذير في الهوى وأمين
شيء خصصت به وذاك ثمين
يا إلف أهل ظرفه المأمون
خيراته، ملء الزمان تكون
(عبّاس) وافي بشرها المخزون
بادي الوجاهة، بالعلاء قمين
أمّوا المعالي، والكمال خدين
ساموا الكواكب، والرشاد يعين
قد قرّرتَه ألسنٌ وعيون
طابت لديها للصحاب فنون
أنا قائل: إني لكم مرهون
نعماً أغيظ بها العدى وأهين

* * *

(١) يلاحظ أن التطريز شمل الصدور والأعجاز.

وقال معاتباً السيد جواد صراف بن السيد راضي، بمشجّر:

أسفي عليك ومن يودّك يأسف
لصفاك مثل الروض طاب نسيمه
ساقيتني ملء الزمان أخوة
يا ويل: أهلاً، في الوداد ومرحباً،
دعني فما جمر الغضا بأحرّ من
جُبلت على نبذ الوفاء طباعه
وتراه لو ضايقته في مسلك
أتلو السلو على ملامح وجهه
داريته طُبّق الصفاء فلم أجد
صبراً فأرشاد التجارب في الورى
راؤه بل كادوه حين تحاملوا
أتراهم أغروه، بل غرّوه كي
فلأشمخنّ بأنف أب في الهوى
بلوأي أني لا أزال على النوى
نعمّ التصاحب في زمانك ضحكة
أما الوفاء فماله في عصرنا
لولا ممالحة بُليت بحفظها
سقمي سجايا كاللجين رزقتها
يَهدي إلى حفظ العهود تفكّري
دم كيف شئت على صدودك ساخطاً
(رجب) سماعي إن تكن يا عاذلي

ويفرّ بدءاً قبلما يتعرّف
لكن جنيّ الجمر منه يقطف
حتى ثملت، وبأن فيك تصوّف
هي أصل قولٍ للعقول يزخرّف
إعراض خلّ ظالم لا ينصف
حتى السلام يبين منه تكلف
بيدي التغافل ريشما يتحرّف
فأعد نفسي جاهلاً لا أعرف
لي من لقاء جانباً يتلطف
سيريه مني صاحباً لا يقذف
في حظ قدري عنده، بل أجحفوا
يُخلّوه من خلّ عليه يغطف
عن مشرب فيه أذلّ وأكسف
من ذكر هجره أذوب وأنحف
هذا إذا وُجد الصفيّ المُسعف
إلا رسومٌ ذكرها يستلطف
لحسبت نفسي سالياً لا آنف
لله شكري، لا تزال تشرف
ويذاد عنه عاذلٌ ومزيّف
أو راضياً، لا بدّ يوماً تعرف
(شعبان)، فالدنيا شهوّر تُردف

أنا ذلك الجلد الصبور لأنني أدري بأن الصبر خير يخلف
ضاع الوداد بربع صدِّكم سُدىً لكنه قد ضاء مني يشرف
يهديكم مني أعزَّ تحية هي بين أهل الذوق حقاً: قرقف

* * *

وقال يشكر الشيخ داود وصفي ، بمطرز:

إليك أسوق الشكر وهو لزام	فذا الدر محثواً عليك: تزام
شكرتك فعلاً بالقريض مخلداً	لمأثرة بالجاه منك تقام
كفتك على رغم الحسود شهادتي	بأنك فردٌ، في الكمال تمام
رقت بي أيادٍ منك أكرم منزلٍ	له بين أعلام النجوم مقام
وأدنت لي المقصود من مدح مالك	له الكون دارٌ والزمان غلام
لك الله قيّدت القلوب محبة	وأطلقت شكري، وهو فيك دوام
شملت بحسن الخلق شملي ولم أزل	بلا منتهى منها يسير سلام
يمين لقد أصبحت ملجأ قاصد	وباب جميل ما عليه لزام
خُلقت زماماً للمكارم والعلی	فلا انبت منها ما بقيت زمام
دعوك بداود الوفاء تطابقا	لمعنى به يوفيك منه ذمام
أصدقاً وحلماً أم صفاء سجية	ترأيت حسناً، والحسود يضام
وماكان- والمعروف يجرى- سوى البها	يصاغ له في الجيد منك نظام
دراريّ هذا الأفق أجدر لو علت	يداي، وليت الزهر منه ترام
وكيف التواني عن أداء فريضة	يحرّم تركي عندها ويذام
صدقت فأبديت الصنيع متمماً	وأنت مع الإحسان فيه تُرام
فلا زال طوقاً يزدري الدر عقده	فجيدي له دون الأنام حمام
يفوح له نَدّ الوداد، وإنه	لَمِسْكٌ يراعى للجميل ختام

* * *

وقال مادحاً إسماعيل حفطي رئيس ديوان إمارة المدينة :

بالصدق، بالعهد، بالآداب، بالحكم	والظرف واللطف، والإحسان والكرم
أم بالحجى والعلى، والكيس والشيم	أم بالصفاء والوفا، والرعى للذمم
أبين وصفك (ياسماعيل) ممتدحاً	وأنت أشهر من نار على علم
لم يجذب الربع من ودي وأنت به	يا من شمائله في صحبتي، ديمي
بمن أقيسك في الأتراب محتكماً	بمثل ما حزت من فخر ومن همم
كيف الوصول إلى وجدان ذي ثقة	من بعد ما قد قضى التجريب بالعدم
قد عز ذلك في عصر نعيش به	وأنت زينته، طود من الشيم
فمن رأى لك قرناً بين أظهرنا	في مثل مجدك لم يبعد من اللمم
وأنت (أحنفنا) حليماً، (سموألنا)	وفاً، (إياس) لنا في سرعة الفهم
وما تفرست في الجلى لمعضلة	إلا استبنت الخفا في مبهم الظلم
كان رأيك مشكاة منورة	تجلو دجى ظلمات الجهل بالحكم
فحق مثلك أن أملا بمنظره	عيني، ومنطقه سمعي، ولم ألم

* * *

وقال مؤرخاً زواج محمود بن عباس قَطَّان على بنت عاكف
(أفندي)^(١) سنة ١٣٥٧ هـ:

محمودُ ألقطان أنعمَ زاهياً	فبك الهنا أبدى لنا أفنانه
حاربت شيطان الفواتن والهوى	لما اقترنت، مزايلاً سلطانه
وملكت شطر الدين صوتاً فاتق الشـ	طر الأخير، ولا تُزَلِ إمكانه
ولك السلامة والكرامة دائماً	والبختُ فيه مثبت أركانه
دم مسعداً فأبوك أفخر من سما	متملكاً مجدداً أعزَّ زمانه
أمسى قرانك أيها البدر البهي	بالشمس سعداً عم منك مكانه
لله عرس قد تعدل وقته	(رجب) يقرب زينة ميزانه
قد راق عقداً فهو عقد مكارم	أم السعادة أورثك جُمانه
طيب وجودك بالهناء مجملاً	والبس بهاً ألقى إليك أمانه
أما الهناء فقد تكامل حظه	وغدا يغني إذ أتى بستانه
نعم الزواج أتى به تاريخه	السعد سعدك إن رأيت قرانه

* * *

(١) غير واضحة في الأصل.

وقال مؤرخاً^(١) زواج إبراهيم مفتي على بنت أمين أنصاري :

زواهر الحظ لاحت بأفق سعد وصدق
فقلت حين تجلت للعين في حسن نسق
وصدحت بالتهاني سواجع السعد تُرقي
تُبدي الثناء جهاراً بشجو نغمة نطق
يا صاح هنئ وأرخ قران خير بأفق

٣٥١ + ٨١٠ + ١٨٣ = ١٣٤٤ هـ

* * *

(١) يعرف هذا التاريخ بحساب الجُمَّل، وذلك بمقابلة الحروف بالأرقام المقابلة لحروف (أبجد - هوز - الخ)، وتحسب الحروف عادة على صورتها، دون مراعاة لفظها، فتحسب - مثلاً - ألف كلمة (فتى) ياء، وتاء التانيث المنقطة تاء، وغير المنقطة هاء، ولا يحسب المشدّد إلا حرفاً واحداً، والهمزة التي لا كرسي لها لا تحسب شيئاً، ويحسبون ألف الإطلاق ألفاً... وهلمّ جرّاً.

وقال مهنتاً آل الخريجي بمناسبة زفاف ابنهم سليمان العبد العزيز. ونشرتها جريدة المدينة بعددها (٢٨) في ١٣٥٦/٨/٩ هـ:

أدام الله أيام التهاني	وضاعف سعدها لطفً وأكرم
أمير المؤمنين أرى زماناً	بسعدك سعده أبداً مقدّم
زمانك كله فرح وعزٌّ	يكون لدى الرعية فيه مغنم
سعود من علائك مستمد	كأن الجود منه قد تعمّم
على وفق المسرة قام يشدو	هزار الأنس في الشهر المعظم
رأى أفق السعادة ضاء حسناً	قران النيرين به تبسّم
رأى فلکاً يدور بكل خير	وإقبال وأفراح تنظم
رأى كل المدينة في سرور	لسان الفرح فيها قد تكلم
يهنئ بهجة آل الخريجي	وينشر طيب ما فيها، يتمّم
يحق لسنة المختار جهراً	بأن تُعلی إشادتها وتكرم
رأى عبد العزيز لها اعتناءً	فخصصها بأفراح وعمّم
وفسر مجمل الأخبار فيها	وحكّمها عليه ثم أولم
وصار لنجمله فرح عظيم	سيبقى في مخيلتنا مخيم
ليحظى بالبنين فإن فيهم	بقاء الذكر والحب المقيم

* * *

وقال مرحباً ومهنئاً بعقد نكاح عبد الرحمن بن محمد الخريجي

سنة ١٣٦٤ هـ:

نادي السرور بمثلكم يستبشر
ناد تالاً بهجةً بوجودكم
ويقول ما لحظته عين حسوده:
ومهينم بين السورى مترّم
لِمَ لا آتية على النوادي كلها
قد نوه الشرع الشريف بقدرها
وهي التي بين الخليقة كلها
قد حثّا فيها النبيّ فشأنها
ولذا أجبنا طائعين وكلنا
فلئن أجبتكم قد أصبتم، إنها
جمّلتمونا بالحضور فكلكم

وبيؤمن طلعتكم يظل يعطر
فعليه من سمة السعادة منظر
الله أكبر والحسود يصغر
إنّي بأصناف البها أتبختر
وبسنة الدين الشريف أكبر..؟
أنا بها يوم التفاخر نكثّر
يوم القيامة بالتباهي تُذكر
لا يستهان به، وحقاً يشتر
رهن الإشارة عندما هو يأمر
من سنة الدين التي لا تنكر
مفضل، والكل منا يشكر

* * *

حيّ الأمير فإنه أسّ العلى
أميرنا ما أنت إلا زينة
لسماح (عبد الله) فيه بدره
إن (السديري) البهيّ أخا الندى
فله علينا الشكر إذ بحضوره

وبه انبرى فجر السعادة يسفر
في كل حفل بالمفاخر تحضر
وبوجهه ليل المسرة يقمر
شهم به الأفراح حقاً تفخر
لنا المسرة، والجميع مقدّر

* * *

يا أيها المتفضلون بجمعهم في حفلة للدين فيها مخبر

ومكثّرنا بالحضور وبالإخا
أهلاً وسهلاً، مرحباً بأمانيل
حقاً لكم حسن الشناء يحرر
زُهر، بهم نادي المسرة يزهر

* * *

آل الخريجي أسرة محظوظة
منهم علّاً (عبد العزيز) وصنّوه
والكل منهم ماجد في فعله
يا (عابد الرحمن) خيرك مقبل
ولك الرفاء مع البنين فعش بذا
لتسير سيرة آلِكَ الغرّ الألى
وبكل حسنى في الأنام تفسر
ذاك الـ (محمد) في البها متوفر
بعوائد الدين المبين مشمر
أنت العروس، لك الهنا يتصوّر
طول الزمان، وأنت فيه تخطر
عطرُ الشناء بمجدهم يتكرّر

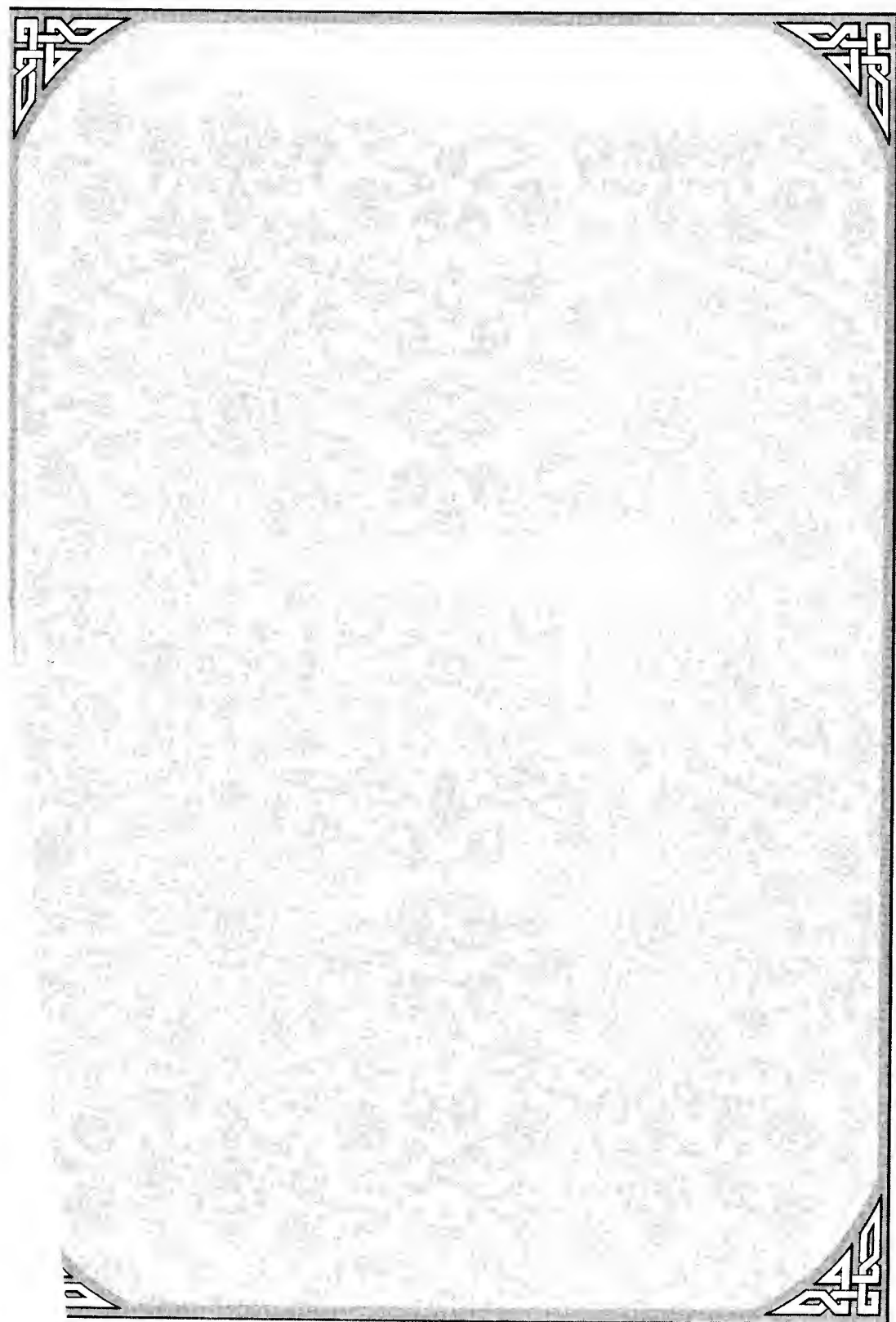
* * *

يا سادتي إن المفاخر كلها
(عبد العزيز) مليكنا المجد الذي
ولايه ينمى أصل كل مسرة
فالعز فيه وفي بنيه محقق
والسعد فيه، ثمّ منه يقتنى
فلنبتهل حقاً إلى الله الذي
ببقائه فينا دواماً سائر
ويديمه ظفراً بكل مسرة
ليرى به الإسلام عهداً زاهراً
آل السعود الغرّ قد ملكوا الورى
فإذا انتميت إليهم أدنوك من
فالله يحفظهم جميعاً إنهم
محصورة في ذات من هو أفخر
صارت به الدنيا بحق تفخر
ومبرة، ومكارم لا تحصر
ومؤكد ومؤصل ومقرّر
وبمثل خدمته السعادة تحضر
أعطاه ملكاً بالبشائر يمطر
في صحة منها العدا تتأثر
ويعينه فيما يريد وينصر
بشباب إقبال يدوم وينضر
بشمائل ما حازها متأمر
مجد يصاحبك الزمان ويكبر
للدين قد خلقوا، ومن ذا ينكر؟

* * *

يا سادتي بكمُ استنارت حفلة إن الجميل لمثلكم يتقدّر
فلكلّكم عقيب السرور تخصكم والكل منا بالتشكر مشعر
ما قال في مسك الختام مؤرخ: أنجب بخير فأله سيعمر
 $٥٦ + ٨١٢ + ١١٦ + ٣٨٠ = ١٣٦٤$ هـ

* * *



== تاریخیان ==



وقال مادحاً رسول الله ﷺ:

هام الفؤاد بحب الغيد وانعطفا
فالنفس تُصلى بنار الحب من ولهِ
قد كنت أحسب أن الحرّ منتبذ
حتى غدا لي شغلاً شاغلاً أبداً
وعدت في زمرة العشاق منتظماً
قالوا: عهدناك طباً سالكاً أبداً
فقلت: هذا الهوى صعب صيانه
رويد عذلكم، فالعذر متضح
بيض الخرائد قد أرقنني ولهاً
فصرت ألهج بالتشبيب مرتجياً
قد تسحر الخفِراتُ الغيدُ رافلةً
وترشق الناعساتُ الطرفَ في كبدي
ما البانُ، ما الطلل العافي ودمتته
يا ويح قلبي أنهاه الهوى شعباً

فمقلتي مُزنها بالوجد قد وكفا
والعقل في شرك الأشواق قد خطفا
عن الغرام، وعنه الدهر قد صدفا
وصرت بالصدِّ والأسقام ملتحفاً
أسمو برتبة وجد فخرها عرفاً
سبل الرشاد، فهلاً دمت متصفاً
إن كنت مستتراً فالسقم قد كشفاً
لو شئت أنشره أمسى لكم صحفاً
سودُ الغدائر قد صيرنني دنفاً
روحاً أزاوِل منه الأنس مرتشفاً
في الحلي غراً كقلبي، إن دنا فهفاً
سهماً يصيب فيصمي، ما أصاب عفاً
سوى توقُّد قلب للغرام صفاً
شتى، ومُظلمة الأرجاء، فاختطفاً

من دمه، إذ غدا للحب مزدلفا
والقلب في لجج الأشواق قد تلفا
إذ ظل لا يهتدي للهلك منصرفا

* * *

لاتخش بأساً، ولو حال الهوى انكشفاً
تُهْدَى وترجو لما أضناك فيه شفا
بنور وحي لإظلام الضلال نفى
وأحمد خير خلق الله ما وصفا
وسيد السادة الأمجاد والشرفا
قبلاً، وسيد من يأتي ومن سلفا
وسيدُ عهدُهُ في العالمين وفا
مكارماً كان فيها خيرٌ من خلفا
إذ ظل يَمْحَق جهلاً كان فيه خفا
شمسُ أضواءت، أبانت كلَّ ما لطفاً
بين الأنامل منها، كلهم رشفا
لأنه كان بالأنوار مكتنفا
إن السعيد سعيد كيفما اتصفا
وطيب عنصره الأسمى علّا شرفا

* * *

يصلي بها لهباً يذكي بمنسكب
فالنفس حامية الأنفاس من شغف
والعقل مضطرب قد حار في شُعب

قلبي أفيك الردى مما تكابده
نعم بمدحك خيرَ الخلق كلهم
هو الرسول الذي أولى الأنام هدى
محمد صفوة الباري ورحمته
وسيدُ العرب العرباء من مضر
وسيد الواطئين الأرض من بشر
وسيد، خيرةُ الباري ونخبته
هو المتمّم بعد الرسل أجمعها
بدر يزيد على بدر السّما شرفاً
أزبى على الشمس في الأكوان فهو بهاً،
والماء فاض يروى الجيش قاطبةً
والجذع حنّ إليه عند فرقة
هذي المكارم والإحسان أجمعه
له الخوارق تترى قبل مولده

وقال حين بدأ الترك في الجلاء عن المدينة، وهو بالشام سنة

١٣٣٧ هـ:

يا معشر الإسلام ها كُمْ عِبْرَةً أَضَحَّتْ مَبِينَةٌ
وَتَمَعَّنُوا دَرَرَ الْحَدِيدِ لِأَنَّهَا دَرَرَ ثَمِينَةٌ
أَوْ مَا تَرَوْا بِالذَّلِّ عَيْدَ مَنْ التُّرْكُ قَدْ أَضَحَّتْ سَخِينَةٌ
وَلَمْخُوهُمْ أَرْخُ: (جزأً لشقائهم آذوا المدينة)

$$١١ + ٤٧٧ + ٧٠٩ + ١٤٠ = ١٣٣٧ هـ$$

* * *

قال مادحاً الشريف علي بن الحسين، ملك الحجاز السابق:

إن ظلّ قلبي للغرام مطيعاً
 أو بعد ما صدع الحشَى لحظّ المها
 هيهات قلبي لن يُرى متمسكاً
 لولا العوارض لم أزايلُ مربعاً
 لو كان يغني عاشقاً تذكّاره
 ومن العجائب أن تراني راضياً
 أو كلّما شمتُ البوارق نحوها
 لم أنسها والبين يرمي مهجتي
 (يسطّت إليّ بنانةُ أسروعاً^(١))
 تبا لها ما كان أعلمها بما
 (كادت لعرفان النوى ألفاظها
 فالحب ما يمتّ ينزع مهجتي
 وأمرٌ ما يلقي المروّع بالنوى
 فيزيد في تبرّحه، ويخاله
 يتخالف التعبيرُ فيما بيننا
 كالمدح في إخلاص من أنا غرسه
 وأري الدّراي أيّ أفق سماحةٍ
 ما ظلّ سمعي للعذول سميعاً
 أرضى السلوّ، وأتبّع التشنيعاً^(٢)؟
 بجنى المحال، ولن يُرى مخدوعاً
 ألفيتُ فيه مقصدي مجموعاً
 داوى به كلّ الغرام جميعاً
 من بعد (أروى) بالخيال قنوعاً
 أغدو لتذكّار الديار صريعاً
 بسهام خطب يُتزعّن نزوعاً
 تصف الفراق، ومقلّة ينبوعاً
 يفدي النفوس، تذوب منه ولوعاً
 من رقة الشكوى تكون دموعاً
 شوقاً إليها، قائماً وضجيعاً
 نوح الحمام مرجّعاً ترجيعاً
 خلّو الفؤاد مسجّعاً تسجيعاً
 غنى وناح، لما نحنُ تبيعا
 أغدو على تنفيذه مطبوعاً
 أقنعت دري أن يكون رفيعاً

(١) التشنيع: يقصد ما ينقله الوشاة للتفريق بينهما.

(٢) الأسروع: دودة بيضاء رأسها أحمر، تشبه بها عندهم أصابع النساء، جمعها

أساريع.

في أيّ تاجٍ صغته متأنقاً
في أيّ منزلٍ مفخر أنزلته
فيمن يقول: المصطفى جدّي، علّاً
في سيّدٍ لو قد بذلنا جهدنا
فيمن ينير من السماحة وجهه
فيمن تخيّرهُ الإله لطابةً
فيمن يوازي الراسيات وقاره
فيمن تصوّر غاية، بل آيةً
فيمن به كبد الحسود مفطر
في ابن الحسين أبي الغطارفة الذي
فيمن علا لفظاً ومعنى قدره
ولخوفه فقد المناوىء أمّنه
تغني غناء الجيش نظرة لحظه
أنى لو استفرغت جهدي مادحاً
أو مدّ فكري كلّ أضمع مصقع
لا تلزمني واجباً ما إن له
وطريقة فيها (وليد^(٢)) مطرق
أو كان شاعر (كندة) نظّامها
خذها مثقفة القوافي، ربّها
وبصدقه ينمى إليك بخدمة

ومراقباً في أن يعنّ بديعا
في أيّ مجد شدته ترصيعا
وله الورى تفدي النفوس خضوعا
في مثله لم نلفه مشفوعا
نوراً يضاهي النّيرين طلوعا
غوثاً وغيثاً، ملجأً وربيعا
ويكون كهف اللّائذين منيعا
للملك والشرف الرفيع جميعا
ويُرى به أمرُ العدا مقطوعا
ملاً الزمان مهابةً وخنوعا
وغدا بذلك في الورى مسموعا
والقلب رُعباً، والعيون هجوعا
فيُرى الخميسُ لربعها مسبوعا
ونظمت أزهار الرياض بديعا
أعيا عليّ الوصف أن أسطيعا
يغدو (حبيب^(١)) في المديح قريعا
بالعجز، يفرّق هيبه وخشوعا
أعياء أفقك أن ينال طلوعا
عبدٌ لمجدك، خاضعاً ومطيعا
تركت ديارى بالربيع مريعا

(١) حبيب: يقصد الشاعر أبا تمام.

(٢) وليد: يقصد الشاعر البحري فإن اسمه الوليد.

ورضاك عنها مَهْرُها، وإشارةً تكفيه منك مدى الزمان صنيعا
فاسلم فسعدك في البرايا شامل منا الأصول بنوره وفروعا
ولك المكانة من فؤابة هاشم تدنيك من قهرِ الأنام جميعا

* * *

وقال أيضاً مادحاً الشريف الحسين ملك الحجاز السابق،
ومهنثاً، في ١٢ ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ هـ، وسماها: (كشف اللثام):

بشرى أسيرها إلى الأكوان
ألفت عصاها واستقرَّ بها النوى
بسم الزمان به وكان معبساً
آبَتْ فآبَ لها السَّنا بحلولها
في ابن الأئمة من قريش، في الذي
في أشرف الشرفاء في إبانه
من بعد ما مرَّت دهور تشتكي
وتداولوها اسماً ورسماً لم يفوا
لم يعلموا أن الخلافة حرة
كلّا ولا من فوقها أصلاً يدُ
وتداولوها والقلوبُ شجيّة
حتى إذا سلب القضاء هداهم
حكموا بمخو رسومها من قُطْرهم
أما وقد كُشِفَ الغطاء وصرّحت
لم يبق للإسلام شك بعد ذا
نبذوا الشريعة خلفهم وتبّعوا
نبذوا عهود الله خلف ظهورهم
ما سُرَّ إبليس اللعينُ بمثلهم

مشتِ الخلافةُ في بني عدنان
واستقبلتها للحسين يدان
إذ كان طبق عقائد الإيمان
في آله في الربع في الأوطان
أخرى بها في الناس في الأكوان
في أصلح المُلّك في الأزمان
تغريبها وتلاعُب الولدان
بحقوقها زعماً لها لفلان
ما قيدت بمجالس الأعيان
إلا يدُ الملك العليّ الشان
مما بها من إنسها والجان
وتسيطروا جبراً بلا إيمان
فعلاً وطرد ملوكهم بهوان
أنباؤهم عن خزينة الأزمان
في أمرهم مذ قام للأعيان
قوميّة الجمهور نحو لسان^(١)
وتوجّهوا كفرّاً إلى الشيطان
أبدأ، وما يلقي لهم من ثان

(١) يشير إلى ما نادى به القوميون الأتراك.

سائل - فُدِيتَ - النيلَ عن أحوالهم
هل ثَمَّ وجهٌ في تأوُلِ كفرهم
جعلوا الرعية كلهم سلطانهم
رفضوا العلوم وأهلها وقضاتهم
قالوا: لنا لسنا نريد وساطة
قولاً يصوّر كفرهم ونفاقهم
ويقيم في ذات الإله جهادهم
حكموا بتوحيد الحليلة بعدما
يا معشر الإسلام، هلاً غيرة
هذا (الكمال) وفعله ومقاله
هذا اللعين الأرمني وجنده
هذا النقيص ابن النقيص وجنده

* * *

واستفته عن حكمهم ببيان
وخروجهم عن طاعة الرحمن
يا ويل سلطان بلا سلطان
علناً، كأن الثأر في الإيمان
في الدين بين الله والإنسان
ويعدهم خطباً لدى النيران
ويكبهم صرعى على الأذقان
جعلوا الطلاق لمعشر النسوان
تجثت أصلهم من الأكوان
أضحى يناقض حكمة القرآن
قد جاهرُوا الإسلام بالعدوان
يمسي دسيّة كل مغوٍ جانٍ

يا معشر الإسلام إن لم تتركوا
وتنظفوا ما ضمت الأحشاء من
وتحافظوا التنزيل في أحكامه
متظاهرين لدى العدو كأنكم
متمسكين بدينكم وبقينكم
متعاونين على الشدائد كلها
متكاتفين، وباذلين الجهد في
: لم تسلكوا سبل النجاح وتنقذوا

عصبية الأجناس والبلدان
درن النفاق ونقطة الشنآن
متلازمين تلازم البنيان
جبل من الفولاذ والصوّان
مستقتلين على رضا الرحمن
ومواصلين الجبل بالإحسان
إصلاحكم، وبغاية الإمكان
أرواحكم من ذلة وهوان

* * *

يا معشر الإسلام، هلاً يقظة تنجيكم من ربة الخسران

بل أين حامي الدين والأوطان
يسمو بكلِّ حميَّة وبيان:
أمران عند ذوي النهي مُرَّان
تسري كمسرى السلِّ في الأبدان؟..
بسوائها من سائر البلدان
جمعُ الأعادي من فلٍ لفلان؟..
وقوامهم بالمال في البلدان
يأتي، وذا بالأمن في الأوطان
والعدلُ منسوب إلى السلطان
بتصادقِ النيات لا بلسان
(سكنَ لوحشتكم ودارُ أمان)
في عصركم لم يُلفَ في الأكوان
والناس علماً ماله من ثان
طوعاً له، تنجوا من الأحزان

أين الحمية والرجولة والوفاء
أين الذين يقول شاعرهم علماً
(وخزُّ الأسنة والخضوع لناقص)
أكذا الدسائس بيننا ختالة
لم نعتبر أبدأً بأندلسٍ ولا
أكذا نكون ككرة يلهُو بها
إن الخلافة بالرجال قوامها
والمال بالكدُّ الذي بالجد قد
والعدل بالأمن الصراح بقاؤه
وإذا تدبَّرت الأمور وجدتها
فاستمسكوا بعرى الخلافة إنها
هذا الحسينُ ولو أردتم مثله
هذا الذي قتل الزمان تجارياً
فيه اقتدوا، وله الزموا يا إخوتي

* * *

وقال أيضاً مادحاً الشريف الحسين المذكور في ٩ محرم سنة

١٣٣٨ هـ:

حَنَّتْ إِلَى عَادَاتِهَا مِنْ أَوَّلِ
سَمِعَتْ بِأَخْبَارِ الْغَرَامِ فَصَعَّدَتْ
قَدْ كَانَ أَسَارٌ فِي الْفُؤَادِ بَقِيَّةُ
وَمَصَاحِبُ الدَّارِ الدِّفِينِ حَيَاتُهُ
إِنَّ الْقُدُودَ الْهَيْفَ مَا تَرَكْتَ لَدِي
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلصَّبَابَةِ مَوْقِفُ
قَالُوا: أَمَا لَكَ فِي الْقَرِيضِ طَرِيفَةُ
قَالُوا، وَمَا شَعَرُوا بِأَنْ جَوَانِحِي
السَّالِبِي ثَوْبَ الشُّعُورِ، وَمُبْرَزِي
أَتَرَى الْأَسَى وَالشُّوقَ تَارَكَ مَهْجَتِي
وَمَلَثَمَ غَاظَلْتَهُ فَوَجَدْتَهُ
وَمَجَسَّمَ مِنْ كُلِّ رُوحٍ لَابَسَ
ذِي مَفْرُقٍ فَرَقَ الدَّجَى فِي مَدَهْنِ
صَافِي الْمَحْيَا، كَالْفَرْنَدِ بَرِيقُهُ،
أَنْتَى يَفَارِقُنِي الْغَرَامُ، وَصَبُوتِي
زَمَنَ تَقْضَى بِالْغَوَايَةِ، وَانْجَلَتْ
عَنْ سَيِّدٍ مِنْ هَاشِمٍ فِي ذُرْوَةِ
وَابْنِ الْخُلَائِفِ مِنْ قَرِيشٍ، وَالَّذِي

نَفْسٌ عَنِ الْمَحْبُوبِ لَمْ تَتَحَوَّلْ
نَفْسًا يَضَارِعُ حَرًّا نَارِ الْمَصْطَلِي
سِحْرِ الْعَيُونِ، وَمَا انْمَحَى عَنْ مَقْتَلِي
كَمَمَاتِهِ، وَالنَّاسَ عَنْهُ بِمَعْزَلِ
لَبِ فُؤَادًا مَارَقْتَهُ بِعُذْلِ
لَا تَلْبَثُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ تَبْتَلِي^(١)
غَيْرَ الَّذِي يُذَكِّي الْحِشَا بِتَغْزَلٍ؟..
ضَمَّتْ عَلَى وَخْزِ الْغَرَامِ الْمُنجَلِي
بَيْنَ الْمَلَا فِي حَلَّةٍ لَمْ تَكْمَلْ
مَا دَامَ هَذَا الْحَسَنُ يَنْظُرُ مِنْ عَلٍ
قَيْدَ النُّفُوسِ، عَنِ الصَّبَابَةِ مِنْجَلِ
أَفْكَارٍ مَشْغُولِ الْحَشَاشَةِ، وَالْخَلِي
مِثْلَ الْقَضِيبِ عَلَى الْكُثِيبِ الْمَهِيلِ
رِيَّانٍ، مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ مِمْتَلِي
مَلَكَتْ جِهَاتِي السَّتَّ لِلْمَتَأَمَلِ؟..
بِالْمَجْدِ عَيْنُ الرُّشْدِ حَتَّى بَانَ لِي
مِنْ فَخْرِهَا فِي عَزَاهَا الْمَتَكَمِّلِ
جَلَبَ الشَّاءَ بِحِلْمِهِ الْمَتَآهَلِ

(١) تبتلي: تجرب وتتعرف، وقد استعملها بمعنى: (تفنى) وهو استعمال خاطيء.

مذ حازها الملكُ الحسينُ أبو علي
طبق العقيدة في الطراز الأول
هذا الذي خبّأته لتحمل
في قومه عن أفضل من أفضل
ثأله، ويعلمه المتكمل
قرشية لم تنصرف لتأول
هذي العروش لمثل هذا المنزل
فيكم بتحقيق الحديث المرسل
فخراً على هام السماك الأعزل؟..
والحكم يعضدها فهل من معضل؟..
نوراً يبين كل أمر مشكل
رؤسا قريش، واثبتني في الأمثل
في أكمل الأشراف ذاك العبدلي

إنّ الخلافة لم تنزل في مأمّن
بشرى^(١) بني الدنيا فإن أماننا
ملك يقول لنا الزمان مبشراً:
قد محّصت منه السنون موحداً
هذا الذي ترك التجارب تهتدي
إن الحسين ولي عهد خلافة
كلّ ولا شك امرؤ في كونها
هُنئتموها رتبةً نزالةً
من يدّعيها غيركم؟ أو من لها
هي بالكفاءة لا تليق لغيركم
سبحان من جعل الشريعة في الوري
قري فديتك في بني معدٍ فهم
في أكمل الملّك بين عديدهم

* * *

(١) في الأصل: (شرفاً).

وقال أيضاً مهتئاً ومباركاً بالعيد: الشريف علي بن الحسين المذكور في عرض تبريكات المدينة سنة ١٣٤١ هـ:

العيد أنت وما سواك رسوم
فلتهنأ الدنيا بمثلك إنها
والطائف المأنوس حين حللته
نور لطابة كان أولى مشرقاً
هي بالفتاك في أعز صيانة
حوراء غصّ جمالها بَعْدُ المدى
وتكاد تشعر بالنسيب صباة
ومن العجائب كونها ولهانة
لم تلف إلا عاذراً ومساعداً
أنا بعضُ ذاك الكلّ يشهد خالقي
أوليس أنك منقذي من عسرة
ومتوّجي فخراً بمحسوبيّة
لا يعدمني الله منها راحة
لو لم تكن كان الدليل بحبكم
والملك جزء من سيادتك التي

نعتأدها، والحظّ منك نسوم
لولاك فُرطُ درّها المنظوم
بدرُ بهاء، جنة ونعيم
منه، ولكنّ الشؤن غيوم
لولا تشوقها إليك عظيم
عمن تحب، فجذّلها^(١) مسقوم
وتطير من ولّٰه عليك تحوم
معدومة العُدّال حين تهيم
في حبّها، والكلّ فيه غريم
وبه أدين، وذا علّاً موسوم
من جور دهرٍ في القضاء سدوم^(٢)
تنمي إليك بعزّها فتدوم
وصنيعه بثنائها ملزوم
ما برهنت بوجوبه حاميم^(٣)
قد زيّته وأنت فيه زعيم

(١) الجدل: أصل الشجرة ونحوها.

(٢) سدوم: كثير الهياج.

(٣) حاميم: يشير إلى الآية ٢٣ من سورة الشورى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾.

ومجامر التبريك فاح عبيرها
يُهدى إليك على التناهي نُدّها
ورأيت نفسي لو خفرتُ بواجبي
ولمن يرى تلك الأنامل أبحرا
فأجبت داعي مجدها متجاسراً
ثم الصلاة على النبي وآله
من كل أوبٍ مسكُها المختوم
والكلُّ يقعدُ بالهنا ويقوم
يُقضى عليّ بأنني لأثيم
هي فرصة يحظى بها التسليم
في عرضها، والحظُّ منك نسوم
والصحب ما سمع القريضَ كريم

* * *

وقال يهنئه بقدومه للمدينة، على لسان بعض الأشراف:

سرُّ السعادة من سناك بشير فالدَّار جذلي، والزمان سرور
أبعد ما سطعت شمسُ المجد في أرجائها، يسطو بها ويجور؟..
كلّا، ومن أولى المكارم كلّها^(١) لأمرنا المحبوب وهو قدير
وأعاد مجد الدين فعلاً فاغتنى ركن الخلافة (بالحسين) ينير
وغدا (عليّ) وهو مالك عهدا فغدت بعزّ علاه وهي تشير
ما حلّ هذي الدار مثلُ أميرها شرفاً بغابات السماح يزور
فلو أنّ كلّي للتشكر السنُّ وغدا مُعيني (غالب) و(جرير)
لم يوف بعضاً في مقابل منّة هي في سماء المتمين بدور
أنا (زيد)^(٢) عبدك، وابن عبدك قائ لاً بلسانه، والشكر عنه يسير
أقبلُ ولاء عريقِ خدمتك الذي لا زال من ضافي نداك يميز
واسلم لدنيا أنت روح حياتها وكمالها وجمالها المشهور

* * *

(١) هذا قسم بالله .

(٢) زيد: قد يكون هو الشريف الذي قال القصيدة على لسانه .

وقال في صدر استدعاء رفعه على لسان والده، إلى الشريف حسين بن علي، ملك الحجاز السابق، وسماها: (نداء مظلوم):

أيحلّ بي كرب؟.. وكيف أضام
تتاشني نوبّ عسى تجشّني
أوكلما بالإفك لفّق ظالم
يتآمر الأعدا لهضمي عنوة
حقّي صريح لا تنازع عنده
أبغار جهراً في استلالي تالداً
ويصحّ أن يغتالني في غيبي
لا سيما في وقف أجداد مضوا
كلّا، ولا من أصله وجدوده
ضريّ تعمّده (عراي) سابقاً
والآن عاد لما مضى من ضيره
يرجو بذاك دراهماً أو شهرة
ورى بزور المصطفى، ومُراذه
أنّي يوارى وجهه شمس أشرق؟..
هذا وفي الأخرى بكسب يمينه
كيف السكوت على المضاضة إنه
لم ترضه شيم الحسين أخّي النهي
ما لي على حمل المذلة طاقة

فعلّا، وأنت على العباد إمام؟..
بش البقاء وللهوان تؤام
قولاً به حرّ الحقوق نُرام
حتى على الرزق الزهيد زحام
من أين تبطل مثله الأحلام؟
والله يعلم ذاك، والإسلام
لصّ الدُّ، على لظىّ مقدام
ما للمنازع في احتواه سهام
منّ جال حول فعّاله أو حاموا
فكشفتّه، والعدل فيك لزام
مولاي غوثاً!.. عادت الآلام
أو يصطفيه مكابراً ظلّام
تليّس وجه الحق، والإيهام
والنور يبدو لو علاه قتام
رهن، ومالك يومها العلام
سفه يجانبه الحجا، ويُذام؟..
كلّا، ولا مثلي لديه يُسام
فأقم لعزّي بارقاً يشتام

* * *

رفقاً أمير المؤمنين بفاقد حسن الشعور، فما عليه ملام

إن لم تكن يا ابن البتول مؤملاً
 إن لم تلبَّ صريخ عانٍ موثق
 إن لم تكن ذخر الشريعة غيره
 إن لم تكن لي مشتكى لقضيتي
 إن لم تُشد لي في جنبك قوة
 فلأنت أجدر أن تؤمن خائفاً
 ولأنت بعد الله ملجؤنا الذي
 فأمر بعدلك سيدي، فلك الهنا
 ثم الصلاة على النبي وآله
 في محو ضري، حل بي الإعدام
 يا ابن الرسول، تعطلت أحكام
 فعلى الشريعة، والحقوق سلام
 ما لي على العيش الأمر مقام
 تُردى العداة، فصحتي إسقام
 أخنت عليه بجورها الأيام
 أمر الخلائق في يدك زمام
 المَلِك مَلِك، والورى خدام
 ما أم بابك في الأنام مُضام

* * *

وقال في الحسين أيضاً:

حَبِيّ الحسِينِ فَرِيضَةٌ لَا تَنْكَرُ
أَكْدُ بَمَنْ هُوَ فِي اعْتِقَادِي سِيدُ
أَكْدُ بِهِ رَقِّي وَصَدُقْ صِبَابَتِي
سَيَّرَ بِهِ ذَكَرِي، وَأَثْبِتْ فِي الْمَلَا
أَنَا لَا أَزَالُ، وَلَنْ أَزَالُ، وَلَمْ أَزَلْ
بَأَبِي وَأُمِّي، ثُمَّ رُوحِي، طَارْفِي،
سَبَطَ الرَّسُولُ فَمَا لِمَدْحِكَ غَايَةُ
مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ صَرَحَ التَّنْزِيلُ فِي
عَدِّي نَجُومَ الْأَفْقِ أَيْسَرُ مَطْلَباً
أَنَا لَوْ زَرَى بِالْدَّرِّ نَظْمِي عَاجِزُ
لَوْ اعْتَدَدْتُ بِكُلِّ أَصْمَعَ مُصْقِعُ

أَكْدُ بِذَا جَدِّ الْهُوَى إِذْ تَذَكَّرُ
أُحْرَى وَأُولَى بِالشَّنَا إِذْ يَنْشُرُ
وَوَلَاءُ وَدِي، وَالْعَوَاذِلُ حُضَّرُ
شَعْرِي، وَأَذَّنْ فِي الْعَلَى إِذْ تَشْعُرُ
حَيّاً وَمَيْتاً، حَبُّهُ لَا أَنْكَرُ
وَكَذَا التَّلِيدُ، لَهُ الْفِدَاءُ فَقَرُّوْا
تُرْجَى لِقْدْرُكَ، مِثْلَ عَزْكَ، تَحْصُرُ
تَبْيَانَهُ يَتْلَى الشَّنَا وَيَكْرُرُ
مَنْ عَدُّ مَجْدٍ عَنْ جَنَابِكَ يُوَثِّرُ
عَنْ حُدُكُم، بَلْ قَاصِرُ وَمَقْصُرُ
مَاذَا عَسَى أَنِّي أَشِيدُ وَأَشْكُرُ؟..

* * *

يَا ابْنَ الَّتِي ضَاعَتْ بِكَوْكَبِ مَجْدِهَا
وَرَأَوْا هَدَى فَيْكُمْ تَجَسُّمَ، وَالْعَلَى
هَذَا الشَّنَا، وَلِيَّ الْهَنَا، إِنْ تَرْضَ
جَهْدَ الْمُقْلِ، وَلَسْتُ أَحْشَى عَاذِلًا
فَسَقَى الْإِلَٰهَ رِيَاضَ قَبْرِكَ هَاطِلًا
ثُمَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ

أَفْكَارُ أَرْبَابِ الْحَجَا فَتَنُورُوا
فَيْكُمْ تَقْسَمُ، ذَكَرَهُ وَالْمَخْبَرُ
هَ، وَالْعَزُّ أَجْمَعُ، وَالْبَهَا، وَالْمَفْخَرُ
أَنْ كَانَ حَلْمُكَ عَنْ قَصُورِي يَعْذَرُ
كَنْوَالِ جَاهُكَ، أَوْ بِجُودِكَ يَمْطَرُ
مَا فَاحَ عَنْ طَيْبِ الْمَرَاثِي مَجْمَرُ

* * *

وقال:

الحمد لله زال الهم والحزن
والكل حرٌّ يقول الحق لا حذر
أهلاً وسهلاً بكم من وافدين، بهم
أهلاً بزوار خير الخلق، مَنْ حسنت
أهلاً بمن أدركونا بعدما غرقت
سبع شداد تقضت، كلها عجب
فلا ترى غير مسلوب الأمان على
لكل فرد من الأتباع سلطنة
فالفكر في قلق، والروح في حرق،
قالوا لنا: إننا من أصل مكرمة،
تسيطروا لا أقال الله عشرتهم
فقوضوا قبة الإسلام قاطبة
أردتهمو خبث نيات بها اتزنوا
كادوا فبادوا، ولكن بعدما كتبوا
وأجمع الناس طراً أنهم سبب
ما عاهدوا أبداً إلا وقد غدروا
والله أكرم من أن يرجعوا أبداً
ها فانظروا دار خير الرسل كيف بدت
ها فانظروا منبع الإيمان كيف غدا
هذي الأرامل والأيتام بائسة
هذي الأعزة من سكانها رجعوا

وعاود النفس روح الأمن، والوسن
من بطش جاهل حكم حشوه إحن
أغللنا كسرت، والدّم يحتقن
في الله خدمتهم، والدين مؤتمن
في لجة الخطب من أرواحنا سفن
خوف وجور وناس ملؤهم ضغن
أمواله، أو حياة ما لها ثمن
على ذوي الفضل، والأحرار تمتهن
والظلم منطلق، والعدل مرتهن
نعم، ولكنهم في فعلهم درن
فمزقونا، وقالوا: فعلنا حسن
وشجعوا في هلاك الدين مَنْ جبنوا
من الردى والخزايا مثلما وزنوا
في صُحف تاريخهم ما تنكر الظنن
في سحق روض الهدى في الناس ما فطنوا
فما يصدق عهداً منهم فطن
إلى الحجاز وعز الدين يمتهن
تثن من جورهم قد شققها اللخن
لأننا إخوة ما بينهم منن
هَلَكِي، هزالي، بحال كله حزن
أذلة ما لهم قوت ولا سكن

كُذراً يمرون بالأسواق مقصدهم
حال أسال دموع العالمين دماً
حال متى شوهدت أو رُدَّدَتْ أَلِمَتْ
إحسان كل فتى في فعله حَسَن
حال يولد منه السقم والشجن
لَمَّا تفاقم منها العين والأذن

* * *

يا أيها السادة المشكور سعيهم
هذي الأماكن في الدنيا مقدسة
وداركوا أن تروا إرجاعهم أبداً
الله أنقذنا من قبح ظلمهم
كدنا نضل وأئيم^(١) الله من جزع
ما غادروا ذرةً إلا وقد سلبوا
نعم يحق لنا تكليفكم أبداً
نعم لكم قدرة في كل حادثة
يقول بالصدق، لم تغرره زخرفة
تفضلوا بقبول من مجامعنا
وكلنا فرح يُزهِى بزوررتكم
ثم الصلاة على المختار ما تُلِيَتْ:
عند الإله وعند الناس، لا تهنوا
وشأنها بيننا بالروح يحتضن
ما فيهم بعد هذا للورى حسن
لولا التدارك كدنا منه نُفْتَن
نجرع المر، لا مال ولا وطن
إن الزمان بما قد خلفوا خشن
لأنكم إخوة ما بينهم ممن
على الدفاع، وكل منكم لسن
يأتي بها عابث بالأمن أو ذهن
تحية الود صرفاً إنه ثمن
نعم، ويشدو، ولا تُنسى لكم ممن
الحمد لله زال الهم والحزن

* * *

(١) همزة (وايم) للوصل، قطعها الشاعر ضرورة.

وقال مادحاً عظمة النواب، صادق خان ملك بهاو لمبور بمطرز

سنة ١٣٥٧ هـ:

عرف الزمانُ لك الفخارَ الأسبقا فدعاك من بين الملوك (الصادقا)
ظلت بك الأشعار تنظم درّها إذ كنت (بالعبّاس) حقاً ملحقاً
ما أدعي لك نسبة من مفخر إلا وجدت المدح فيك محققاً
تاھت رئاستك الكريمة إذ غدت من (هاشم) تعطى الكمال المحققاً

* * *

ابنُ الملوك الصيد والمجد الذي بذوائب الجوزاء صار معلقاً
لك (يا عرابة) مجدهم وفخارهم كفّ بها سيلُ السماح تدفقاً
ناھيك من ملك يقول لدى الوری: إني ابن عمّ المصطفى، وابن النقا
وليّ الأباطح من مشاعر (مكة) (والرقمتان) وكل ما جمع (النقى)
أيقوم لي في (الهند) أيّ مُشابه في مفخر بالطيب صار معبقاً؟..
بُلّغت من أقصى المكارم غايةً من فضل ربي أذهبت عني الشقا
الحج حجّ البيت ثم زيارة الـ مختار بالحسنات صدقاً مرفقاً
لله نفسُ منك أشرق عزّها شرفاً، به شرفُ الزمان تمنطقاً
حِلْم وعِلْم ثم آدابُ بها قد مكن التهذيب فيك موفّقاً
أضحت (بها ولمبور) منك كأنها جنات عدن حسنھا لن يلحقاً
جمعت فنون السعدِ فهي خريدة لم ترض كفوّاً غير مجدك معنقاً
صدقت (بصادق) في الفعال فأصبحت بدر الكمال على البرية أشرقاً

* * *

أمير مدحي أنت غاية مقصدي أمسى الفؤاد بحج مجدك شيقاً

دعني أوفيك الثناء فإنني صبُّ بغير كمالكم لن أعلقا
 قل لي: أجدت، ارحب فأنتم مقرب، ولك الكرامة ما بقيت مصدقا
 خلفت في أرض الحجاز صبابتي وركبت عرض البحر نحوك عاشقا
 أطوي الفيافي كي أرى فلك البها وأظلل من عرف الحجي مستنشقا
 ناديت بالمدح الصلاح معرفاً: عرف الزمان لك الفخار الأسبقا

* * *

وقال مادحاً عظمة النّوّاب صادق محمد خان بن عباس، ملك
بهاولمبور سنة ١٣٥٧ هـ:

المجد يُثبت والمكارم تشهد
لك في المحامد شهرة سياره
يا من إلى العباس، عمّ المصطفى
من في ملوك الهند يحوي نسبة
جدّ الأكابر من سلالة هاشم
هو للقران الترجمان، وفضله
فالممدح فيه وفي بنيه مسهل،
بقرابة المختار، أو بجوامع الـ
أبدأ، (بهاولمبور) يقطنها البها
يكفيك أني الصبّ في نظم الثنا
متلقط درر المدائح في الوري
الكل يورد من ثناك لائقاً
إنّ المكارم والمفاخر والذرى
لك يا ملك المجد وابن ملكه
لك أيها النّوّاب يُمنى كلّها
لك فكرة وقادة لا تنبري
يا صادق الإيمان والأفعال والأ
قد أعلن الإحسان منك لسانه

والله يحكم أن فخرک أوحده
بین الملوک، كأنها بک فرقد
ینمی، تهنأ إن أصلک سید
للحبر (عبد الله) وهو الأمجد
جدّ الخلائف، بالحديث يؤید
بین الأنام مدى المدى يتجدد
ومیسّر، وموفق، ومسدد
عرفان، أو بخلافة تتأكد
ما دام هذا النسل فيها يوجد
والحال أني عن جوارک مُبعد
من کل شاكر نعمة لك تُسند
تستاق شوق الممدح وهو منضد
تاج على أعلى جبینک يُعقد
وجه يظل البدر فيه يُحسد
يُمن، ويُسرّی سُرها يتمدد
إلا لصید الصید، فهي توقد
سماء مضموم لذاك محمد
المجد یثبت والمکارم تشهد

* * *

وقال مادحاً الصدر الأعظم الوزير بشير حسين زيدي، وزير ملك
لامبور في ١٣٥٧/٤/٢٢ هـ:

الحسن أجدر أن يكون ممشّقا
من أين للأذواق شيء مبهج
إن العيون السود أوقع منفذا
وأرى الخدود إذا تورّد ورّدها:
ما مالت الأغصان إلا غيرة
وأرى الليالي سائرات خلفها
كيف السلو وقد منحت جوارحي
إني لأهوى كلّ حسن في الوري
وأبشر الآمال بالبشر الذي
سمّوه (زيدي)، إنه زيد النهي
عشق الكمال الذّ عشق في الوري

ويكون قلبي في هواه معلقا
إلا جمال يستهيج المنطقا
في لب من أمسى بفهم أسبقا
ورداً لدى بحر الصباة مغرقا
من قد سلمى إذ رآته تأنقا
تنجرّ إذعاناً لما قد ألقا
ضمّر البطون، وما أرى لي معتقا؟ ...
وأجله الأخلاق ممّن قد رقى
بسنا بشير زان منها الملتقى
والفضل، حتى كنت فيه الأعشقا
وأعزّ جِد زان فيه المرتقى

* * *

فإليك يا بحر البحور وساحل الإ
أوزير (لامبور) الذي لرئيسها
ذاك الرضا، ذاك العليّ مقامه
ابن المفاهر من سلالة هاشم
أسميت شهرتها ولطف حديثها
قد طار ذكر كمالها بين الملا
هي جنة الدنيا بمثلك، إنه
متمثلاً بجلال النعم التي

حسان، أزجي كلّ مدح منتقى
ذاك الذي ملأ القلوب محققا
ذاك الشريف الأبطحي ابن النقا
من ذروة طابت سنّى وتألّقا
أكسبتها مجداً عظيماً موقنا
حتى تخال (الهند) منها جلقا
ذكر لدى العيوق صار معلقا
عظمت، فهو جمالها لن يسبقا

ما لي إليك وسيلة إلا الندى نَظُمُ الثناء لديه صار موقفا
 إذ أنت مقصد كل قلب شاعر طاف القريض بركنه وتعلقا
 فإذا سخوت فذاك طبعُ فيك لا يتأخر الإحسان منه عن اللقا
 أوليس أنك من سلالة يعرب مَنْ منهمُ عطر الثناء استنشقا
 مِنْ نسل هاشمٍ، ابنُ أفضل مرسلٍ أصلُ البَها، أصل الهدى، أصل التقى
 ولهم على مر الزمان إلى الورى نظر يظل البخل منه مُشفقا

* * *

وقال مطرزاً في جناب شيخ محمد خليل - في

١٣٦٠/١١/٢٥ هـ:

شهد الكمال بأن حظك مقبل يا زائر المختار إنك مسعد
خذ بالصلاة الأجر ألفاً إنها مكنٌ وجودك في مواقع روضة
حز كل فضل إن حججت بنية مادام في الحرمين شخصك فالتمس
دن للإله بكل ما يرضى هدى خامر بطيب الحب قلبك إنه
لا تسع إلا بالخلوص فإنه يا كاملاً نطق القريض بمدحه
لله أنت وقد سمعت المبتدى:
إذ كان وجهك بالها يتهلل
ولك الهناء فالسعد فيك مكمل
في مسجد المختار حقاً تجعل
فيها الدعاء بما تشا لا يهمل
فيها إلى الإخلاص وجه يقبل
من فائق الإحسان ما يتأمل
وارجع إلى وطن وأنت مجمل
يُجلي الهموم شأنه لا يجهل
أبدًا بحسن الظن حقاً يكمل
لطف التهاني نحو سوحك يمثل
شهد الكمال بأن حظك مقبل

* * *

وقال مهتئاً جلال بك حسين، عضو مجلس النواب المصري في

١٣٦٠/١١/٢٧ هـ:

بشراك لاقتك في الطاعات أفراح
ثنيت حجك مشفوعاً بزورة من
أكد بثالثة معنى الحديث لكي
وما أخالك إلا آخذاً أبداً
مجيء أهلك هذا العام بينة
فالله يوليک ما يرضیک من کرم
وانعم (جلال) بتوفيق الإله لما
إسعاد هذا الوری أو ضده: قدر
فالناس کسبهم طراً بذاك مشى
إني أقدر من في الدين همته
نعم، وأنعتة بالمجد في ملا
ولي بودک أنس لا يفارقني
فأنت لا شک بالإسعاد ترتاح
ترجو شفاعته، فالعفو يمتاح
تأتیک في الدين أطف وأرباح
بالعزم والحزم، إن الشهم طمّاح
بأن فکرك للطاعات مفتاح
دنیا وأخری، ولا لاقتک أتراح
یرضاه، إنک بالأقدار سواح
يجري علیه، وهذا الحكم مصباح
ولو تشابه أشباح وأرواح
تسمو، وناظره للشرع لمّاح
بيض الوجوه، وإني فيه مدّاح
وهل تفارق لفظ الأنس أفراح؟..

* * *

وبعث برسالة إلى وزير الدولة حنك الحيدر أبادي في
١٣٦٣/٩/٢٧ هـ صَدَرها بهذه الأبيات:

الجود منك سجية ونظام	ولأنت في حَوْز الشاء نظام
يا أحمدَ الخيراتِ، يا رَجُلَ النُّهى	هي دعوة طول الزمان تُقام
وردت عطاياك الكريمةُ إنها	غيث، وأرجو أن ذاك دوام
يا سامي الأخلاق إنك واحد	ولك الرقيُّ طبيعةٌ ووسام
الله يعلم أنني في حبكم	رجل الوداد ولي لديك مقام
ووظيفتي أني لذاتك مخلص	في دعوتي، وأنا بذاك إمام
فاقبل سلامي، إنه لك رائق	وكذا دعائي، فهو فيك مرام
واجعل سماحك كل وقتٍ عادةً	ويحف عُمرَكَ بالبقاء سلام
والشكر مني لا يزال مردداً:	الجود منك سجية ونظام

* * *

وقال مهنتاً إبراهيم بك هلباوي، مطرراً:

احْجُجْ وَزُرْ ما دمت شهماً عالماً
بالغت في نصح الأنام لهديهم
ريضت مقولك الفصيح بحكمة
إبرام^(١) إنك في رقيك كامل
هي منحة الخلاق فيك فحز بها
يتناثر الإحسان منك كأنه
من منطق يذر الشريد من النهى
بغرائب المعقول، بل بحقائق
يرضى المخاطب أن تكون إمامه
كلم كأمثال السهام ووقعها
هذبت نفسك للدفاع فانتجت
لك في النفوس تساهم فجميعها
باللطف أم بالظرف أم بكليهما
أوليتنا من حسن نطقك شرعة
ودّ الجليس جليس فضلك أنه
يا طيباً قد حلّ طابة، طبّ بها

بحقائق الدين الحنيف وقائما
لصلاحهم، فجنيت أجراً غانما
أمسى تأثرها علينا حاكما
أبدأ يراك الدين طباً حازما
دنيا وديناً، قاعداً أو قائما
در يكون له لسانك ناظما
متقيداً، ويكون معك ملازما
ودقائق أصبحت فيها عالما
في كل معنى يقتدي بك دائماً
كالزهر أشكال تفوح مفاهما
ما ظل يثبت للعقول معالما
بالميل نحوك تقتضيك تساهما
أوفيك نعتاً كنت فيه مقاسما؟..
كانت لإرشاد العقول مغانما
أبدأ يكون لديك فعلاً لازما
نفساً، من الأسواء دوماً سالما

* * *

(١) إبرام: أي إبراهيم.

وقال مهنثاً مرسى عبد الحى بك فى ١٤/١١/١٣٦٤ هـ:

(مرسى) له الخير بالإحسان مشهور
ريضت خلائقه حتى غدا علماً
سليم طبع ونفس، فهو فى نظرى
يرىك منه إذا عاينته مثلاً
عاينت منه رئيساً فى شمائله
بالعقل تدرك أخلاق الورى وترى
دين المكارم لا يقضى بغير نهى
إن قلت فيه الذى يرضيه فهو له
له صفات تريك الفضل مجتمعاً
حليم نفس، فلا جهل يدنسه
يا زائراً خير قبر زرت صاحبه
بالحج نلت الرضا والفوز أجمعه
يقضى كمالك ذكرى عندكم أبداً
كفاك منى نشيد أنت تحمله

وفضله بالبهى فى الناس مذكور
ففكره بالحجى والرشد معمور
ماء زلال بصافى اللون منظور
من الكمال ترى فيه التباشير
حسن وفى نطقه فهم وتعبير
أن التمدن فى الأخلاق تنوير
(مرسى) له مثل فى الكون مشهور
أهل، وهل مثله بالمدح ممتور
فالدرب بالمدح منظوم ومشور
وقور شكل، له فى المجد تفكير
أبشر فإنك بالإحسان مغمور
إن السعيد له للعفو تشمير
أن الوفاء لحسن العهد تذكير
(مرسى) له الخير بالإحسان مشهور

* * *

وله تطريز تقدير للبasha / التهامي الفلاوي :

أبدأ بذكرك في البلاد أطرب	ويظل فكري للثناء يرتب
لك صبغة في المجد يعرفها العلى	وكأنها بين المفاخر كوكب
بالحج فزت، وبالزيارة، سائراً	في نور أجر والسعيد مقرب
أبشّر فأنت من الديانة مالك	حظاً، له بين الفحول تعجب
شيئاً خصصت به لأنك في المَلَا	غيثٌ بكلّ تكرم يتصبّب
الغربُ عندك في السماحة مشرق	والشرقُ منك إذا تجود: المغرب
أنا والورى ندري بذاك وإنها	نفس الحقيقة، ما لذاك مكذب
لا مثل ما أوتيت ينكره الورى	كلّا ولا لك عنه أصلاً مذهب
تقضي وتأمرفي الندى فكأنه	عبدٌ لديك مقرّف ومُهذّب
هذا المديح يسوق حسناً نفسه	شوقاً إليك ولو غدا يتهيّب
أقبله فهو جواهرٌ من طابة	لا يرتضيها غيرٌ من هو طيّب
ما أنت إلا أهله ومحله	فأعزّه سمعك، إنه لك يطرب
يعطيك ما يرضيك من محموده	حتى تراه بالبلاغة يلعب

* * *

وله تقدير وتطريز في النواب سعيد الله خان في
١٣٦٤/١١/٢٠ هـ:

نعمَ القدومُ قدومٌ خيرٍ زائر
وعلامتي فيك السرور لأنه
أضحى سعيدُ الله خيرَ ميمم
بالأجر زرتَ المصطفى متواضعاً
سعدُ السعيدِ مقدّرٌ مثل اسمه
عاينتَ مسجدَ خيرٍ من وطىء الثرى
يتقاطر الإحسان منك بروضةٍ
داعٍ بها ترجو الإجابة سائلاً
أحسنَ به ظناً تكن متمتعاً
لك صبغةٌ تومي بأنك ماجد
لسعادة النّوّاب أنظّم بهجة
هو من لآلىء طابئةٍ، وبعطرها
خذ باقةً بيد القبول فإنها
أضحت كنافجة يفوح المسك من
نعمتٍ بقربك إذ أتتك وأنشدت:

بلدَ الرسول بكل فضل باهر
في الوجه منه كمثل صبحٍ سافر
أكنافَ طابة في الزمان الحاضر
في مظهر يأتي كبدر زاهر
فلك التهاني بالكمال الفاخر
وركعت فيه بحُسنِ صفوٍ سرائر
فيها الأمانى للمحب الزائر
ربّ الورى، فاسعد بكل بشائر
دنيا وأخرى في ابتهاج ظاهر
للدين يسعى في انطلاقٍ غامر
درّ التهاني، وهو عقدُ مفاخر
متضمخ، فانعمَ بمدحٍ عاطر
مدنيّة وافت بصوغٍ مشاعري
أكنافها في شبه نطق الشاكر
نعم القدوم قدوم خيرٍ زائر

* * *

وله تطريز تقدير وترحيب بزيارة خان بهادر حبيب الرحمن :

خُذْهَا زَهْرًا لِلنَّشَاءِ تَزِينُكَ	إِنَّ الْبَهَا بَيْنَ الْكِرَامِ أَمِينُكَ
أَشْمَمُ بِهَا أَرْوَاحُ طَابَةِ وَالتَّمَسْ	عَطْرًا يَمِيرُكَ مِسْكُهُ وَيَمُونُكَ
نَاسِبْتَهُ طَيِّبًا فَكُنْتَ مَحَلَّهُ	إِنَّ الْكَمَالَ مُعِينُهُ وَمُعِينُكَ
بِالْحَجِّ فَزَتْ وَبِالزِّيَارَةِ وَالرِّضَا	فِيمَا فَعَلْتَ وَإِنَّهُ لَخَدِينُكَ
هَيَأَتْ نَفْسُكَ لِلْقَبُولِ وَقَدَّتْهَا	لِلدِّينِ تَرْجُو الْعَفْوَ وَهُوَ قَرِينُكَ
أَمَلُ سَعِيَتٍ لِأَجَلِهِ سَتَنَالَهُ	وَدَلِيلُهُ عِنْدَ الرَّجَاءِ يَقِينُكَ
دِينُ الْهَدْيِ بِالْأَجْرِ يَجْرِي أَمْرُهُ	وَلَهُ أَجَبْتَ وَذَاكَ حَقًّا دِينُكَ
رَحْ لَابَسًا ثَوْبَ الْمَسْرَةِ مُحَسَّنًا	ظَنًّا بِرَبِّكَ: أَسْعَدْتُكَ ظَنُونُكَ
حَيْتُكَ مَنَا كُلُّ فِكْرَةٍ شَاعِرٍ	إِنَّ الثَّمِينَ مِنَ الثَّنَاءِ ضَمِينُكَ
بَدَرْتُ إِلَيْكَ يَقُودُهَا تَقْدِيرُهَا	حَيْثُ الْمَعَالِي فِي الْأَنَامِ شُؤُونُكَ
يَا مَرْحَبًا بِقُدُومِ أَسْمَحِ زَائِرٍ	هَذَا سَنِينَ الْخَيْرِ، وَهِيَ سَنِينُكَ
أَنْعَمَ بِمَسْجِدِ خَيْرٍ مِنْ وَطِيءِ الثَّرَى	وَلْتَحَظَّ بِالْأَنْوَارِ مِنْهُ عَيْونُكَ
لُحَّ بِالرِّضَا فِي رَوْضَةٍ مِنْ جَنَّةٍ	لَا تَخْشَى مِنْ ذَنْبٍ تَظُنُّ يَشِينُكَ
رَبَّتْ بِهَا الدَّعَوَاتُ بَعْدَ تَحِيَّةٍ	فِيهَا، وَحَسَنَ الظَّنِّ سَوْفَ يَعِينُكَ
حَيُّ النَّبِيِّ مُسَلِّمًا بِتَوَاضُعٍ	وَاسْتَوْفَ رَدًّا لِلْسُرُورِ يَدِينُكَ
مِثْلُ لِنَفْسِكَ كُلِّ حَسَنٍ لِلْهَدْيِ	حَتَّى يَظُلَّ إِلَى الثَّوَابِ حَنِينُكَ
إِنَّ الرِّيَاضَةَ لِلْسَعَادَةِ نَعْمَةٌ	فِي كُلِّ جَمْعٍ لِلْفَحُولِ تَبِينُكَ
نَعَمُ اللَّالِيءِ إِذْ حَبَّتْكَ بِمَدَحِهَا	فَثَمِينُهَا بَيْنَ الْعُقُودِ ثَمِينُكَ

* * *

وقال مهنتاً الشيخ يعقوب مندوب كلكتة :

أهلاً وسهلاً بالمكارم والعلی
لا وجه أجمل من محيياً محسن
شيء تمیل له القلوب طبیعة
(يعقوب) يعسوب المفاخر، ذكره
خبري كخبري فيه، لكن زادني
يعطيك ما يرضيك من أقواله
عرفتك آلاف اليتامى في الوری
قامت بطابة ترجماتك بينهم
وغدا وجودك مثل جودك فرحة
بالله زد فينا الإقامة إنها
ما وصف شعري غير عقد مآثر
نعم المعاني إنها الصدق الذي
دلت على روح الشهامة والبها
وبدت على شخص التفضل خلعة
بالبشر والحسنى أتيت لطابة
كيما تسر بل بالأجور وبالثنا
لم تلق في الدنيا أعز مكانة
كن كيف شئت فإنك الرجل الذي
تمت له كل المفاخر إنها
هي أفق مجد أنت بدر جمالها

أهلاً بمندوب الكرام لدى الملا
لا سيما إن كان شهماً أكمل
فالحسن بالإحسان ظل مسربلاً
أحلى على الأفواه من ذوق الحلا
معنى الكمال أراه فيه مكملاً
والعفو أحسن ما أتيت مؤملاً
وكذا العفاة بكل نعمة تجتلي
درساً يسير على المسامع مرسل
تبدي ابتهاجاً في النوادي مثلاً
خير نقابله بلا شك، ولا
للذيد وصفك في القريض مثلاً
يروي وينشر عند أرباب العلا
فغدت كتاج باللالء كلاً
فظهرت للمعروف حقاً هيكل
ودخلت مسجدها وزرت مجللاً
دنيا وأخرى، للقبول محصلاً
من عاقل يسعى بخير مقبلاً
ترجى عوارفه ويصبح أفضل
مسك الختام تضرع منك على الملا
تلقى بسعد سعودها لك منزلاً

* * *

وقال مادحاً نور الحسين، ومهنثاً له بالزيارة سنة ١٣٦٥ هـ

بمطرز:

نورُ الحسين لدى المحافل نور
وعليه من نور المحبة حلّة
رَوْح لدى الإخوان فهو محبّب
أُمسى بأكناف المدينة نازلاً
للمسجد النبويّ هياً رحلةً
حاز الثواب مع الدعا في روضة
ستحج إن شاء الإله مكرماً
يوليك ربك ما أردت ميسراً
نعم المديح وقد أتى لك منشداً:
فالقلم منه دائماً مسرور
أبدأ بهاها في الوري منظور
طبعاً ونفس المجد فيه كبير
كالغيث، فالإحسان منه وفير
ليحوز أجر الألف ثم يزور
هي جنة فيها الرجاء يسير
حجاً هو المقبول والمبرور
وبما تشاء، والعفو منه مصير
نور الحسين لدى المحافل نور

* * *

وقال مهتئاً سركار نواب بهو بال حميد الله خان في
١٣٦٧/١٢/١٥ هـ بمطرز:

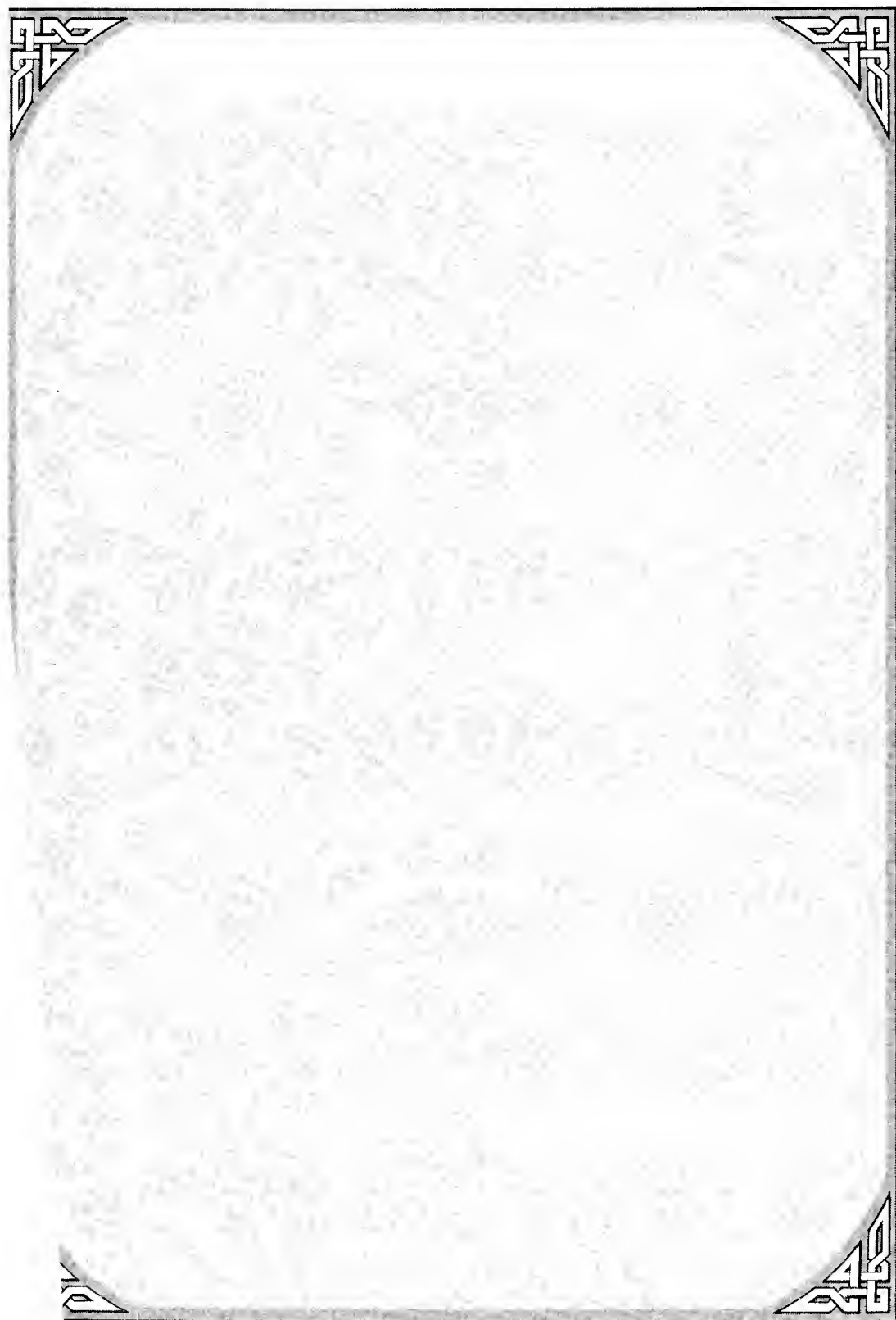
عش في السعادة أيها النّوّاب
إن الشاء يكون فرضاً عندما
لك رونق الملك الذي ببريقه
يا ابن الملوك، اهناً بحجك إنه
جاءتك منه نعمة محمودة
نمت الهداية في علاك فغادرت
أديت فرضاً، ثم زرت، وهكذا
بجلائل الإحسان صرت مجملاً
سبحان معطيك الكمال متمماً
رضوان ربك أصل كل سعادة
كنت السعيد ولا تزال، ولم يزل
الحج بالإخلاص أفضل غاية
رح واغد في حلل السعادة دائماً
نوّابنا، افخر في الملوك فانت قد
ووقفت في عرفات وقفة خاضع
أبدأ يقول الظن ما أحسنته:
بلغت ما ترجوه من ألطافه
حوت المدينة منك هيكل عاشق
متفانياً في حب أفضل مرسل
يتقاطر الإحسان عند حلوله

فلمثل فخرك تزهر الألباب
يرنو لمجدك، والسماح يجاب
يهمي بغيث الجود منه سحاب
سعد لعل العفو فيه يصاب
يستاقها فعلاً إليك ثواب
قلب الحسود بما مُنحت يذاب
يُتنول المقصود والآراب
دنيا، وأخرى بالجميل تثاب
إن المفاخر مع علاك صحاب
فالعفو روض، والرضا لك باب
لك في المجادة دائماً تدآب
إن كان مبروراً ولا يرتاب
إن المكارم للملوك طلاب
شاهدت بيتاً للإله، وغابوا
ترجو وتخشى، والخلاص لباب
ادع الإله بما تشاء تجاب
هذا العطا قد تم منه نصاب
يسعى بشوق حقه إطراب
متواضعاً، وله الهدى جلباب
في المسجد النبوي ولا إعجاب

دنتِ السعادة منه وقت صلاته
لك ما تشاء من القبول وإن تنل
لاحت لك المننُ الرغاب وأسلستُ
هذا ثناء لسان طابةً فارضه
خير الملوك هو الذي يهدي إلى
الفرض بالسنن الشريفة عنده
نعم الدعاء مع النداء في محفل:
فيه لأن الألف فيه ثواب
هذا القبول فلا يصلك عقاب
لك دولة الإحسان، والأسباب
فلمثل فخرِكَ تزهر الأبواب
طرق الهداية للعلي جواب
ملحوظة، لم يُلفَ فيه عتاب
عش في السعادة أيها النّوّاب

* * *

== سعودیات ==



وقال مادحاً ومهنئاً صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود
المعظم^(١) في ٢٨/٨/١٣٤٤ هـ:

والحمد لله أعطى القوس باريها	ونالت النفس في الدنيا أمانها
واليوم عادت إلى الدنيا بشاشتها	واستوثق الكلّ من نُعمى يعاطيها
من بعد سبع ^(٢) كسبِع أدلَفَتْ بِدِمَا	أَكْبَادِنَا، وَعَدَتْ فِينَا عَوَادِيهَا
اليوم أُعْطِيَتِ الْأَمَالُ بَغِيَّتَهَا	والنفس قد أُطْلِقَتْ من قيد مبكيها
وكل صاحب حق ناطقُ أبداً	بكل كلمة صدق ظلّ يرويها
وأمة العُرب والتوحيد قام بها	موقِّقٌ ظلّ بالتوفيق راعيها
هو الإمام السعودي الذي سطعت	شموسُ راياته تزهى مغانيها
سلطاننا، ناصر الإسلام، واحده،	سعدُ السعود لأرض بات يحويها
هو المعزُّ لدين الله، حاكمنا	عبدُ العزيز أخو التقوى، وراعيها

(١) دخلت المدينة في حكم آل سعود في ١٩ جمادى الأولى عام ١٣٤٤ هـ.

(٢) إشارة إلى مدة حكم الهاشميين للمدينة الذي بدأ في ١٧ رجب عام ١٣٣٧ هـ
ويقصد بسبع الثانية: الحيوان المفترس.

على الشريعة يُجريها مجاريها
 في عصره أحد، حاشاه تشبيها
 لا تشرّب إلى فحشاء تصبيها
 مرضاته الربّ في أخرى يربّجها
 أتنك صمّاء بشرى لا تحيها
 طبّ بإخماد نار أنت موريها
 من أن تهان بباغٍ كان موهيها
 وأصبح العدل بالإحسان راعيها
 فيها ملوكاً، وكان الظلم واليها
 يُبدي نشيداً على أعلى روايها
 دهرأ، فأصبح حسن العدل يرضيها
 تخشى ملاماً، فتطريه ويطريها:
 أهلاً، وأنت بحق الله تعطيها
 حلفاً هوانٍ على الدنيا وما فيها
 يبيت ينشرها فعلاً ويطويها
 تشكو إليه، ولا يصغي تشاكيها
 تمجّ سمعته ممن يروّيها
 بكثرة البغي لمّا سال واديها
 إذ أنه ما رعى حقاً مراعيها
 عرض البسيطة: قاصيها ودانيها
 كأنه ما درى من كان يأتيها
 تلك السحائب، وانبت عزاليها^(١)

الفصل الفیصل الیقظان مجتهداً
 يوفي العهود بصدقٍ لا يشاكلة
 يلاحظ الدين والدنيا بعين هدى
 كلاً ولا همّه إلا تتبّعهُ
 قل (للحسين) أمدّ الله غربته
 هذا الحجاز جميعاً في يدي ملك
 إن الشريعة أضحت منه في حرم
 والأمن خيم في الأرجاء قاطبةً
 واجتثكم من ديارٍ كنتم سفهاً
 وطائر اليمن في أحيائنا فرحاً
 (وأمة كان قبح الجور يسخطها
 تقول - تعني إمام المسلمين، ولا
 أعطاكها الله عن حق رآك له
 حسب (الحسين) وحسب البغي أنهما
 كم محنة ظل في الإسلام ينسجها
 وكم ظلماتٍ مسلوبٍ بساحته
 هذي الرعية أولاهـا وآخرها
 أم القرى جزعت، بل ولولت وبكت
 وطابة - ويله - قد خصها بأذى
 تكفيه منقبةً عمت فظاعتها
 تقويضه قبة الإسلام معتمداً
 فالحمد لله زال الهم وانقشعت

(١) عزال: جمع عزلاء، أي مطرها أو ماؤها.

وعاهدتنا على الإيحاء قاطبة
فاليوم عادت إلى الإسلام بهجته
واليوم دبّ بأرض العرب أجمعها
لصالح السلف المحمود سيرته
هذا (عليّ) ولولا عطفة سبقت
لظلّ في قبضة العقبان محتبساً
فقل له - لا جزاء الله صالحة -
هذي الجنود، وذا الصياد فاحتبسي
هذا الجزاء بكيّل كلّته طمعاً
وطهرتكم من الأوطان فانتسجت
هي المفاجر لا يرقى منازلها
والغادر الطبع في قول وفي عمل

* * *

يا ذا الذي من حضيض القهر أنقذنا
لو كنت تعلم مقدار السرور بها
وأهل طابة بالترحيب كلّهم
فلا ترى غير داع بالبقاء لكم
أو رافلاً في ثياب الأمن مبتسماً

أقبل تحية نفسٍ مع تهانيها
لسرّ قلبك ما أطلّغته فيها
قد وجهوا نحوك التبريك توجيها
بنية قلبك المسرور يديرها
على حياة سعادات تواليها

* * *

ويا إماماً أزاح الظلم عن وطن
أثابك الله خيراً حيث كنت لنا
أرحته بسيف أنت ناضيه
ظلاً ظليلاً على عليا تساميه

(١) الإيحاء: كذا في الأصل. العهد: مطر أول السنة.

ونور الله ملكاً أنت ترأسه على شريعة خير الخلق تعلوها
فتحسم الطمع المزروع في مهج إلى ديار بعين الملك ترميها
وأنت أكرم من أن يستهان به في حالة كنت بالإعزار وافيها
ثم الصلاة على المختار ما ذكرت: الحمد لله أعطي القوس باريها

* * *

وقال مهنثاً جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم :

شرفٌ عظيم في الملوك كبير	قد حزته يا أيها المنصور
ما أنت إلا أمة في أمة	أمت بعذك في الأنام تسير
أقبلت تسعى نحو مسجد طابة	صافي الضمير بها وفيك سرور
بتضاعف الصلوات يومياً بها	في مسجد فيه الديانة نور
هي رحلة شرعية مأثورة	وكما علمت حديثها مأثور
وتزور أشرف مرسل في ضمنها	وترى بروضته الخشوع يزور

* * *

يا تالي القرآن والتفسير في	أيامه، لم تخل منه شهور
يا تابعاً سنن النبي محمد	بل كل لهجته بتلك تدور
أنت الإمام الحق والملك الذي	يرضى به الإسلام والتأмир
ملك طبيعته الشريعة، ما له	طبع سواها في الأنام يشير
ملك له التوحيد خلق راسخ	متمكن من نفسه، منظور
ملك أقام شعائر السنن التي	درست، وها هو شخصها منشور
ملك أباد معالم البدع التي	ظلت كدين في الطغام يثور
ملك تجسم للريعة جوده	أو ما تراه للعفاة يميز؟
ملك شفوق، كل فرد عنده	كأبن، وذلك خلقه المخبور
ملك يرى بين الرعية والداً	فرضاه عندهم هو الأكسير
ملك يسير به الزمان مجملاً	إن الزمان بمثله لفخور

* * *

أهلاً وسهلاً بالمفاخر والعلی	كل السعود إذا حضرت، حضور
يا مرحباً بإمامنا ومليكننا	هذا الذي ما مثله مذكور

لَمَّا حَلَلْتَ بِهَا وَسَادَ حَبُورُ
بِالِابْتِهَاجِ، وَحَفَّهَا التَّيْسِيرُ
لِيَزُولَ عَنْهَا الْعَسْرُ وَالتَّكْدِيرُ
لِيَدُومَ مِنْهَا شُكْرُهَا الْمَوْفُورُ
يَدْرِيهِ مِثْلُكَ، بِالْهَدَى مَعْمُورُ
ذَاكَ الَّذِي فِي عِلْمِهِ مَشْهُورُ

إِنَّ الْغَنِيمَةَ لِلْمَدِينَةِ حُقِّقَتْ
وَتَكَلَّلَتْ أَرْجَاؤُهَا وَتَنَوَّرَتْ
مَسْكِينَةُ تَرْنُو إِلَيْكَ مَحَبَّةُ
يَا غَيْثُ أَمْطِرْهَا بِوَابِلِ أَنْعَمِ
نَفَذْ وَصَاةَ نَبِيِّنَا فَحَدِيثُهَا
يُرْوِيهِ مَالُكَ، وَهُوَ أَوْثَقُ مَنْ رَوَى

* * *

إِلَّا وَأَيَسَّرُ أَمْرَهُ التَّدْبِيرُ
حُمِدْتُ، وَضَاءَ بِحُسْنِهَا الدِّيَجُورُ
شَمِلَ الْأَنَامَ، فَكَلَّهْمُ بِكَ نَوْرُ
عُرِفْتُ، وَذَلِكَ حِظُّهُ الْمَشْكُورُ
قَامَتْ لِتَدْبِيرِ الشُّؤُونِ تَدِيرُ
وَخِلَائِقًا فِيهَا السَّمَاحُ زَهُورُ
طَرِبْتُ، يَشَاقُ لَذْكَرِهِ وَيَمُورُ

أَبَا الْفُحُولِ الصَّيْدَ مَا مِنْهُمْ فَتَى
كُلُّ يَقْلَدُ مِنْكَ سِيرَةً عَاهِلُ
هُمْ نَسْخَةٌ مِنْ حِظِّكَ الْوَافِي الَّذِي
(فَوَلِيَّ عَهْدِكَ) مِثْلُ صَبْغَتِكَ الَّتِي
وَالسَيْفِ (فِيصِلُ) ذَاكَ يَمْنَاكَ الَّتِي
نَعَمُ الْأَمِيرِ مَجَادَةً وَمَهَابَةً
زَيْنَتْ بِهِ أَرْضُ الْحِجَازِ، فَقَلْبُهَا

* * *

سَعِدَ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ يَسِيرُ
وَالْكُلُّ مِنْهُمْ لِلْهَدَى مَأْمُورُ
عَلَّمَ بِأَلَاءِ السَّرُورِ يَنْبِيرُ
حَتَّى تَرَى الْإِحْسَانَ مِنْكَ عَصُورُ
أَعْطَاكَ هَذَا الْمَجْدَ، وَهُوَ بَصِيرُ
تَرْجُوهُ، إِنْ الصَّقْرُ مِنْهُ صَقُورُ
وَالصَّحْبُ، مَسْكٌ فِي الْخَتَامِ يَزُورُ
شَهْمٌ عَظِيمٌ فِي الْمُلُوكِ كَبِيرُ

لَكَ دَوْلَةٌ عَزَّتْ بِحِظِّكَ إِنَّهُ
لَكَ مِنْ رِجَالِكَ كُلِّ شَهْمٍ مَاجِدُ
يَحْذُونَ نَحْوَ الْعَدْلِ عَدْلُكَ، إِنَّهُ
فَاللَّهُ يُولِيكَ السَّلَامَةَ دَائِمًا
وَيَطِيلُ عَمْرُكَ فِي رِضَا الْمَلِكِ الَّذِي
وِيرِيكَ فِي أَبْنَائِكَ الْخَيْرِ الَّذِي
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ
مَا أُنْشِدْتَ فِي مَحْفَلٍ أَوْ جَحْفَلٍ :

* * *

وقال يهنئه بقدومه المدينة سنة ١٣٤٤ هـ:

هذي المدينة في كريم صفاتها	تُهدي تحاياها لحاكم ذاتها
أجلالة الملك المعظم دعوة	من مخلص يرجوك في إنصاتها
بقدومك الحظ العظيم مجسم	في طابة يعطي لها غاياتها
يعطي لها كل الأماني دفعة	ويرى الرقي طريقه لسماتها

* * *

أهلاً وسهلاً، مرحباً بإمامنا	رجل الشريعة في اقتفا آياتها
أهلاً بناشر عدله وأمانه	في أمة هنت بروح حياتها
يا أيها الملك الذي آراؤه	سعد يقوم به على راياتها
أنت المؤمل في مطالب بلدة	شع الهدى والدين في جنباتها
فابث بها اللطاف، وارفق بالذي	عودته يرجوك في أوقاتها
والله يُبقي في الرفاهة والهنأ	والسعد ذاتك موصلاً بشتاتها
وبزید دولتك العلية رفعة	تسمو على الملأ في رفعاتها
أنت الذي تُعنى بأبلغ ما روى	في مجلس الآداب بين رواتها
(ذكر الأنام لنا فكان قصيدة	أنت البديع الفرد في أبياتها)

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بالحج، سنة ١٣٥٥ هـ وأراد أن يلقيها في يوم النحر، وحال دون ذلك مرضه، وقد نشرتها جريدة المدينة بتاريخ ١٣٥٦/٦/٢٥ هـ:

سلام أيها الملك المهيب فمجدك ما له أبدا ضروب
أخصك بالتحية من جموع جوانحهم عيون، بل قلوب
وأنعم بالحجيج وأنت فيهم!... إمام برّه فيهم يصيب
كذلك حجك المبرور غُثم عليهم منه في ظني نصيب

* * *

بكم آل السعود اهتزَّ عجباً سريرُ الملك وارتاح الحبيب
لكم لبُّ المديح بكل أرض ودُّر القول مرصوف رطيب
بمثل جلالة الملك المفدى يقوم الأمر، بل تُنفَى العيوب
بمثل أبي الفوارس والضواري يذلّ الجور، بل تُمَحَى الذنوب

* * *

أمير المؤمنين أرى فؤادي لدى هذا المقام له وجيب
أقِلني عشرة التقصير إمّا تجد مني التلجلج أستهب
وقفت بموقف لو حل فيه ثَبِيرُ دُكْ هولاً يستنيب
فهل من عاذر يرعى كلامي ويفهم أنني فيه مصيب
أعز الله أنصار العوالي لنصر الدين ما وُجِدَت كروب
لسلطان الشريعة زان تاج على (عبد العزيز) له نسيب
يبرهن عشقه أن قد حواه وحيد في سماحته غريب
به الإسلام أصبح بعد عجز شاباً ليس يقربه مشيب

به انتظمت أمور المُلك عقداً كعقد الدرّ تعشقه القلوب

* * *

أيا ابن المالكين ديارَ نجدٍ	ونجدٌ لا يلين بها صعب
ويا ملكَ الحجاز ونعم ملك	بحكمته مشى شاة وذيب
ويا ابن المحرزين تراث قوم	بحزم كلّه عزم صبيب
ويا ابن المتممين على اقتناع	إلى التوحيد، شأنهم عجيب
ويا من عدّة الإرهاب فيهم	سيوف الشرع يحملها النجيب
لعمر الله لولا أنت كنا	كبهم في المقانب تستريب
تخاف الذئب ينهش في لهاها	ولا يَبْقَى لها منه عسيب
بأمنك سارت الركبان تحدو	ولا شيء سوى عدل يهيب
أجبت الصارخين به دواماً	وغيرك لا يجاب ولا يجيب
لقد صدقوا وما في الحق شك	بأن المجد مركبه عجيب
ولا يعنوا لغير أخي جلاّد	له في قومه صدر رحيب
وأنت كذاك أسمى من تَسامى	ظهير الرأي في الجلى مصيب
حديد القلب ذو جلدٍ، صبور	سليم الصدر، مأخذه قريب
بعيد عن موافاة الدنيايا	فلا نقد، ولا قول مريب
ألست من الألى شادوا المعالي	ودانت بالرضا لهم القلوب
وكانوا في قديم أو حديث	كنارٍ للعدا فيها لهيب؟..
وأنتم للندى من عهد عاد	سحابٌ للورى فيه صبيب
وشأنكم العطاء وليس أخذاً	وما فيكم لنا إلا وهوب

* * *

أما والله لولا أن عندي لدهري من حوادثه ندوب

لأخجلتُ الدراري واللالِي بشعر يستدين به (حبيب)^(١)
وما أني مع التقصير آتٍ بأصناف المديح، ولا عجب
وأني ناظم ما قد أراه وما لي غير ألفاظ تنوب

* * *

وختم المسك أن تبقى دوماً فطِيبُك للورى أبداً يطيب
وقولي في ابتدائي وانتهائي: سلام أيها الملك المهيب

* * *

(١) يقصد الشاعر العباسي: أبا تمام حبيب بن أوس الطائي.

وقال مؤرخاً بناء السد الذي أقامه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بمكة المكرمة عام ١٣٦٢ هـ:

بسعدكم آل السعود، سرى الجدُّ
مضى زمنٌ والناس غُفلٌ عن الذي
مهيأةً فيكم محاسنُ سيرة
ولله سرٌّ في ملوكٍ يخصصهم
لقد لاحظتكم منه عينٌ عنايةٍ
مع الجدِّ في الإنشاء، فانتظم السد
فطنتم له، فالقَبْلُ من فعلكم بعد
بها يزدهي التاريخُ والمجد والسعد
بحوزِ العلى من خلقه، وله القصد
أنالتكم العلياء كلاً، فهل ضد؟

* * *

إمارة بيت الله أعظمُ إمرةٍ
ولا سيما من كان يحميه من أذى
لقد جرفت منه السيول مواضعاً
تطوف كما طاف الحجيج به هدى
لقد كاد بيت الله عند هجومها
وكم أثرت قبلاً، وكم هرمت به
وكم أتلفت نفس أقامت بظله
يفجعنا في كل عام بفعلةٍ
يسيل بجود الله، يسري معرجاً
وربَّ محبٍّ في زيارته لنا
فما سمعت أذني أتيًا مواتياً
تذكُ الدنَى عدلاً به الظلم ينقدُ
يُجرّ إليه، أو خراب به يبدو
بكت منه عين السحب مذ أُرزم الرعد
وربَّ مبرّات أحق بها الصد
وقد أثرت فيه من الغيظ يحتد
من العفور كناً حقه القبض والمد
لنُسك، وكم هيض الأرامل والولد
بها قلقُ الأفكار في الكون يشتد
إلينا برحمت، وفي ضمنها الرشد
شجون، وقد يُفني إذا كثر الود
إلى البيت إلا واقشعر له الجلد

* * *

ولما أراد الله جل جلاله حمايةً هذا البيت وانبلج السعد

به الدين يزهو، والعدالة تمتد
معالم مجد ما حواها له ند
يزاوله، والحرُّ يشهد والعبد
هو الملكُ الفعّال والثابت الطود
لحفظ الهدى، والناس يعجبها المجد
لأمجاده لم يحصها الفكر والعد
مدى الدهر، ما للفرح عن مثلها بد
يزاحم سد الأرض شُبهاً فيرتد
لينظمه في درّ مدحي له: عقد
يشاهد ما تقضي النهى أنه فرد

* * *

حماء فولاه ابنَ بجدته الذي
بعبد العزيز العزُّ يشدو مشيداً
تُقرُّ له المَلَك في كل مطلب
هو الحظّ في آل النهى، آل فيصل
هو الجد لا ينفك يُبدي فرائداً
وفي كل يوم تكتب الصُّحف آيةً
خوالد تعطي ذكره متجدداً
فما لي أرى سدّ المجرة في السما
يود اتصالاً بالذي شيد الهدى
له الحق في هذا التنافس إنه

بكل لسان، فالدعاء لكم سرد
كذاك (وليُّ العهد) يحظى به العهد
وتنتج إلا في مرابعها الأسد
بدور بأفق المجد، أنواره تبدو
وبورك في مُلك حقيقته شهد
وصاروا رجالاً قد مشى بهم السعد

* * *

أبا الصّيد شكراً للذي أنت فاعل
فإنك للإسلام أعظم ملجأ
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه
فبوركتُم من آل بيت كأنه
وبورك في مُلك على الدين أسه
وبورك في كل الذين سمّوا به

دفعَت الأذى واستوثق السدّ والحدّ
وعاد لك الإحسان والمدح والحمد
به ساعدُ الإتيان بالفخر يشتد
بساعدِ حزمٍ، كلُّ أفعاله جد
يقربُه منكم على وده الجهد

* * *

فمدحي لكم يزهو مع الشكر دائماً
وَدُم في أمان الله يا خيرَ حاكم
فحفظك بيت الله من أعظم الرجا
فما أنت إلا نعمة الله للورى
وللحاسدين الغيظ والذم والطرد
وعمرك في كل السنين له قد
لدى الله، والمحظوظ يتبعه السعد
بها بُلْبُل الأفراح في روضنا يشدو

* * *

وقال مادحاً:

محامد أدناها لك الفكر يقصر
وما هي إلا منحة إثر منحة
إذا أنا لم يمدحك مني صادق
لئن قلّ وجدي أن يكاثر نعمة
ولم أر كالمعروف أحكم منة
وإن استواء الناس بالوجد واحد
كذا الذهب الإبريزُ يسمو بنفسه
وقد أحكمت عندي التجارب واحداً
مقيماً على ريب الحوادث لم يزل
حريصاً على كسب المفاخر غارماً
بخيلاً على أن لا يوجد بماله
إليك أسوق الحمد يسطع نوره
وهل أنا إلا بقعة سُقيت حياً
تفرّع عن أنواع طيب تفتناً
رئيس وراك الله من شرّ حاسد
حميدُ خصالٍ، واسع الصدر، كامل،

وكيف سكوتي، والمآثر تُشكر؟
تجيء على مرّ الزمان وتمطر
لساني، فمالي في ذرى المجد مفخر
تقيدني دهري فحمدي مُكثّر
لدى الحر تبقى، والسنون تغير
ولكنّ تميز الشدائد ينزُر
لدى الفحص كالطبع الكريم ويشهر
أصيلاً يريك الفضل كيف يصوّر
أخا بدّهات تجعل القول يحصر
مغارم من ينمى إليه ويذكر
وبالجاه والطبع (العزيزي) أخضر
يضاهي بهاء النيرين ويزهر
كريم، فأمست بالمحاسن تزهّر
بمدح محقّ، للسماحة مظهر
فما لك في عصر يقلك منكر
أريب، ومن عين السماحة محجر

* * *

وقال:

عيد التهاني بالخلافة أقبلًا فارحَبْ به قد بثُّ شكرك قائلاً:
شرفا بني الدنيا فإن إمامنا طبق العقيدة والمفاخر والعلی
قرت بمنصبها الخلافة وازدهت بمهذب ساد الخلائق واعتلى
بالشامخ السامي، بفضل أصوله وفروعه كالشمس تشرق في الملا

* * *

وقال يهنئه بعودته من أنشاص، واجتماعه برئيس الولايات المتحدة روزفلت ورئيس وزارة انكلترا المستر تشرشل سنة ١٣٦٣ هـ وألقاها بين يديه في مكة:

لَبِيتُ فِي اسْتِقْبَالِكُمْ أَشْوَاقِي وَرَكِبْتُ عِزْمِي لَا مَتُونَ نِيَّاقِي
أَطْوِي عَلَى (الْمَاتُور) أَنْمَاطَ الْفَلَاحِ وَلَوْ اسْتَطَعْتَ طَوِيْتَ بِالْأَحْدَاقِ
لَأَرَى حَيَاةَ الْمَجْدِ كَيْفَ تَكُونُ فِي نَفْسِ أَرُوعِ صَافِيٍّ (١) الْأَذْوَاقِ
وَأَشَاهِدُ الطُّودَ الَّذِي فِي عَرَبٍ قَامَتْ قَوَائِمُهُ عَلَى الْآفَاقِ

* * *

أَجَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمُهَيْبِ أَرَى الْعَلَى فِي ثُوبِ شَخْصِكَ زَاكِي الْأَعْرَاقِ
(عَبْدَ الْعَزِيزِ) أَرَى بَقَاءَكَ لِلْوَرَى لَطْفًا يَزِيلُ مَشَاكِلَ الْإِرْهَاقِ
وَيُعِيدُ كُلَّ سَلَامَةٍ مُضْمُونَةٍ لِلْعُرْبِ تَعْتَقُهُمْ مِنَ الْإِزْهَاقِ
أُمْتَوِّجُ الْإِسْلَامَ تَاجَ عَزِيمَةٍ تَسْعَى إِلَى إِعْلَانِهِ بِبَرَاقِ
تَسْعَى لِنَصْرَتِهِ وَعَوْدٍ قَدِيمِهِ وَتَكُونُ ضَمْنَ رِكَابِهِ السَّبَاقِ
سَافَرْتُ فِي يُمْنٍ وَطَالَعَ أَسْعَدُ لِلْخَيْرِ فِي عَقْبِي الرِّحِيلِ تُلَاقِي
نَرْجُوكَ لاسْتِثْمَارِ رَأْيِكَ إِنَّهُ فِي وَقْعِهِ سَيْفٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
لَتَخْطُ فِي أَمْرِ الْعَرُوبَةِ خَطَّةً وَتُعِيدُ شَمْسَ الشَّرْقِ لِلْإِشْرَاقِ
بِالْقَلْبِ يَا سِرَّ التَّجَارِبِ وَالنُّهَى يَلْقَاكَ شَعْبُكَ، وَالْوُدَادِ الْبَاقِي
اللَّهُ أَعْطَاكَ السَّعَادَةَ إِنَّهُمْ عَلِمُوا بِذَاكَ وَأَنْ حَظَّكَ رَاقِ
وَمُرَافِقُ الْمُحَظَّوظِ مُحَظَّوظٌ بِهِ شَيْءٌ خُصِّصَتْ بِهِ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
مَتَعَوِّدٌ مِنْ فَضْلِ رَبِّكَ أَنْ تَرَى ظَفَرًا، وَلَطْفَ اللَّهِ عِنْدَكَ وَاقِ

(١) نعت مقطوع إلى النصب.

وَتُقِلْ شَخْصَكَ فِي الْبَحَارِ سَفِينَةً
تَجْرِي عَلَى ثِيَجِ الْبَحَارِ، وَفَوْقَهَا
فَاعْجَبْ لِبَحْرِ مِنْ فِرَاتٍ رَاكِبٍ
يَتَكَبَّدُ الْأَخْطَارُ، يَسْهَرُ لَيْلُهُ
لِتَكُونَ لِلْعَرَبِ الْكِرَامِ أُخُوَّةٌ
لِسَلَامَةِ الْأَوْطَانِ وَالْإِخْوَانِ وَالْأُمَمِ
فَاهْنَأْ بِعَوْدِكَ ظَافِراً فِي أُمَةٍ
مَا فِيهِمْ إِلَّا مُحِبٌّ مُخْلِصٌ
يَرْنُو لِأَمْرِكَ فِي يَقِينٍ إِنَّهُ
يَا سَفْرَةً قَصُرَتْ وَطَالَتْ عِنْدَنَا
شَوْقاً لِمَنْ هُوَ فِي الْحَنَانِ أَبٌ لَنَا
يَا أَيُّهَا الْمَشْكُورُ إِنَّا زَمْرَةٌ
مِنْ أَرْضِ طَابَةِ أَوْفَدْتَ مِنْ أَهْلِهَا
وَيَهْنُوكَ عَلَى الْقُدُومِ لِأَنَّهُ
فَاعْطَفَ عَلَيْهِمُ بِالزِّيَارَةِ مَرَّةً
وَاللَّهُ يَبْقِيَكُمْ وَيَبْقِي آلَكُمْ
مَا أَنْشُدُ الْإِحْسَانَ عِنْدَ لِقَائِكُمْ:

تَجْرِي بِعَيْنِ عَنَايَةِ الْخَلْقِ
بَحْرٌ يَفُوقُ بِوَجْهِهِ الْبَرَّاقُ
مِنْ فَوْقِ بَحْرِ مَالِحٍ رَقْرَاقُ
بَرّاً وَبَحْراً، لَاقْتِنَاءُ مَرَاقُ
مَشْدُودَةٌ فِي وَحْدَةٍ بُوْثَاقُ
وِلَادٍ مِنْ قَهْرٍ، وَمِنْ إِخْفَاقِ
أَكْلٍ مِنْهَا خَاضِعِ الْأَعْنَاقِ
مَتَشَوِّفٍ مِنْ كَثْرَةِ الْأَشْوَاقِ
بِرَجَاءِ رَبِّكَ بِالْمَسْرَةِ بَاقُ
شَوْقاً لِرُؤْيَا بَاهِرِ الْأَخْلَاقِ
فَتَرَاهُ فِينَا ظَاهِرَ الْإِشْفَاقِ
سَارَتْ عَلَى الْأَخْدَانِ وَالْأَعْنَاقِ
لِيَبْلُغُوكَ تَحِيَةَ التَّوْاقِ
فَرَضَ وَأَنْتَ بِهِمْ شَفِيقٌ وَاقُ
فَالسَّعْدُ فِيهِمْ أَنْ يَكُونَ تَلَاقُ
مَتَدَرِّعِينَ بِوَحْدَةٍ وَوَفَاقُ
لَبِيتُ فِي اسْتِقْبَالِكُمْ أَشْوَاقِي

* * *

وقال مهنتاً جلاله الملك عبد العزيز آل سعود بعودته من رحلته إلى مصر سنة ١٣٦٥ هـ، وقد نشرت بجريدة أم القرى في حينه:

أثبت المجد عن علاك وآلى ما رأى للفخار منك مثالا
بيناتٍ يسوق في صدق دعو اه لديكم، ولا يفوه محالا:
دخل العُرب من زمان بني العبد اس ليلَ خمولٍ ذِكرٍ توالى
عمقته أيدي الفوارس والت رك بتفريقنا، فكان الوبالا
سلبوا الملك والتقدم منا واستبدوا بالحكم عنا فزالا
سنة تنقضي، وقرن يُولّي والأمانى تحفنا أشكالا
يا ترى هل نعيد مجداً تليداً رجح الكون ثقله والجبالا؟..
أوترينا الأيام فيه مناماً قد رضينا بأن يكون خيالاً؟..
كل فرد يثن من عظم كرب زلزل النفس شره زلزالا
وتقول الأقدار: صبراً جميلاً إن في الغيب نحوكم أحوالا
سترون الإعزاز والملك حتى يملأ الأرض ذِكرُكم إقبالا
وترون الشموخ والعز يأتي في زعيم يصارع الأهوالا
هو عبدُ العزيز أولُ شهم جدد العز فاستبان وطالا
رأسه الملوك حتى عليهم خطبوا وده فحازوا الكمالا
عرفوه بفائق الفهم فيهم فهو للحق درة تلالا
سمعوا نطقه فهاموا وقالوا: (هكذا، هكذا، وإلا فلا، لا)
ولسان الزمان ينشد فيهم: (ذي المعالي فليعلموا من تعالى)

* * *

يا كريم الجدود لم لا تكون الطا ثر الصّيت، والفتى الصّوالا
والزعيم المحبوب في كل قوم وبلادٍ أتيتها جوالا

والخطيب المخطوب في كل أمر
أو لست المؤسس الملك فينا
أوليس التوحيد فيك سلوكاً
في نواد تعمها أفضالاً؟
ومزياً بالجد عنا وبالأ؟
راسخاً لا يروم عنك زوالاً؟

* * *

أولست الذي لوحدة أرض الـ
يا طويل النجاد والعمر والعز
أنت تفصيل كل مدح تلوه
فلهذا أتاك (فاروق) (١) مصر
رابطاً وحدة بأكرم ملك
هو والله قد أجاد وقد صادف
فلذا زرتّه وكان حريّاً
زرتّه في الصقور من عُرْب نجد

* * *

أنت يا زائر الكنانة هذي
أنت خير من كل وافد مصر
زرت مصرأ يوم الخميس بطرّز
يتلاقى بك المليك ابتهاجاً
سرتما بعدها إلى أرض مصر
في هتاف من الجماهير فحواه
ودوي من المدافع يذوي
وأزير من القلاع قلاع الجو

جثّها تستفيد منك خصالا
إذ تزجي السحاب منك الثقالا
مدهش لم نخل له أمثالا
في رصيف السويس لا يتعالى
والقطار السريع يدي اختيالا
احتراماً يصور استقبالا
قطر مصر به يريك احتفالا
بدي تحية إجلالا

(١) هو الملك فاروق: آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي (١٣٣٨ - ١٣٨٤ هـ).

فلحظتم جمالها والظلالا
للسلام الجنود والأبطالا
لمين من فوق ذاك تعالى
كُشِفَتْ، فَصَلَّتْ لَنَا الإِجْمَالا
ثم ذاك (الفاروق) فيها شمالا
المُزَادِ مِنْكَ دَلَالا
فيه وكنْتَ تنعم بالـ
عَزَّ لغيركم لَن يُنَالا
غداً مَنْوَعاً أَشْكَالا
فيها العشاءُ حقاً تحالَى
هو للفخر قلّوده رجالا

ثم لما دخلتما خُلِدَ مصر
وهناك القُوَادُ جاءوا وصفُوا
وأقاموا مراسماً ورفيف العا
قدموا عَرَبَةً بَسَتْ خيول^(١)
ذاك (عبد العزيز) فيها يمينا
وانتهى السير بالمقرِّ بقصر الزعفران
وسمعت الحديث من شيخ الأزهر
ثم جمعت ثم جئت على موكب
وتناولت للمليك (بعبادين)
وبدار الوزارة الخارجية
واليك المليك أهدى وساما

* * *

بناها، ترى بها حُلَالا
لتكريمكم، فضاء كمالا
كنت فيه مع البَها نَزَالا
لمليكي أنساً يث الجمالا
شاهرين السلاح والعسالا

(لفؤاد) تضاف جامعة شيدت
وبها مهرجان عز أقاموه
(ولعباس) في الملوك مكان
خير أنسٍ في معرض نظموه
لاشتراك العربان بالجنـد فيه

* * *

اصطنعت ما كان هالا
ما كان عن ثناً معطالا
ورأيت الأهرام فيها تعالى

يا عريقَ الندى أراك بقصر الزعفران
من عشاءٍ أحللت فيه مليك القطر
ورأيت استعراضهم جيش مصر

(١) ست خيول: الصواب ستة. ونلاحظ أنه سكن الراء في عربة.

(لمحمد علي) ترى مشآت
وكذا المتحف الزراعي وافيت
ثم عاينت في الحدائق مرأى
ثم سافرت (للمحلة) فعلاً
وترى نسجهم، وغزلاً لصوف
ثم زرت المستشفيات وشاهدت
ثم جئت الاسكندرية أيضاً
ونظرت المستشفيات ودوراً
ورأيت المعالم الكل فيها
ثم غادرتها وجئت لمصر
ثم (للبورث) ذلك (توفيق)

أنت قد زرتها فحازت وصالا
إليه تواصلُ الأرسالا
حيواناتها تراها اكتمالا
هي تلك (الكبرى)، ترى العمالا
إن فيها للريح حقاً منالا
لديها التنظيم والإخلا لا
نغر مصر، عروسها والجمالا
في تجاراتها تنمي المالا
ثم قصر المصيف إذ يتللا
في سرور تضمُّ معك الرجالا
تحركت فائزاً رَحَلا

* * *

حبذا رحلة كتاريخ مجدٍ
ليس كل الملوك (عبد العزيز الفصيل)

لا تُريك الأسفارُ فيها مثالا
الفرد نائلاً ما نالا

* * *

يا جمالَ السعود، أهلاً وسهلاً
عُدْ بخير إلى بلادك والْحَظْ
أنت أصبحت خير راع لديها
مثل هذا يُفَرِّحُ الروحَ طبعاً

لا ثناء إلا لك اليوم آلا
أمة كلها تراها عيالا
وبك السعدُ للريعية والى
(هكذا، هكذا، وإلا فلا، لا)

* * *

كلُّ آلِ السعود قوم عظام
مارسُوهم فمارسُوا أبصرَ الناس
كل فرد تراه منهم كبيراً

لا يحسون في المعالي كلالا
بصبر يزيع عنهم سلالا
وتراه إلى العلى ميّالا

ورثُوا صولة الأسود ونظرات
 خلِقُوا للورى ملوكاً وصيغوا
 آل عبد العزيز ليس يضاهاون
 إن أسنى نجابة في بنيه
 فسألتُ الإله طولَ بقاء
 ظفراً في الملوك ليس يجارى
 الصقور، تخالهم أشبالا
 من علاء يسير الأمثالا
 كمالاً ورفعةً وجمالاً
 وبحق غدواً له أنجالا
 لأبيهم بصحة تتوالى
 ما استطاب الأنام منه أطالا

* * *

يا ملك البيان والناس والرأي
 أنا وفدٌ من طابة جئتُ أسعى
 فرحاً بالقدوم، أحظى بتقديم
 نائباً في الحضور عن دار درس^(١)
 وتلاقي البها بوجهك يا من
 كلُّ فرد بها يهني ابتهاجا
 إن عينا تراك تكسب فخراً
 فبحق أقول في كل ناد:
 تنعم بحالة لن تُزالا
 ساقني الشوق نحوك استعجالا
 تهان، أخضكم إجلالا
 نمت للعلوم تدعو ابتهاالا
 ترك العز عندنا مختالا
 ولخير الدعا يرى قوالا
 إذ رأت مُسعداً يطول الرجالا
 أثبت المجد في علاك وآلى

* * *

(١) هي مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة.

وقال يهنته بمضي خمسين سنة على دخوله الرياض في يوم
الاحتفال الخمسيني الذهبي في ١٣٦٩/١٠/٢ هـ:

يا أيها الملك المهيّب الأوحد	أبقيت مجداً للعروبة يخلد
فاحمّد إلّٰهك دائماً إذ نلت ما	ترجوه، وانعم إن شكرك أوكد
ولتحمّد المولى الرعية إنها	نالت بحمدك كلّ شيء يُسعد
إنّا لنرجو أن تعيش مضاعفاً	لك طول عمر في البرية يحمد
كم ضمن خمسين تعدّ قلائداً	وفرائداً، ومحامداً، لا تنفد
بك يرتقي الإحسان أوج العزّ في	تاريخ فخر عرشه يتأبّد
إن المكارم لو جزّتك بموقف	جعلت ثناء الكون عندك يُنشد
خمسون عاماً أورثتك من العلى	ما شئت، ما ظلت لغيرك تسند
أضحى الرياض بها المحسّد في الورى	ما كل عزّ في البرايا يُحسد
من شك فيك بأن مجدك مفرد	فليأتنا بمثال مجدك يُفرد
شهم تذلل له العظام في الملا	يعطيك ما يرضيك لا يتردد

* * *

إنّي لأشهد أن بيتك في الورى	للملك أهل، وهو قدماً مسعد
ولالك المجد المؤثّل والعلی	لكنّ مثالك فيهم لا يوجد
ولكلّ فرد منهم أحدىّة	في المجد، منفرد بها يتمجد
لكنّ تجمّع ما تفرّق فيهم	لك يا طويل العمر حين يعدّد
فلك السلامة يا عصاميّ العلى	فالكلّ أنت، وفخرهم بك ينجد
آل السعود، وتلك شهرة سعدكم	سلطانها بالجد فيك يجدد

* * *

أبا العجائب والغرائب هل ترى كفوّاً لمجدك ثانياً، أو تشهد؟

أضحت بك الدنيا تتيه على الوري
أمتتها مُذْ سُستها بعدالة
من بعد ما كانت بغيرك تُجهد
إن المهذب للمكارم يرشد

* * *

يا أيها الظفر الذي سارت به
إن الإشارة منك أعظم جحفل
في ريعنا الأمثال، ليس يفند
يردي العدا، ولهم بذاك تبذد
أحرزت ملكاً في البسيطة يبعد
ما إن لها ظفر سواك يمهّد
فلك الهنا طول المدى يا أمجد
من كل ما نال الفتى قد نلته

* * *

يا جاعل التوحيد نصب العين في
أحرر رضا الرحمن إنك آخذ
حركاته وسكونه يتقصد
بالحزم، فالدنيا لمثلك تُشد
كل الأمانى عنده تتورد
ولـ (فيصل) سيفُ العلى لا يغمد
أسداً تظل الأسد منه تُرعد
في المجد يعرفها الحسود فيكمد
وصفاؤه وضيأؤه يتنضد
كالعقد في جيد الزمان، بهاؤه
ولكل فرد من بنيك مزية
إنا نرى المنصور (منصور) الهدى
من كان بالشرع الشريف مسيره
لك من (سعود) كلُّ سعدٍ سائر
أسداً تظل الأسد منه تُرعد

* * *

أبديت يا عبد العزيز روائعاً
والأصل نيتك الكريمة إنها
وبدائعاً ظلت برأيك توقد
هي نخبة التاريخ إلا أنها
أسُ المفاخر حسنها لك يشهد
بيّضت صُحف الدهر فهي كواكب
كيتيمة الدر الذي يُتقلد
فإليك يا ملك الزمان خريدة
في أفق مجدك دائماً لك تُسرد
وتخص ذاتك بالدعاء لكي تُرى
مدنيّة تأتي إليك تمجد
أبدأ وأنت بما تروم مؤيد

ولك الحياة بصحة وسلامة لترى بآلك ما تريد وتقصد
آل السعود حكومة مسعودة شيدت على أسس البقاء تمدد
بالأمن والعدل الصراح مقامة ويكل شهم للصواب يسدد
إنا لنرجو أن يطول بقاؤها في كل عام مجدها يتجدد

* * *

وله أيضاً مادحاً ومهنتاً الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود في

١٣٤٤/٥/٢١ هـ:

الحمد لله الذي هو أول
(أحمد) أهلاً فسعدك مقبل
وأطب بطابة بعد فتح حصونها
لو لم تكن من أسرة دانت لها
أولست ممن إن يقولوا يفعلوا
أولست من عبد العزيز إمامنا
أولست من أبناء فيصل فاصلاً
أمريض الجيش الحرون بجده
ولت ليالي النحس منذ بدا لها
يا من غدا غيشاً لغوث رعية
يا عارضاً، من عارض لعداته
حسمت لنا داء المطامع كلها
حسمت لنا داء الفساد وقطعت
ومؤمل أن يسخط السكان في
ويريد يمحق ما حواه طريفنا
حتى يكمل هلكنا لحياته
بث الزعانف في البلاد تعمداً
ما راقب الله الحكيم بسلبنا
أما الأرامل واليتامى وئله
كم قد غدا سداً لكل كرامة

ثم الصلاة على النبي أكمل
واحكم فحظك بالسعود موكل
نفساً، وعدلك حصنها والمعقل
كل القبائل، ما رجاك مؤمل
أو عاهدوا وفوا، وإن وآلوا ولوا؟ ..
فلذا تهون به الخطوب وتسهل؟ ..
بسنانه وبيانه ما يشكل؟ ..
يَهْنَاك ملكاً لا يزال يؤئل
سعد السعود، ومن لذلك يجهل؟ ..
يستاقه الدين المبين فيهطل
بصواعق من ويل حزمك تنزل
من أمل أن لا يزال يطول
للفارين أناملاً تتختل
إرضائه عن سطو بأسك يذهل
وتليدنا، ظلماً يقول ويفعل
ويعيش فرداً، والمنازل تهمل
كي يستذل له الأصيل الأفضل
كللاً، ولا استحيا، ولا هو يعقل
فهو الشريك لما لهم يستحصل
تأتي المدينة والقلوب تقلقل! ..

إغفال من يحنو لنا فينول!..
 ولكم سطا فعلاً بضرب يقتل!..
 بين الأهالي نارها تُستشعل!..
 إن الثعالب رَوْعُها لا يُجهل
 صُوف الثياب منافقٍ يستسهل!..
 كذباً وزوراً لا يتوب فيعدل
 لتهدم الأعلى وطمّ الأسفل
 حتى سعوا في فعل ما هو أعضل
 يا ليتنا في نفسنا نتجمل
 من يطلب المُكدي لما قد يأكل؟
 طُبْعُ السياسة عن رضاهم ينكل
 والعدل أجدر بالعمار وأمثل
 سلك الإطاعة، والشرية أول
 ظلت له نُزُلُ العلى تتأهل
 عزٌّ يطول به الزمان ويقبل
 أخبارُهُ في كل قطر تجمل

* * *

فغيائك الضعفاء لا يستسهل
 يتسابقون سعيئ نحوك أمثل
 أنت الربيع وعن نداه يُسأل
 حسناء تبدو بالهناء وترفل
 أفعالهم في هوة تستنزل
 دار الزمان بكل حظ يكمل

ولكم فرى لما افترى، الأرواح في
 ولكم كبا في القبو ظلماً ماجداً!..
 ولكم أثار بخبثه من فتنة
 لا تغترز بسواه من رؤسائهم
 كم فيهم من ناقص كالسوس في
 متمرّن في حوك كل رذيلة
 لولا تداركنا الإله بلطفه
 لم يكفهم ما أعضلوا بفعالهم
 يستجدونا بعدما عملوا بنا
 كم قد بثنا نجتدي فضل الورى
 الحكم أشوس لا يلين لعجز
 والظلم أجدر أن تُخرّب داره
 والناس بالإحسان ينتظمون في
 من لاحظ التقوى بعين مهابة
 ومن اقتفى سنن الشريعة عاش في
 والسعد كل السعد منظر عادل

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير محمد بن عبد العزيز آل سعود:

سرُّ الإمارة فوق وجهك واضح عليك من نور السعود ملامح
منك المدينة تزدهي بإمارة وتقام فيها للأمير مدائح
ولأنت منقذها القديم فكيف لا تبدي الثناء وأنت فيها الفاتح
أنا كنتُ فيها أوَّل المداح مُذ وافيَّها، ولك الأنام تصافح
إن أنس لا أنسى لباس عباءة أعطيتني، وأنا بذلك فارح
يا حبذا هي عندما أعقبتهَا بوظيفة، إني بذاك لرابح
نفسى تقدَّر كلُّ فعل طيب كلي لمدحك يا أمير جوانح
لا أنكر الشرفَ الذي أوليتني وخطابك الدرُّ البهيُّ يسامح
منْ عهد ذاك اليوم حتى يومنا وأنا بشكرك في البلاد أصارح
دانت لك الأرواح بالألطف من حسن القبول إذا انبرى لك رائح
نضَحَ الثناء عليك أطيَّب عَرفه ولسانُ مدحي في الأنام النافح
منْ ذا يقاس بمجدكم وعلاكُم وبكم تروّت في السماح أباطح؟
لكُم العلوُّ على السماك مكانة ولكُم على حكم الأنام مفاتيح
إن الملوك لدى البسيطة كلَّها تدري بأن الفضل منكم واضح
منْ ذا يضارعكم ويدرك شأوكُم ولديكُم عند الخطوب مصابح
دانت لِعِدلكُم البلادُ وأخصبت أرجاؤها، شهدت بذاك لوائح

* * *

وقال يهنىء سمو الأمير سعود، حين تعيينه ولياً للعهد:

براحة المُلْك صافحَ راحةَ الهممِ
فالعُربُ في الناسِ إنْ عُدَّتْ مآثرُهُمِ
وأنتَ فيهِم كبدِ التَّم منزلة
والحِظُّ أوفرُ من كوني أقيمُ له
لا المجدُ ينكرُ منكم في ضمائرنا
ألم تكنَ نسخةً من عاهلٍ ظفِرِ
جَدِّ سعودٍ، وجَدِّ في الحِظوظِ له
لله أنتَ فقد أورثتَ مآثرةً
ومن تكنَ لأبي المُلَّاك نسبته
(عبدِ العزيز) أعزَّ الله دولته
والكلُ يخطبُ منه الودَّ: مِنْ مَلِكٍ
في سائرِ الكونِ ملحوظٌ بكلِّ بهاءٍ
والنصرُ يُنفذُ ما تبدي إرادتهُ
أنتَ ابنُ ذاك الذي آراؤه انتُصيت
فدُم سعودٌ سعودٍ، وارَقَ في أفقِ
نفوذِ رأيك في صيدِ القلوبِ غدا
لما غذيت بِدَرِّ العزِّ، واتضحَت
وأسفرتَ عن غيوثِ يضمحلُّ بها
نتاجها للمُوالي بهجة، نِعَمٌ
وحزتَ أجملَ وصفٍ عندَ أرشد مَنْ
وكنْتَ مركزَ سرٍّ منه، بل ثقة

وافخرَ بنفسك في المَلَّاك والأُممِ
مثلُ الكواكبِ في داجِ من الظُّلمِ
سعدُ السعدِ، فعش في السعدِ واحتكم
أدلةً مَدَّ غدا ناراً على عَلمِ
ولا لسانُ العلى فيكم بمنعجمِ
مؤيدٌ بالهدى والعزِّ والكرمِ
في الحزمِ والعزمِ جَدُّ نافذُ الكَلِمِ
فخرُ الكرامِ، وحزتَ المجدَ من قَدَمِ
يظلُّ أسعدُ مَنْ يمشي على قَدَمِ
وصانه للمعالي ناشِرَ العَلمِ
ومن وزيرٍ، ومن عالٍ ومنهضمِ
إجلاله بثناءِ مطربِ النِّغمِ
كأنه عنده شخصٌ من الخدمِ
سيوفٌ مجدٍ لحسمِ الشكِّ والتَّهمِ
من السعادةِ لم يُلمسَ، ولم يُرمِ
بحكمةِ الملكِ ممتازاً لدى الأُممِ
فيك المخايلُ مثلُ السحبِ للديمِ
جذبَ الزمانَ، وُشِّفَى كلُّ ذي أَلَمِ
لكنها للمُنْاوي أنكَأ النِّقَمِ
بَزَّ الملوكِ بشأوَ ظاهِرِ العِظَمِ
بها تفوقُ الورى في كلِّ مزدحمِ

عجائب الوصف، ملء الجود من شيم
بالعدل والحلم والإحسان والنعم
بحلية الدين، ثم العلم والهمم
بكم أمانني لم ترخص، ولهم تُضَم
فيكم، لأنكم من أعدل الأمم
عيونكم عن مراقي المجد لم تنم
في سائر الناس عند البحث في الذمم
فانصت إلى الود منهم من فم لفم
تظفر بود صريح الحب منتظم
فالفضل منكم إليكم في الأنام نمي
لكل ملتزم بالدين معتصم

وصرت راحته اليمنى تمد له
أعطاك عهد ملايين تقوّمها
تلك المكارم فالزمها مجملّة
والله يعلم والأقوام أن لنا
نرجو الإله بكم خيراً نؤمله
وإن مُلككم بالشرع مندعم
وأهل طابة من أوفى الورى أبداً
وأنت يا ذا السمو أدرى بشأنهم
والحظ سرائرهم بالفكر مختبراً
إن كنت توليهم حباً فلا عجب
رغيت فيهم وصايا فيهم وردت

* * *

فضل الإله، فما يوفيكُم كلمي
بها حويتم دراري الحُكم والحِكم
قادت لكم حب كل العُرب والعجم
في ظل ملك بنهج الدين ملتزم
وغادر الناس بالإحسان في نعم
طويلة الباع في عز وفي كرم
بكل مفخرة قيلت بكل فم
براحة الملك صافح راحة الهمم

آل السعود جزاكم كلّ صالحة
أحييتم سنة المختار فانتشرت،
حزتم بطاعة ربّ العرش معرفة
إن المفاخر أولاهها وآخرها
والله ينصر من بالأمن جللنا
والله أظهر وسط الكون دولته
فالله يحفظ أنجالاً له عُرفوا
كذا رجالاً له والجند ما تليت:

* * *

وقال مهنتاً سمو ولي العهد المعظم الأمير سعود، وألقاها بين يديه بجدة، إذ كان أحد أعضاء الوفد المدني، ونشرتها جريدة المدينة في عددها ١٨ بتاريخ ١٣٥٦/٥/٢٨ هـ وكان سمو ولي العهد عائداً من أوروبا بعد حضوره حفل التتويج البريطاني:

مجّد عظيم من مقالي أرفع	منه تهيبّ الجوانح أجمع
يا ابنَ الكريم ابنِ الكرام ومنّ لهم	في كل مفخرة وعزّ موضع
نُهدي إليك من القلوب تحية	في ضمنها كل الكمال مجمّع
من جيرة المختارِ أكرم جيرة	بعثت وفوداً للتهاني تُسمع
نعطيك ما يرضيك من تقديرها	لمقامِ مجدك في البرية تخضع
طبق (السديري) الذي لولائكم	سهر الليالي فهو شهْم أطوع
وكذا نهني ذا الأمير (محمداً)	وهو الذي لكمال مجدك يشفع
هو في الحقيقة رأسنا وأميرنا	وأمرُ طابة والذكي الأصمّع

* * *

أهلاً وسهلاً بالسماحة والعلی	أهلاً وسهلاً. كل حين تنبع
وتبارك الله العليّ فإنه	أعطاك من صافي الحجيّ ما تصنع
مثلت حرّ المجد في أوربة	مثلت مجدّ عروبة لا تهلع
نظروا إليك فراعهم منك النهي،	متنوع، في قصده متجمع
ورأوا أسرة جبهة في طيها	سرّ المهابة والمجادة يسطع
العزم والحزم المسدّد برقها	بغرائب المعقول منها يلمع
نظروا إلى المطبوع من نور العلي	سمعوا بلاغة يعرب إذ تصقع
لفظ كأن الدرّ منه يُجتني	في موقف فيه المفوّ يخنع
وشهامة عربية نجدية	ببلاغة مُضريّة تتلفع

خضعوا وقالوا: ذا الخطيبُ المضقع
رُكناً لدينِ الله لا يتصدّع
نال العلى، ففخاره يتضوّع
مطبوعةً، والصدق منها يهمع
أيمائل الطنّع الكريم تطبّع؟
رجل يظلّ الخصم منه يُرْوَع؟
نُلفيه مثلك للشرِعة يخضع؟
بالأمن في أرض الهدى تتمتع؟

أصل يظل على بنيه يفرّع
فرح عظيم، مثله لا يشفّع
شوقاً تطير إلى لقائك تُسرّع
بعثت تهانيها لذاتك تُرفع
من كلّ أوبٍ نذها يتضوّع
شرف القدوم وكلّهم لك يهرع
بدوام عمر أبيك ذاك الأفرع
ما ضاء بدر أو أشاد سميذع

أنت الذي إذ قلت فيهم كلمة
ملك كأن الله صوّر شخصه
فهو المجدّد والموحد والذي
أبدأ يريك خلائقاً عربية
قل للذي باراه يرجو مجده:
من أين مثل أبي الصقور أبي النهى
من أين يا تاج الملوك مبجل
من أين مثل أبي الملوك نرى الورى

العز في (عبد العزيز) مليكنا
إنّا بطيبة يا وليّ العهد في
وتكاد مع سكاّنها بك فرحة
إن الجزيرة كلّها مسرورة
ومجامر التبريك فاح عبيرها
ويخصك الحرمان بالترحاب في
فاسلم دواماً للمكارم والعلى
وعليك مني ألف ألف تحية

* * *

وقال يهنئه أيضاً:

نور السعود على المدينة أشرقا فليسمُ يوم بالرجاء تحقُّقا
هذي السعادة خيِّمت برحابنا فعلاً، وزايلنا العناء مع الشِّقا
فليحظْ مَنْ كان السعودُ نزيله فبمثلِ هذا الفخرِ يرقى مَنْ رقى

* * *

أولِّي عهدِ العاهلِ الملك الذي بزَّ الملوكِ سماحةً وترفُّقا
وأتى بكلِّ عجيبةٍ وغريبةٍ من حسن رأيٍ كان فيه الأسبقا
أهلاً فأنت السرُّ، سرُّ أبيك يا مَنْ قد جمعتَ صفاته والمنطقا
وحكيتَه حتى بهيئته التي هتكت حجاب الخوف حتى مزقا
يا خائفاً من فقره وزمانه قل: يا سعود، تر الندى لك مغدقا
تر بهجة الدنيا لديك تصورت تر كلَّ عود بالمكارم أورقا
تر كلِّ مجد قد تجسم للورى يُدعى (سعوداً)، بالسعادة محدقا
شهم تتوجُّج بالشنا بين المَلأ وبكلِّ حزم في الفحول تمنطقا
ما شئت من فضل وحسن شمائل كادت لدينا بهجة أن تنطقا
لو مثل المجد المؤثل للورى في معرض أصبحت منه أعرقا

* * *

أمزود الشعراء من أوصافه معنى المديح، وكيف يصبح مشرقا
لك منطق تدري البلاغة أنه شهَّد المسامع والعقول تذوقا
لك فطنة شقت قلوبَ جميعنا فرأت بها فرحاً عليك تعلُّقا
لك نظرة في كلِّ فرد عندها معنى يفتِّح ما نراه مُغلِّقا
لك هيئة كالروح، أو كالبدر، أو كالشمس، أعطت للبسيطة رونقا

أولاك من رتب المعالي الأوفقا
بعد الإله بها، وطاب لنا اللقا
فعلاً، وكان فؤادها بك شيقا
أوليتها، والقرب منك تحقفا؟..
بسحاب جود بالندی قد أبرقا

* * *

إن الكمال بقضه وقضيضه
فتعلقت آمالنا وقلوبنا
قصد المدينة قد تحصل عندها
لم لا تتيه على الورى طرباً بما
فلتتهج دور المدينة كلها

عانوا شمس المجد حتى استرققا
كل الليوث برقه لن تعتقا
سهماً على كبد العدو مفوقا
في كل مكرمة تراه الأخذقا
قل للمحاكي مجدهم: لن تلحقا
وأرتك هارون الرشيد مخلقا
إن كان غيرهم بذاك تزبرقا
إلا لنشر الدين أو نشر التقى
عبداً، وطول ملكهم طول البقا

* * *

آل السعود عصابة ميمونة
ما فيهم إلا هزبر باسل
كالبدر منظره ولو ألقته
وموهل أبداً لكل ملمة
هي حكمة الباري دواماً فيهم
أفت مفاخرهم سماحة حاتم
قوم هم حصن الشريعة في الملا
جند الإله فما يجاهد منهم
فجزاهم الخلاق أفضل ما جزى

أكرم بسعي للهدى لن يخفقا
في مثل ذاك مغرباً ومشرقاً
وطىء الثرى، والسبع فعلاً قد رقى
ألف يظل بها الثواب محققاً
والصاحبين تحوز رداً أصدقا
بالسعد في كل المجامع حلّقاً
رُزقا النهاية بالهدوء تأنقا

يا ساعياً في رحلة شرعية
طبقت معنى ما روي بين الملا
لح زائراً بالأجر مسجد خير من
ومؤدياً فيه الصلاة، وضعفها
ثم السلام على النبي المصطفى
لصفاء نيتك الكريمة طائر
فيك الكياسة والسياسة خلقة

لك في المحافل لهجةً عطريةً نُشِرتَ كمسكٍ للأنوف تفتِّحا

* * *

أهل المدينة يا أميري كلَّهم يهدونك الشكرَ الجزيلَ لزورةٍ
إذ كنتَ بالعطفِ الشهيرِ مُعيرهمُ أهلاً وسهلاً، إننا بسعودنا
هذا لسانُ ثنائهمُ في محفلِ نادٍ تموج به المهابةُ وهو في
والله يبقي للبلادِ أباكم والبدء في مسك الختامِ أعيده:
بولائهم يسعون نحوك سُبَّحا ميمونة فيها الرجاء تألَّقا
سمعاً، فهاك عبارةً لك تُنتقى نسمو على كل الأنام تحقِّقا
لم تُلِّفَ قلباً فيه إلا خافقا مِرط الأمان بكل عدل طوقا
(عبد العزيز) مظفراً وموفقا نور السعود على المدينة أشرقا

* * *

وقال يمدحه بقصيدة ألقاها بين يديه في الرياض :

شادٍ عجيبٌ في الأنام ينادي :
 هذا السعود، وذا (سعودٌ) فيكمُ
 هو شبلُ قسورةِ الجزيرة والذي
 هذا الذي حاز السعادة والرضا
 وترى التواضع بالعلوِّ مصاحباً
 الله أكبر تلك أشرف خصلة
 إن (الرياض) هي الرياض بمثلكمُ
 يا حبذا نفحُ الرياض فإنها
 بل حبذا أرض (الرياض) لأنها
 بلد تمشَى العزُّ في أرجائه،
 هي منشأ المُلْك لا تلفي بها
 يروي الساحة كابراً عن كابر
 المُلْك أعرفُ أين يلقي رحله
 والشعر جوهره يزيد وضاءةً
 والمدح أجدر أن يكون مُجَمَّلاً
 والفخر أجدر أن يطول مجاله
 فلرغبةٍ ورَدَ الوفود، وإنهم
 نظروا الجبال الراسيات رجاحةً
 إن المصاييح الذين تراهُم
 كم فيهمُ عجبٌ يسيل مكارمُ
 لو زدتِ الدنيا بدنيا مثلها

آل السعود بقربكمُ إسعادي
 فولِيْ عهدكمُ جمالُ النادي
 أربى على المَلَك والأساد
 بلغ السَّمَاك بمجده المزداد
 فيه، يقربنا بكل وداد
 خصَّت بكمُ يا نخبة الأمجاد
 فالنشر منها عاطر الترداد
 منح تُزودنا بكل مراد
 قطع الجنان ومسكن العباد
 نجديةً، فاقت على الأنجاد
 إلا سعيداً حفَّ بالإسعاد
 وبكل حُسنى في البلاد ينادي
 كالنبر يوضع في يدَي نقاد
 في موضع الإعزاز للإنشاد
 في موضع الإرهاب والإمداد
 في موضع الإصدار والإيراد
 لكذاك قد صدروا بكل أباد
 وسماحة ونجابة الأولاد
 هم خيرة الدنيا بلا أنداد
 للأوليا، وصوارمُ لأعاد
 قمتم بها عدلاً مع الأباد

لو تعقل الأفلاك مبلغ مجدكم رَجِمْتُ أَعَادِيكُمْ بكل بلاد
لا يعدم الإحسانُ منكم رُغْمًا لأنوفهم في محفل الأشهاد
فالمجد بالحساد دوماً محقق إن الصقور كثيرة الحساد
والله أسأل أن يوطد عزكم دوماً على الأحقاب كالأطواد

* * *

وقال يمدح جلالة الملك سعود ويهنته، ولقد ألفاها نيابة عنه الأستاذ محمد سعيد دفتردار^(١) في الحفلة التي أقامها السيد حبيب محمود أحمد / في بستانه بسيد الشهداء في أوائل سنة ١٣٧٤ هـ:

طابت بمنظرك المناظرُ	وغدا العقيق لديك عاطرُ
أهلاً وسهلاً بالمليك	ابن المليك، ابن المفاخر
التارك المعروف والمألوف	فيما، غير قاصر
راق الزمانُ بمقدمٍ	(ضربت لنا فيه البشائر)
إن الخريف أخو الربيع	فحين جئت بدا يكائر
يسمو على كل الفصول	بفخره أبداً مجاهر
والقصر قصرٌ لا الذي	تروي لنا عنه الدفاتر
قد كان قصرٌ سعيدٍ ابن	العاص لهجةً كلُّ ذاكر ^(٢)
حتى تطلع قصرٌ العالي	يجاذب كلُّ شاعر
فسما وما قال امرؤ	(من منهما زاه وزاهر)
أين البداعة فيهما	(والفرق مثل الصبح ظاهر)
أو ما تراه مشرقاً،	سعدُ السعود له مسامر
يبنيه من آل السعود	سعودنا، فالسعد حاضر
يا أيها الملك المعمر	والمشمر والمثابر
في كل إصلاح يسير	له التفوق والمآثر

(١) دفتر دار: من شعراء المدينة المجيدين في القرن الرابع عشر الهجري المنصرم، ومن كانوا على صلة وثيقة بشاعرنا البري، (١٣٢٢ - ١٣٩٢ هـ).

(٢) يشير الشاعر إلى بقايا قصر سعيد (أحد أمراء المدينة في عهد معاوية) التي كانت لا تزال ماثلة في عرصة وادي العقيق الكبرى، حين البدء في إقامة قصر جلالته.

بالمسجد النبويّ تشهد
 لم تكن عزمك الشدائدُ
 فالمجد في هذا البنا
 فز بالمكارم والمفاخر
 إن الأوائل ما ذرّوا
 دول تمشت في الحجاز
 قد أهملوا أرض الحجاز
 أين العلوم وبثها
 شادوا لنا في الخسر ما
 أزرّوا بأسباب الديانة
 وبلوهم بالفقر والفوضى
 كم فعلة قد أوقعوها
 حتى تولى ابن بجديتها
 ذاك المقيم لمجدها
 بالشرع بالتوحيد بالتعليم
 أصفى سريره فصار
 فالله ألبسه الذي

* * *

آل السعود سعود هذا
 ماذا أقول وفعلكم
 كلّ يردد ذكركم
 فاسمع طويل العمر ما
 واعلم بأنك بيننا
 الكون طراً والعشائر
 مدح لكم بين الحواضر
 وهتافه ملء الحناجر
 جادت به هذي المشاعر
 (طابت بمنظرك المناظر)

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير منصور - وزير الدفاع / سنة ١٣٦٥ هـ:

الحظُّ عند ذوي النهى منصور
شهم تجسَّم للشجاعة هبة
والعز في (عبد العزيز) مرسَخ
حظٌ تلاشى كلُّ حظٍ عنده
متمثلاً حزمًا وعزمًا شكله
لا سيما إن حازه (منصور)
فكأنه في رأيه (المنصور)
وعلى بنيه في العلى منظور
كالشمس يُمَحِّق عندها الديجور
فالنطق منه دائماً تدبير

* * *

يا ابن الملك، وتلك أفخر دعوةٍ
إن الأسود الغُرَّ تنتج مثلها
حقُّ على ابن الصقر أن يُلْفَى له
ما فيكم إلا كَفِيٌّ^(١) حامل
ولأنت أجراً من هزبرٍ خادرٍ،
فلذاك صادفت الوزارة مركزاً
تُدْعَى بها، ومع الفخار وزير
هل غيرها يُلْفَى لهن زئير
شبهاً، وهل غيرُ الصقور صقور
راياتٍ مجيدٍ، فوزها مذكور
قلبُ العدوِّ بمثله مدعور
منه بأصناف الرقيِّ تَمِير

* * *

يا شاهراً سيفَ الدفاع لك الهنا
لم تَلَقَ هذا السيفَ إلا الكفُّ من
والشيء يحسن إذ يصادف أهله
تقوى وتضعف بالمدير، فشأنها
من قال: إن أبي الملك، فإنه
وله المضاء، إنَّ الكفاءة نور
هذي اليمين، فذا لتلك سمير
إن الوزارة بالقدير تنير
بوجود مثلك لو نظرت: كبير
بتمام ما يرجو: الزمان يدور

(١) كَفِيٌّ: جمعها أكفياء.

ستظل من سعد السعود تسير
حتى يُعرَّف للعدا التنكير
إن العسير - إذا تجدد - يسير

* * *

دون الأنام، وسعدكم مخبور
وُلِّيتُمْ، فيكم نما التفكير
منكم فعلاً بالنجاح تسير
يَدُوي، فأنتم للأنام بدور
وفعالكم، ولديكم تسوير
في الأرض، في جو السماء يطير
فالمجد جيش فعله محذور
من كل قلب ملؤه تقدير
أوج العلى، إن الكبير كبير
بحلوله كل السماح يزور

* * *

نظم ورتب جيش دولتك التي
نظم بكل وسيلة جيش البقا
واعمل فإنك للمعالي عامل

آل السعود لكم كمال الحظ من
ما في الملوك سواكم أهل لما
في البعد أو في القرب كل يرتجي
والغرب كالشرق المنير بذكركم
ولمعشر الإسلام يرقب مجدكم
إننا لنرجو أن تنظم عسكرياً
فتطير أفئدة العدا من ذكره
يا ذا السمو لك المكانة في الورى
أهلاً وسهلاً بالوزير المرتقي
ولطابة ترنو لمثلك زائراً

وقال مهتئاً سمو الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود سنة

١٣٦٣ هـ:

نور السعود ونعمة الإقبال	ظهرًا لطابةً في قدوم طلال
بسموكم بين المحافل عزة	تسمو بحسن تلطفٍ وكمال
كالشمس في كبد السماء بضوئها	تعلو السهول وشامخ الأجيال
الوجه نور الملك منه ساطع	وبه يظلّ المجد في استفحال
إن المليك ^(١) أطال ربّي عُمره	قد أنجب الأبناء في الأجيال
هو ذاك قسورة الجزيرة، صقرها،	أعطاه ربّي فائق الأفضال
أشباهه أشباهه بين الوري	ونتائج الرئبال كالرئبال

* * *

أطلال!... ما أطلال طابة عندما	قد زرتها إلا رسوم جمال
في كل دارٍ للتهاني فرحة	ويكل نادٍ حفلة استقبال

* * *

آل السعود سعودكم عمّ الوري	فالكون لم يظفر لكم بمثال
عبد العزيز أبوكم بطل الدني	ضربت به الأمثال في الأبطال
والكل منكم عقد ملك رائع	متشابه الأخلاق والأشكال
فاقبل تهاني طابة من أهلها	يا ابن الملوك وصاحب الإجلال
جاءتك يحملها الجمال خريدة	في ثوب تهنة ولطف دلال

(١) المراد المغفور له الملك عبد العزيز.

مدّت إليك يداً تقدّم باقةً من شكرها منظومةً بلال
بك في افتتاح العام جاءت فرحة شاعت بطابة، يا سعيد الفال
سبحان ربي، بدؤها كختامها: نور السعود ونعمة الإقبال

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير فيصل النائب العام على الحجاز / في
١٣٥٥/٦/٢٧ هـ حين قدومه من تونس . ألقاها بين يديه بالطائف :

أبدأً بذكرك في الوجود أَهْنِيْمُ وأظْلَ عند ذوي النُّهى أَتْرُنْمُ
ولئن أَتَيْتَكَ شاكِراً أو مادحاً فلأنت موجِبُه، وأنت الأكرم
أولست أنك منقذي من عسرة ومُساعدِي، وبك المزايا تعظم
ساعدتني وأنا الغريب، وقدتني بحبائل الإحسان، وهي تَكْرُمُ
وعلمت أني من سلالة مخلص لودادكم، من جودكم لا يُخْرَمُ
فأعرتني النظر الذي أعطيته فلذا جعلتُ بسعدكم أَتَقَدَّمُ

* * *

يا ابن الذي ملك الزمانَ بعدله في الشرق والغرب: المديحُ يُترجم
والعزَّ في (عبد العزيز) مليكنا أصلُ تُسَرُّ به النفوسُ وتَبْسَمُ
قد كنتَ فيصْلَه يسْلُك للعدا فتردَّ عادية الردى إذ تَذْهَمُ
وجُعِلْتَ نائبه فصرتَ أميرنا متجَمِّلاً بخلائقٍ لا تُكَلِّمُ
الحلم والخلقُ الكريم وشاحه والعلم غايته وفيه يُسْهَمُ

* * *

آل السعود ملكتُمُ بشمائلِ ومحاسنٍ في غيركم لا تُعلم
الصدق، وهو مزية لم يَحْوَها إلا عريق، في المجادة أقْدَمُ
والدين بحث، لا يشوب صفاءه بدْعُ تشين بهاء أو تُعْدَمُ
أما الشجاعة والسماحة والندى فغيركم في عصرنا لا تُحْكَمُ
من ذا يزاحم مجدكم ورفيكم وعلاكم فوق السماك مخيَّمُ

* * *

يا حامِيَ الحرمين دمت مملِكاً وأدامك الربُّ الكريم الأعظم
ما قال في مسك الختام محبُّكم: أبداً بذكرك في الوجود أهينم

* * *

وقال يمدحه وبهنته بوصل أخويه: سعود ومحمد، وألقاها بين يديه في جدة سنة ١٣٥٦ هـ:

بسمو صنويك الهنا يتجدد بسناهما، وتظل عندك أسعد
بـ (سعود) قد وافى السعود مكملاً بقدمه الميمون جاء يؤكد
ويزيدنا فرحاً وسعداً مقبلاً لا سيما أن كان معه (محمد)

* * *

يا نائبا لجلالة الملك الذي ما مثله في الكون طراً يوجد
لجلالة الملك المعظم خصلة لم يلحقها في العالمين موحد
حب الديانة وهي أشرف خصلة سارت بذكرها العوالم تُشد
يا أمر الحرمين، يا رجل النهى يا فيصلا للحق، بل يا أوحد
أيام سعد في البلاد زواهر ولها على كل العصور تأبد
لكن هذا اليوم فيها غرة زينت به، وهو الحميد الأحمد
بلقا اللذين تطلعا بين الملا بذرين برجهما بسعدك أسعد
فاهنا بجمع الشمل إنهما بها من دوحة للمكرمات تولد

* * *

سكان طابة كلهم في فرحة قد أوفدونا للهناء نجدد
كيما نمثل للشعور عواطفاً ومسرّة في روحهم تتأبد
وخلوصهم لك بالمحبة في الورى بلسان حال وفودهم لك يشهد
يرجون منك تعطفاً بل نظرة تبقى لديهم حجة تتخلد

* * *

والله أسأل أن يمد بعمر من كان الحجاز بأمنه يتجدد

ويديم دولته ويحفظ مُلكه
ويعمنا منه بأوفر نعمةٍ
ونرى النَّدَى والعدلَ في أيامه
إنّا لنرجو منك فوق ظنوننا
تكفي الأحاديثُ الشريفةُ كثرةً
في فضلها، ولديك منها (المسند)

* * *

إنّا نبَلِّغُكَ السلامَ تودُّداً
وكذاك خادمك (السديري) إنه
نعم الفتى سهل الخلاق، حازم
هو نعمةٌ منكمُ تعمُّ لطابةً
فاقبل تحاياهم، فختَم المسك أن
عن أهل طابة، والسلامُ تودُّد
بالصدق والإخلاص فيكم مُفرد
من فكره كل الأمور تسدُّ
ولكمُ بذاك الشكرُ حقاً يقصد
تبقي لنا دوماً، ومثلك يُحمد

* * *

وقال يمدحه، وألقاها بين يديه في الرياض:

أهوى الحجاز ومن يكون أميره وأرى فؤادي بالوداد أسيره
يا برق طالع مطلع الحرمين في عهد العهد^(١) معاوداً تكريره
واشتى الأباطح والحجون وطابة وارو العقيق، قليله وكثيره
وطني العزيز رقى لأعظم غاية في المجد، مذل السعود أميره
وبفصل فصلت مفاصل خوفه عم الأمان صغيره وكبيره
وأرى التدرج للمعالي يرتقي أوجاً يقيم المجد فيه سريره

* * *

يا نائب الملك المعظم والذي رضي السماح بأن يكون نصيره
يا كاسي الحرمين ثوب تمتع بالحلم، مذل جعل الحنو سميره
العطف منك هو الذي بتلطف غرس الوداد، فكنت أنت مثيره
تدبير أمر القلب شيء معسر إني رأيتك مالكا تدبيره
أمر تحس به القلوب جميعها فالطبع من سري أراك سريره
أطريت حبك لا على مقدار ما يجد الفؤاد فلا ترى تقصيره
ولو أنني أعطيت من دهري المنى صيرت مدحك في الورى تفكيره

* * *

إبن السيوف الفيصلية والذي أمسى الأنام مع الزمان نصيره
آل السعود لكم قريضي كله إني لأرضى أن أرى تقديره
لأكون دوماً في النوادي شاكراً وتمكنوا من فكرتي تحبيره

* * *

(١) العهد: مطر أول السنة.

رَجُلَ الْحِجَازِ وَلَا مَجَازَ أَصْنَحُ إِلَى
وَيْنُكُمْ عَنْ صَافِي الْوَفَاءِ لِمَجْدِكُمْ
حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْخَتَامَ مَبْرُورًا
مَا قَالَ فِي نَادِي السَّعُودِ مُحِبُّكُمْ:

مَدَحَ يَرِيكَ مِنْ الصَّفَاءِ ضَمِيرِهِ
يُهْدِي إِلَى الْآفَاقِ مِنْهُ عَبِيرِهِ
صَدَقَ الْوَلَا أَبَدًا يَرِيكَ نَثِيرِهِ
أَهْوَى الْحِجَازَ وَمَنْ يَكُونُ أَمِيرِهِ

* * *

وقال مادحاً سمو الأمير فيصل المعظم النائب العام لجلالة
الملك آنذاك، ونشرتها جريدة المدينة بعددها التاسع في
١٣٥٦/٣/٢٤ هـ:

سَعْدُ الثناء بمثل مدحك يحصل إذ أنت في حلّ المشاكل فيصل
من كان للمجد المؤثّل واصلاً بفعاله فلأنت فيه أوصل
وجهٌ عليه من البشاشة رونق وبشاشة الإقبال فيه تمثّل

* * *

نِعَمٌ من المولى تخضّب بالندى وتدوم، لكن عن عدوك تفصل
إن البديع إذا انبرى في مجمع مثل الربيع، يضوع منه الأفضل
يعطيك ما يرضيك من مجهوده والمجد يشرح والمدائح تحمل
بسم الزمان إليك إذ كنت الذي بلقائه كل الأمانى تحصل

* * *

لك من أبيك شمائل منظورة هي منه أشبه، وهو منك الأمثل
ما راق لي في العين منظرٌ أمجدٍ إلا وأنت لدى التحقق أجمل
لك في الجلال وفي الكمال وفي الجما ل، وفي الخصال إذا تعدّ الأكمل
كالبدر، أو كالشمس، أو كالبحر، أو كالسيف، ما طلب المحقق يمثل

* * *

أما الصباحة والسماحة والفصاحة والرجاحة، فهَيَ فيك تفصّل
للطالبي سَعْدِ الأمير بقربه شطر، وشرطٌ للعفاة مفضّل
منها معاملة الصديق لصدقه وكذاك منها للضيوف معوّل
عندي له في القلب نور مودّة للدين فيه وللمدُن محمّل

ظني لديه أن أكون مجملاً ومكتملاً بخصائص لا تنقل
منها مراعاتي بضعف (مرتبي) كيلا أرى بالاحتياج أكبل

* * *

أسعى بمعرفة الأمير لدى الورى لا هم لي إلا إشادة ذكره
أشدو وأنشد مدحه متمثلاً أشدو وأنشد مدحه متمثلاً
مدحي لكم يا آل فيصل واجب ومن السماح فرائض لا تهمل
يا ابن الذي فرع الأنام جميعهم والعز في عبد العزيز مكمل
فهو الكريم أبو الكرام ومن له في كل منقبة صفات تجمل
يسعى لدين الله ينشر نوره ويظل في كبد الحسود يفصل
لله مدحي يوم أنشد قائماً: سعدُ الشاء بمثل مدحك يحصل

* * *

وقال مهنتاً وكيل أمير المدينة عبد الله السديري بقدمه من
الرياض، وبتزويجه ابنه: مساعد وعبد الرحمن في ١١/٢/١٣٦٤ هـ:

أقبل بخيرٍ فأنْتَ القصدُ والأملُ وكل قلب به الأشواق تشتعل
لُحٌّ للمدينة كالشمس المنيرة في برج الكمال غدت بالسعد تشتعل
وطب بطابةً نفساً إنها أبداً إليك تشاق، بالأفراح تكتمل

* * *

يا عابدَ الله أنت الرأس كنت بها والكلُ جسم لهذا الرأس يمثل
بل أنت روح بها مشتاقةً شرفاً إلى الرقيِّ، لها في دركه سبل
إنَّ السديري أخوا الإحسان. آسرنا، غيثٌ، بكل الذي نهواه ينهطل
فالعَدل والحلم مقرونان في جسد به تمثّل للأبصار، والعملُ
وأسعدُ الناس من أرضتك سيرته بين الملا، زانها التفصيل والجمل
إن جئتُ أثني فإن الناس كلهم في طيبة بالثناء الحر قد مثّلوا
فكلُّ فردٍ بها يوم اللقاء له قلب طروب، ونفس ملؤها جدل
فلا ترى غيرَ وفادٍ بتهنئة كلُّ بصفو السدعا لله يتهل
بأن يديمك ركناً للحجى أبداً وأنت للسعد والأفراح تقبّل

* * *

يا قادماً بالعلی والعز دمت لنا أبا رحيماً به الخيرات تنهمل
ودمت في فرح تبقى مآثره وعاش لحظك بالأحباب يكتحل
في محفل بزواج ابنك مزدهر به تزيّن (الحارات) والسبل
هما هما فرقدا أفق طلعت به فأنت بدر النهى بالحمد متصل
بذا أهنيك في عقد كواكبه تضيء حسناً، وبالتبريك يكتمل

فَالْحَظُّ بِعَيْنِ الرِّضَا وَالْوَدُّ أَفْثَدُ بِحُلَّةِ الْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ تَشْتَمِلُ
وَاسْمِعْ بِهَا نِعْمَةَ الْأَفْرَاحِ قَائِلَةً: أَهْلًا وَسَهْلًا بِمَنْ فِي كَفِّهِ الْأَمَلُ

* * *

وقال يمدحه أيضاً في ١٣٥٥/١١/٣ هـ:

أبدأ أوفيك الثناء الأكمل
ما الحلم إلا في ثيابك شخصه
يا سعد من يسدي الجميل فإنه
ريحانة في كل ناد ذكره
إني وإن كنت القريب بوذه
ليسير في الأقطار سير الشمس في
ما شأن (عبد الله) إلا أن يرى
دأب الذي اتخذ السهولة ديدنا
يعطيك من نور البشاشة بسطة
ناهيك من كرم الطباع فضيلة
تلك الخصال وتلك أوثق حجة
أيدي (السديري) في الأنام طويلة
للفهم فيها والذكاء مناظر
ما الصمت منه غير أبلغ خطبة
وتراه أبلغ ما تراه ناطقاً
راعى طريقاً في الإمارة أوحداً

ومفضلاً إحسان فعلك للملا
وكذلك الإنصاف لن يتحوّلا
يمسي ويصبح بالرضا متجملاً
فكأنه للناس ينشر منداً
لأعدُّ بعد المدح فيه أفضل
كلّ العوالم مجملاً ومفضلاً
متهدباً متيقظاً متكماً
دأب الذي اتخذ التأدب موثلاً
وتراه يرفل بالمسرة مقبلاً
من لم يحزها في الملا لن يفضل
تلقى بها قلب الحسود مفضلاً
لم تلق عند النقد فيها محملاً
يتسلل الإمتاع منها سلسلاً
فيها التفكر كيف يمسي أعقلاً
وتراه في الأحكام عفا عادلاً
وهو التآني، عنه لن يتحوّلا

* * *

اسمع سمعت غنا البشائر دائماً
فقت الأنام بكل وصف كامل
بلغت كل القصد من رب العلى
فيحق لي أني أكون مفضلاً

* * *

وقال يهته في ١٣٥٥/١٠/١ هـ:

ونطرب بالمديح بكل قيل	بسعد ملك هذا العصر نشدو
لنصرة دينه في كل جيل	وندعو الله أن يقيه دوماً
مدى الأعوام في عرض وطول	نعم ويزيد دولته رقياً
بهم وردت وصيات الرسول	أ (عبد الله) أنت رئيس قوم
أميراً بالمحبة والقبول	وأسعدك الزمان فصرت فيهم
سريع بالثناء وبالجميل	وكلهم لسان فيك رطب
كما طرب الخليل إلى الخليل	وهذا عيدهم بلقاك يزهو
وحظّ عداك دوماً في أفول	وحظك كل يوم في طلوع
بشهم في سياسته أصيل	فشكراً للمليك بما جانا

* * *

وقال يهنئه بقدومه إلى المدينة أيضاً:

وجه المدينة بشره يتكلم ويشير نحوك بالهنا ويسلم
أمير طابة طبت نفساً رائحاً أو غادياً، وبكل بشرى تقدم
أنستها يا ذا المعالي إنها مشتاقة ترنو إليك وتبسم
لتزيل عنها وحشة البعد الذي عانته، إن البعد عنك يتيم
لم تنس أخلاقاً تسيل مكارماً وحجى على روض السماح يهينم
فالحلم منك سجية معروفة إن التمدنّ عنده يتجسم
رمز الأصالة والنجابة والبهّا إن الأصالة بالطباع تترجم

* * *

أبا العفاف رقيت أعلى سلم مذ حزته، وعليك منه معلّم
هو ذلك الشرف الذي أطنا به فوق السماك مع المديح يخيم
وصف يجزّ لك الثناء طبيعة ويكاد في كل البرية يعلم
قالوا: السديري. قلت: سيرة نعمة غرست بطابة، كل حين تنعم
هو نعمة من عاهل العرب الذي ما زال يمنح في البلاد ويُنعم
لجلالة (الملك المعظم) حكمة قامت لتدير الشؤون تنظم
تبغي العدالة والأمانة والنهي فيها البلاد إلى العلى تتقدم
بالكفاء من أبنائه ورجاله ممن بهم عوج الشرور يقوم
منهم بدور للهدى ومصباح تجلو الدجى، وعلى الأعادي أسهم
فالله يبقيه ويبقى آله ورجاله دوماً بحق تحكم
ما فاه بالترحيب فيكم منشد: وجه المدينة بشره يتكلم

* * *

وقال أيضاً يهنئه بقدومه من الحج، وقد نشرتها جريدة المدينة بعددها (٤٨) في ١٣٥٧/١/٢٣ هـ:

أما السماحة فهي خُلِقَ أَوْحَد
لك في الفعال مواقف مشهودة
أسلوب علمٍ غابَ عنه (أحنف)
يا أسراً بحبائه مَنْ حوله
قد رُضتَ نفسك فاكسبتَ محامداً
عرفوا (السديري) أنه رجل النُهي
أنعم بطابةٍ إنها الصَّب الذي
للحج غبتَ وتلك أفضلُ رحلةٍ
هيّجتها بالبُعد، بل عرّفناها
اليوم جاءت للقاء وكلُّها
لتقابل الإسعاد محفوفاً به
دُم في أمان الله خير مبجل
يا أيها الم محبوب في أبنائها
يقضي الكمال بأن أزيدك منشداً:

في شخصك الفرد البهي يا أمجد
أبداً لغيرك في الورى لا تُشهد
وجميلُ فعلٍ أنت فيه أَوْحَد
وله إلى كل الأنام تودُد
تاجاً على رأس الزمان ينضد
وبأن هاتيك المحاسن تشهد
بجمال وجهك شوقها يتجدد
لكن لبُعدِكَ وجدها يتوقد
أن لا سواك لها أميراً يُحمد
فرح يغني بالرضا ويغرّد
أنس المسرة، وجُها متورد
في أرض طابة بالجميل تزود
بك حكمها دوماً يزين ويسعد
أما السماحة فهي خُلِقَ أَوْحَد

* * *

وطلب من سعادة الشيخ محمد سرور الصبان أمر إركاب سيارة
للحج، مطرّزاً:

أبدأً بذكرك يا بهّا الأخلاقِ أشدُّو لدى قومي، وكل رفاقي
لك شيمة أم ديمة قد أمطرت لم ألق منها غير محض وفاق
شهد الزمان بها فأنت لدى الورى شهم يطير إلى الندى بيراقي
يا ناظماً كل القلوب محبة يرنو إليك المجد في العشاق
خلقت صفاتك للقلوب بدائعاً خلقت بديع الشعر في الآفاق

* * *

ما كان شعري غير كاس سلافة مُزجت بتسليم الثناء الراقبي
حملته ظهر البريد صباية حتى تراه، وفكرتي لك ساق
ما أسكر الأبواب شيء مثله في كل معنى سابق السباق
دُرّ تزان عقوده بمحمد ويسمع نغمة المشتاق
سرّ بي إلى البيت العتيق مولداً سبباً أسير به على الأحداق
رفه وخفف بعض ثقلي حاججاً واصرف جموح الشوق عن إرهاقي
وتولّ قطع هواجسي في سفرتي وأزح، ونفس يا كريم، خناقي
رسم الكمال عليك فسطاط الندى وملاّته بالخير والأرزاق
صوّر لأمالي رسوم مطالب صارت بأمرك زينة الأوراق
بلغ بها نفسي المقام وزمزمأ ستكون متكم على الأعناق
أنا ما حييت أسير فضلك إنه خلقت خصصت به من الخلاق
نعم حباك بها الإله وإنها نقم على الأعداء كالأطواق

* * *

(أحمد) ما كل حج جمعة أحظى بها في الموقف التواق

لي نظرة ما العذر فيها سائغ
ما كل وقت أنت واجدٌ مجتدٍ
ولقد ذكرتكَ والرفاق تهيؤوا
قد أوقروا قلبي اشتياقاً فهو في
رضي الإله على وجودك إنه
لمحبّ مجدك بين جَمْع رفاقي
مثلي على وجل من الإخفاق
وتحدثوا بالحج باستغراق
قلق يزيد شجاء في إرهاقي
رَوْحُ لقلب الواله المشتاق

* * *

وبعث بهذه القصيدة إلى الشيخ محمد سرور الصبان في

١٣٦١/١١/٢١ هـ:

أحمد ولأنت أكرم من رَفَى
ما كان ضرك لو نظرت لسبعة
وتعدّهم في ضمن من ترنو لهم
أ (سرور) إنك والذي تعنو له
والناس من قبلٍ ومن بعدٍ على
فاسمح فديتُك إنني بك واثق
أنت المذلّل للمصاعب كلّها
واستوف مني كلّ حين دعوةً

في عصرنا، وبه المكارم تلهج
فمننت بالإركاب منك ليحجّجوا
فتراهم في ظل مجدك تُوجّجوا
كلّ الأنام، لِمَاجدٍ ومفرّج
آثار فضلك كلّهم قد عرّجوا
بعد الإله، وما لغيرك منهج
لا تلقني بالعذر، إني مُحجّج
تعلّيك إن شاء الكريم وتُبهج

* * *

فإذا قضيت فقد جريت على الذي
ولو اعتذرت فقد علمت بأنه
والظن كل الظن أنك فاعل

عوّدت نفسك، والسماحة تنتج
باب الوصول إلى رحابك مرتج
نُعمى تجرّ لك الثناء وتحجج

* * *

أنت الكريم ابن الكريم أبي الندى
أشبهته كرمًا ومجدًا، إنه
تلك الوراثه منه أنت ورثتها
فاسأل بني الدنيا جميعاً إنهم
يا أيها الراقي بفضل جميله

وجّه السرور، (سرور) ذاك المنتج
علمٌ ضياءُ الصبح منه يُبلج
هل أنت عن تلك المآثر تخرج
أدرى بما أنا في ثنائي ألّهج
ضاقت وظني أنها بك تُفرج

* * *

وقال مادحاً سعادة الشيخ حافظ وهبه، حينما كان مفوضاً
للحكومة السعودية بألبانيا سنة ١٣٤٥ هـ:

الحمد لله نور العلم قد ظهرها
ثم الصلاة على المختار سيدنا
بهمة الفاضل الطحطاح أوحدهم
(وهبي) الذي خصه المولى مضاعفة
الطائر الصيت في الأقطار قاطبة
ألا هلموا وحيوا الفضل إن له
الخبر بالعين أبهى عند ذي ثقة
إن المراتب ما زادته منزلة
يا سالم الصدر إلا من شجى همم
وخالي الفكر إلا من مخدرة
لك السلامة إن الفضل أجمعه
تحوي يمينك يئنا مازها قلم
فالنقل بالعقل مقرون يؤيده
والرأي خط عليه الحظ متسق
ومن دواتك تبيض المنى أبداً
(ألبانيا) ابتهجي، ثم ارقصي طرباً
إن المعارف آلت: لا يكون لها

على البرية في ذا القطر قد سَفرا
ماضاء في الكون بدر في الوري بدرأ
(محمد) رأسهم ذاك الذي اشتهرا
من المواهب حتى كَلَّل البدرأ
نادى فأسمع حتى عمم البشرأ
من السماحة ذاتاً لا ترى الكدرا
من الذي أذنه تستنشق الخبرأ
بلى به زيدت التجميل والغرأ
أمسى يباهي علاها الشمس والقمرأ
بالعلم تستأسر الألباب والفكرأ
على لسانك بالإحسان قد قطرا
بمثل قبضتها، بالقصد قد شعرا
فكر يحار ذوو الأبصار إن ظهرأ
والطرس ترس يرد الخصم منقهرأ
لأنها تثمر الأغصان والزهرأ
بمثله، فهو سيل بالعلوم جرى
زوج سواك، بصافي المجد قد فخرا

* * *

يا أيها الخبر، إنا وفد مكرمة من أرض طابة، نقفو نحوك الأثرأ

فالله يبيك طول الدهر ملتجأً يزجي إليك غريبُ الدار، مفتقرا
كذا ويمنحك المقصود ما بقيت آمال حرّ يسوق المدحَ معذرا

* * *

وقال مادحاً أمين العاصمة بمكة، الشيخ عباس قطان، سنة

١٣٥٥ هـ:

الطَّيِّبُ فِيكِ، وَمِنْكَ حَقًّا يُطَلَّقُ
نَفَحَاتُ مَدْحِكَ فِي الْوَرَى تَسْتَنْشِقُ
أَنْتَ الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ وَفَوْقَهُ
لَا عَيْبَ فِيكِ سِوَى انْفِرَادِكَ بِالْعُلَى
كُلُّ يَحَاوِلُ مِنْكَ نَفْعًا ظَاهِرًا
لَكَ فِي الْمَكَارِمِ وَالْمَفَاخِرِ هَيْئَةً
وَوَرَاثَةً فِي الرَّأْيِ قَدْ أَحْرَزَتْهَا
شَيْخٌ تَجَمَّعَتِ الْقُلُوبُ لِحُبِّهِ
لَا غَرَوُ أَنْ تَحْوِي عِلَاهُ وَفَخْرَهُ

وَسَنَا كَمَالِكَ فِي الْمَلَا يَتَأَلَّقُ
وَمَكَانُ مِثْلِكَ بِالنَّجُومِ مَعْلَقُ
نَفْسٌ مَهْذَبَةٌ وَرَأْيٌ يُشْرِقُ
وَلَدَيْكَ فِي تَنْوِيعِ مَجْدِكَ مَنْطِقُ
وَتَكُونُ أَنْفَعُ مَا تَكُونُ وَتَصْدُقُ
لَا يَسْتَهَانُ بِهَا، وَشَكْلٌ يَعِشِقُ
مِنْ (يُوسُفَ) ^(١) ذَاكَ الْحَكِيمَ الْأَسْبَقُ
وَعَلَيْكَ مِنْهُ فِي الْمَحَبَةِ رَوْنَقُ
فَالشَّبَلُ مِنْ ذَاكَ الْهَزِيرِ مُحَقَّقُ

* * *

يَا آسَرِي بِجَمِيلِهِ وَصَنِيعِهِ
أَغْرَقْتَنِي بِالْبَرِّ، بَلْ أَفْحَمْتَنِي
فَاقْبَلْ صَبَابَةً عَاجِزَ مُتَقَرَّبُ
وَحَتَامَ مَسْكِي أَنْ أَرَاكَ مَدَى الْمَدَى

النُّطْقُ مِنْ شُكْرِي لِمَجْدِكَ ضَيْقُ
حَتَّى خَرَسْتُ، وَكُنْتُ قَبْلًا أَنْطَقُ
مُتَشَوِّشٌ، مِمَّا بِهِ مُتَقَلِّقُ
أَبْدَأُ بِكُلِّ سَلَامَةٍ تَتَرَوْنَقُ

* * *

(١) يوسف: هو والد الممدوح.

وقال مادحاً رئيس القضاة الشيخ عبد الله آل بليهد / سنة

١٣٤٥ هـ:

أبا الفضل عبد الله في القول والفعل
علمتُك مجبولاً على الجود والندی
أصيخُ تستمع مني قريضاً تنظمتُ
تجرّ على هام المجرة ذيلها
ولما رأيت الناس خصوك بالشنا
وقلت: لأمر ما تلقبت في الوری
تعرفتُ في الدنيا بذاك فحققت
ستشهد عندي من نذاك صنائعُ
فتى لا يرى المعروف عفواً، ولا الرضا
فتى الجدّ لا الدعوى تهجّن وصفه
ولو جاز تشبيهه البرامكة الألى
أرى الشعر يزهو في علاك كأنه
فدونك من ثوب مجدّ مدى المدى
وأوصافه الغرّ الكريمة طرزه
ودمّ في تهان لا يزال نعيمها
ولاني رأيت الشكر يزهو بروضه

عميد مهمات تجمل بالعقل
وقد كنت محسوداً على عدم المثل
دراريه في أفق من المنطق الجزل
تُهنّيك بالإقبال في دولة العدل
لك السعد، حكمت المديح بلا فصل
بفضل لفضل، ثم فضل على فضل
فعالُك أن الوصف من كرم الأصل
تقول: ألا لله من كرم الفضل
به مفخر يرضاه من شيم النبل
وما هو عن درك المهمّ بمعتلّ
بجزء نداه أدركوا الشرف المُعلي
بمقدار ما خوّلته، قدره يُغلي
يجلّلك الإحسان في الناس والأهل
على وفق ما تهوي من الزي والشكل
وسعدٍ سعودٍ من محاسنه تملي
ولا سيما إن جاده رائق الوئل

* * *

وقال مادحاً محمد آل بليهد، ابن رئيس القضاة، بمطرز:

مليك الشعر أنت فريدُ عصرِك	ودُرِّي في القريض دُوَيْن دُرِّك
حكمت على المباني والمعاني	بأسلوب يسِّن كُنْه فخرِك
مهيئة لك الألفاظ حتى	تكاد تسابق المعنى بفكرِك
دَرارٍ فوق أفق من طروس	زواهر تستنير ببدر ذكرِك

* * *

آدَب من رأينا، لا تدْعنا	حيارى من قريضك بل بسحرك
لك القلم المبرهن عن علاء	ترفّع في الورى عن غير قدرِك
بلغت من البلاغة في محل	يريك النجم يخطر تحت شِعْرِك
لعلّك رائمٌ لعلاك مثلاً	رويدك فالنهي في قيد أمرِك
يمين للبيان يمين يُمن	تسرُّك إذ تنضد درَّ سحرك
هي الحسنات لا يذكي سناها	سوى فكر كفكرِك لا لغيرِك
دع الدنيا منظمة بتاج	بشعرِك في البرايا أو بشرك

* * *

وقال مهنتاً عبد الله بن حسن آل الشيخ بعيد الفطر سنة

١٣٥٥ هـ:

عَيْدٌ بخير فالعلی بك يفرح
فلأنت عَيْدُ العيد ما دام الهدى
يا غايةَ الآمال إرشاداً ويا
من معشر وقف السماح ببابهم
وأفادهم ربُّ البرايا فطنة
ما كان (آل الشيخ) إلا مُصلحاً
هذاك (عبدُ الله) أصبح فيهم
شيخ إذا بزغت أسيرةً وجهه
كالشمس إلا أن فيه مزيةً
أُحيدُ عنك وعندك الفضلُ الذي
هذي المدائح عن كمالك أصلها
والشكر مني ما حييتُ لفضلكم

ويظل في روض المفاخر يمرح
بضيا كمالك وَرَدَهُ يتفتح
كهفاً تظل له المعالي تجنح
ومشى على آثارهم يستسمح
في الدين نحن بنورها نستصبح
يمضي فيأتي بعد ذلك مصلح
رأس القضاة، وللرعية ينصح
للناظرين رأيت ديناً ينضح
من حيث إن القرب منه أصلح
هو باهرٌ، والمدح فيك مصحح
والفرع عن أصلٍ له يستوضح
ومع القصور أنا المبين المفصح

* * *

وقال مهنتاً سماحة رئيس القضاة الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، بقدومه المدينة وألقاها بين يديه، ونشرتها جريدة المدينة في عددها ٢٤ بتاريخ ١١/٧/١٣٥٦ هـ:

الرأي فيك مدى الزمان جميل
وقلوبنا لك بالمسرة في اللقاء
أهلاً وسهلاً بالفضائل كلها
فلأنت أروع من رأينا في القضا
بالسعد جئت وأنت أفضل قادم
إن التواضع في الأفاضل رفعة
أضحى لك الأجران في استصحابه
وإذا أراد الله إعلاء امرئ
فترى الهدى فيه يكون غريزة
فالدين مصحوب بعفتك التي
صحت سريرتك التي قد أثرت
كلُّ يقول بأن هذا صالح
كلُّ يشير إليك في إعجابه
كلُّ يوفيك الثناء مصدقاً
كلُّ يعيرك سمعه في حكمة
طرباً لألفاظ الهدى ومحبة
إن للمدينة أيها المفضل في
فارفل دواماً في سماحتك التي
واسلم بأوفر نعمة وأجلها

ومقام فضلك في الأنام جليل
تُبدى الهناء لنفسها فتقول
شيخ له التأهيل والتسهيل
ولأنت شيخ المسلمين، كفيل
وعليك من نور الهدى إكليل
هو للثناء - إذا نظرت - سبيل
وإليه أفكار الأنام تميل
أعطاه رشداً لا يليه أقول
طبعاً، ليهرب منهما التضليل
وضحت، وبان على هداك دليل
في العالمين فشأنها مقبول
والسعد قول في الأنام يجول
تمدحاً، والمدح فيك أصيل
ومصدقاً، ما شأنه تبديل
أسديتها، وإليك هو يحيل
فلذاك جاء بضمنها التبجيل
فرح لأنك شيخنا المأمول
منها الفضائل في الأنام تسيل
فالرأي فيك مدى الزمان جليل

وقال مادحاً الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة:

بالدين أنت وبالتوحيد معروف
فكل خير إليك اليوم مقتبل
وحدت طبق الذي قد جاء، لا نزق
حصرت همك في التوحيد تنشره
خدمت ربك في قول وفي عمل
فالسّر منك لباس أنت هيكله
ما خضت في شبه التشبيه في جدل
ولست أنت على التأويل مرتكزاً
وأنت غرة (آل الشيخ) أجمعهم
وأنت فينا رئيس الشرع، منتصر
فاسلم لدينٍ ودنيا أنت زيتُها
واقبل صباية محسوب لخدمتكم
والله يبقي عليك العصر قائداً
ثم الصلاة على المختار سيدنا
والآل والصحب ما أهدى الشذا أبداً

وبالهدى والعلی فی الناس موصوف
والشر عنك مدى الأزمان مصروف
يُرى لديك، وما للحق تزييف
فابشر فإنك بالتوفيق محفوف
فشأنك اليوم تعليم وتأليف
فأسعد فهذا عليك اليوم تشریف
ولم يساورك تعطيل وتكليف
مثل المشكك، بالأوهام محروف
والكلّ منهم بصافي المجد معروف
ومن يناويك بين الناس مقصوف
ولا يحُم في حماك الدهر تهريف
وراثه، حظّه من سعدها ريف
كهفاً مكيناً تحامته التصاريف
كذا السلام بخير المدح مردوف
مسك الختام، وودي فيه مزفوف

* * *

وقال مهنتاً الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ، رئيس القضاة،

بالحج، بمطرز:

لأن قلبك بالتوحيد معمور
آثارُ فضلك تتلوها الجماهير
رئاسة من سناها الكونُ مسرور
بالعدل دوماً، فما في الناس مغدور
يسير عنه، وعند الله مشكور
هو المهيّب، لها في الخلق تأثير
للدين إلفاً، وهل للعرف تنكير
مُضِلّة، والهدى للقلب إكسير
بالدين تعلو، وفيها للورى نور
كيما يقال عظيم القدر، مشهور
أزف شعري، فقولِي فيك مذكور
إلى المديح، فمدحي فيك مأمور
قلبي - لك الخير - مشروح ومسرور
نعم الصلاح الذي بالرشد مغمور
وجه الرشاد، له في الدين تبشير
من دوحة ظلّها بالعلم منشور
حسنٌ عصرِك، ما لي عنك تأخير
روح الأمان، لهم بالعدل تعمير
مزيّة، حسنّها في القلب مسطور
من قبلهم، فلهم بالحق تأمير

الحج حجك عند الله مبرور
لك السلامة طول الدهر ما بقيت
شريعة الدين بالإحسان فُزْتُ بها
يطير صيتك بين الناس كلّهم
خير المشائخ من يحظى بذكر هدى
عليه خلعة تقوى لا يزال بها
بك العقول أنارت للهدى وغدت
دعوتنا لصلاح القلب من شبه
إن الوظائف مهما عزّ مشربها،
لا أنها مظهر، يُغري الأنام بها
لولا صلاحك ما عاينتني أبداً
هي المحبة تدعوني فأتبعها
بالله ربك قل: إيه! فإن بها
نعم السماحة، بل نعم المكارم، بل
حيّاك ربك من شيخ يشبّ به
سعدُ تسيّره آل السعود لنا
نعم بمدحك فخري أن أكون علّاً
آل السعود هم آل السعود، وهم
لهم على الدين والدنيا بأجمعها
أدوا فرائض دين كان أهملها

لولاهم ما رأينا الأمن مبسماً
شكراً لفخر ملوك العرب كلهم
يسير فينا فيولينا بحكمته
خليفة الله في أرض يزيئها
في الشرع سر له في الناس تسوير
عبد العزيز، فإن العدل مشكور
ما فيه إصلاحنا والرشد والنور
بالشرع دوماً، وإن الشرع منصور

* * *

وقال مادحاً رئيس المحكمة والدوائر الشرعية /عبد الله بن زاحم/ في ١٣٦٤/١/٢٤ هـ وقد طرز باسمه في الصدور والأعجاز:

الفضل في نظر الفحول معظم
لي فيك نظرة فارس بين الوري
شهدت بأنك في القضاة أخوحجى
يقضي التواضع منك أنك فاضل
خبرتك من قبل الرياض فنالها
عدل وحسن تفهم ورزانة
بالعلم والعلم الصحيح مهذب
دلت بأنك أهل كل رئاسة
أهلاً بمقتبل البشاشة، بشره
لك فطرة خلق السماحة إنه
لا الناس تجهلها، ولا لك كاره
هي نعمة أولاكها رب الوري
بوركت من قاض كأنك للهدى
نهنت عنك غلو مدحي إنه
علقت فيك بما أراه محاسناً
بيديع وصفك كنت أول شاعر
دعني أوفيك الثناء قلائداً
أرويه للأسماع منك مشنفأ
لم تُلَفَ إلا ماجداً بين الوري
والله يسأل عن تعاشر ساعة

إن القريض بذكره يترنم
للدين فيها والسماحة ميسم
شهم تحقق فيك من يتوسم
يستشق الاتقان منه ويعلم
خير من الفضل الذي بك يسهم
عُرفت لذاتك، للأنام تفهم
بخلائق منها الشذا يتنسم
دينك لمثلك، والعقول تسلم
أندى على الأكباد ما يتسم
لب الصفات الغر حين تجسم
لعلاك، كل بالرضا يتقدم
هي للمدينة لو علمت تكرم
بدر ينور كل خطب يظلم
نعم القريض أتى بصدق يحكم
عايتها، فالحسن منها يرسم
بيدائع الأفكار ظل يهينم
دراً، ولا كالدر حين ينظم
إذ أنت فينا بالرئاسة معلم
لك صبغة تقديرها مستلزم
والود بالذكر الجميل يكلم

هي عادة الفضلاء فيما بينهم
 قبله مني إن سمحت وسيلة
 بالرفق، بالود الصريح وباللقا
 إن (ابن زاحم) من سلاله معشر
 بلغت بهم أوج السماك فشأنها
 نسب العلوم إلى الفحول مماثل
 زانوا وزينت منهم الأخلاق بل
 أبداً بكل لسان فضل منهم
 حازوا من التوحيد أجمل حلية
 ما كنت تفخر بالمديح وإنما

ألقى رضاك بها عليّ يخيم
 هذا التأدب للرجال مترجم
 بالبشر، فالدنيا بذلك تعظم
 ألقوا المعارف في الوري وهم هم
 بالعلم والتقوى يظل يعمم
 نسب النسيم إلى الرياض يقوم
 زادوا فوصف الفخر فيهم محكم
 أمر من المعروف لا يتلثم
 حلوا بها، فيها الكمال متم
 معنى المديح لدى الكرام معظم

* * *

غزلیات



وقال تحت عنوان: بدهات الخاطر:

السحر تأثير بكل مخالف
وله على المعقول أعظم سلطة
لكن يداوي المرء منه إذا انبرى
والسحر من عينيك يا أخت المها
تأثيره متمكن، ونفوذه
ومن المحال بأن يعالج فتكه
ومن العجائب أن يذلل الهوى
فكأنما سهم الملام مدامة
أو أنه في روضة أنف بدت
أو أنه فوق السماء محلّق
أو أنه أهنا العباد جميعهم
أبدأ وليس بقابل من مُشفق
ولذا أشار البحري بقوله
(يوم الذي يدنيك منه هاجر
لطبيعة الإنسان في أحواله
متحكماً بيمينه وشماله
طبّ يعالجه بفكّ جباله
أدهى لدى المطبوب من أفعاله
متسلط في بُعده وحياله
لم يُلف طبّ يهتدي لزياله
بهواك، حتى العذل من عذّاله
قد زفّها الساقى بوفق سؤاله
يوم الربيع زهت على إقباله
يرنو إلى الدنيا بعين كماله
لو أنه يُشفي بصرف خياله
دعوات خير في هلاك وباله
في خير يوم جاء في أقواله:
من وصله تَبَّأ له من واله)

فإذا ترينه شاكياً أو باكياً
يهذي ويهرف من لهيب غرامه
يُكسى بأثواب السقام كأنه
لا تحسب به بأنه متعمد
لكنه رزأ الحجا فبدا الهوى
وكذاك سحر العين في مسحورها
يمسي يصرفه الصغير وينبري
والطب محصور لديك وماله
هو ميت معنىً وحيٌّ صورةً
فاسعِي لحوزِ الأجر في إحيائه
أو شائقاً متفكراً بمآله
متخبطاً كالصيد وسط حباله
مقبور قبر جاء في تمثاله
هتَكَ الهوى، والسترُ من سرباله
قسراً، وفاض الحب من أوصاله
مثل البعير مقيّد بعقاله
طوعاً لأمر لا يرق لحاله
إلاّك ملجأً يهتدي لنواله
والميتُ أحسن منه في أمثاله
وتلطفي في طبه بوصاله

* * *

- ٢ -

وقال:

يا جوّ تونس، روح الصبّ تهواكا
أنت الحياة لها والأنس أجمعه
تظل تستنشق الأرواح منك هوى
وتنشد الغزل الرقراق من ولّهِ
لي فيك سرٌّ تراعي العينُ منظره
عبارة أبهمت في قلب عاشقها
أراك بالذكر في قلبي وفي فكري
كأنها لمزيد الحسن ترعاكا
فأيّ شطر من المشتاق يلقاكا
تستدرج البرء من آفاق مرعاكا
نعم، وتشتاق في الأقطار مغناكا
هي المعافاة لولاه ولولاكا
فهل يفسرها بالقرب مغناكا
ممثلاً، وكأنني لاثمّ فاكا

* * *

يا جوّ تونس ما لي عنك مصطبّر
فهل يرى الصبّ في الأيام مرآكا

* * *

وقال:

عسى الأيام تنجز لي مرادي
أقول إذا ازدرى شوقي بلبّي
وفاض الدمع من عيني سيولاً
وأجج لي التذكرُ نار وجدي
: لقد أبلت عمري في سليمي
وما حصّلتُ منها بعض وصل
يقول العاذلون: تهيم فيها
فقلت: نعم، ولو أدى هواها
وإني ما حييتُ لها محب
سليمي شمس حسن فوق غصن
تخيّل خصرها والردفُ منها
لها لحظ يغنّجه فتور
وتبسم حين تبسم عن لآلٍ
تخال حديثها أقداح خمر
تكاد من الرشاقة حين تبدو

بجمعي لتي ملكت قيادي
وضج الصبر من طول السهاد
وهام بي الهوى في كل واد
فؤادي!.. وفؤادي!.. وفؤادي!..
وما لي من طريف أو تلاد
ييلُ لظى جوائي واتقادي
وقد أودت بلبك بالعباد؟..
وجودي للتلحد والنفاد
أخو كلفٍ إلى يوم التنادي
من البلور تلعب بالتمادي
كمغتاطين قاما في جهاد
يصيد من رآه من العباد
منضدة وعن برْد الفؤاد
تبهرج كلّ قلب بالوداد
تطير مع الرياح بكل واد

* * *

وله في الغزل:

من دقة الخصر أم من رقة البشرة
بعثت طرفك يجني وردة بسمت
ولاعتبك العيون النجل خادعة
أرى التناسب في الأعضاء مشكلة
تمسي الفتاة بهذا الشعر داعية
توليك عطفاً ولطفاً في مداعبة
تهوى بأنك تهواها، لتفهمها
لا تحسب الحسن إحساناً تنوّله
والأنسات وإن لانت معاطفها
أمت (مسا الخير) أسّ الهلك تثبته
تصكّ نغمتها خدعاً مسامعه
هناك تستأسر الأفهام منه هوى

أضحت دموعك بالأشواق منتشرة
صبيحةً، فوق أغصان البها نضره
بسحرها تجتني من روحك الثمره
على العقول، فكم من عاقل قهره
إلى تحيرنا ما شوّشت طُوره
كيما ترى منك نار الوجد مستعره
تغزلاً: أنها بالحسن منتصره
في غادة، بل هو الأرزاء مزدهره
فهن أقسى من الجلمود للبرره
مليحةً لفتى قد عاينت غرره
حتى ترى أن سحر اللفظ قد غدره
فعلاً، فيعلم أن الوجد قد أسره

* * *

وقال:

يا سُلَمَ لا تفقدني اليوم إيناسي لا تلزميني إحاشي وإيناسي
إن العذول يداجيني ليعلم ما مقدارُ حبكِ يبدو فيكِ إحساسِي
فقلت - والحال مني فوق ترجمتي يكاد يفضحه تصعيد أنفاسي -:
(لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودتها لمال يهوي سريعاً نحوها رأسي)

* * *

وله أيضاً:

سألت طبيباً عن سهادي وما الذي يسببه دوماً، فقال: بك الفِكْرُ
فقلت له: أفديك، ففكري مشّت بعشق غزال، قال: هذا هو الضّرر
فقلت: فعالجني إذا كنت عارفاً بأسبابه ياذا، فقال - وقد عذّر -:
إذا كنت بالعينين والجيد مُشغفاً فلا ترتج طباً، وداؤك محتضّر

* * *

وقال متغزلاً في ١٣٣٣/٧/٥ هـ:

خليلي ما لي والغرام فإنه
متى قلت: مهلاً. خالف الشوق مقصدي
فيا عاذلي في الحب جهلاً بحالتي
فتصبح مثلي بالصباية مبتلى
ولا تحسبنَّ الوجد شيئاً أردته
بلى ذاك تقدير الذي الأمر أمره
على أنني راضٍ من الحب بالرضى
تعيّرني بالسقم، والسقم مُنيّتي
لئن كان فرط الوجد أخلق جدّتي
أذاب اضطباري، والفؤاد، وقوتي
وضاعف إذكاء السقام بمهجتي
إليك فلا تُعديك نارُ محبتي
وتجزع مني إذ توافيه دعوتي
ولا هو من حولي ولا فرط قوتي
يصيب به مَنْ شأ فيئلي ببلوتي
وبالسخط منه لو بذاك منيتي
إذا كان فيه ما يُبين صبابتي
فحسنُ الذي أهوى جدير بفتنتي

* * *

وقال في الغزل:

حادت عن الرشد في ذا الظبي أفكاري
ما حيلتي وفؤادي ذاب فيه هوى
حارت بذا الحسن في الأكوان أنظاري
من بين صد وتعذيب وأضرار؟

* * *

وقال في الغزل أيضاً:

والدمع أفضح من بثي لأسراري	الشوق أكبر من قولي وإكثاري
إلا وعارضه سقمي بإقرار	ما بالغ القلب في إنكار لوعته
فأشعر الحب عما بي بأشعاري	ردت طبيعته دعوى تطبّعه
لم يخف تأثير ما يأتي من النار	هو الهوى، ومحال ستر حالته
فما ينول تنويهاً بتذكّار	يا من أضرتّ بيدر التّم طلعتّه
ممثلاً بين طرف منك سحّار	ما كان في أمني أني أرى أجلي
مقسماً بين تسهيد وأفكار	تركنتي من هواك اليوم في شجن
خلعي العذار بوجدي فيه أعذاري	وعاذل رام سلواني فقلت له:
إني أنا الغصن العاري من العار	يكفيه قدّ قويم منك ينشده

* * *

وقال:

حاكت مسيل شظى بالسفح من أحد	عيون عيني لسهم البين في كبدي
وغير شاك له لم تلق من أحد	ومصرع الصّب في التوديع ملتزم
ما بين منجدل منها ومتقد	شريعة لحمام العاشقين غدا

* * *

وقال:

يا ذا الذي قرّحت قلبي في الهوى قرحين: قرح صبايةً وتبعد
أرديت بالفعلين روحي والحشى، باللحظ منك، وبالقوام الأملد
ما كان ضرّك لو مننت لعاشق بالطّيف في وقت الكرى، بتردد

* * *

وقال:

يقولون لي: في البعد إدمانُ راحة وتفرّجُ حزن، واكتسابُ لصحة
فقلت لهم: دائي من البعد أصله فكيف تروا أن قد أتيتم بمنحة

* * *

وقال:

إن فتً في عضدي وجدي بما أجد فمثلُ حسنك لا يقوى له جلدُ
ما زاد وجهك في الإشراق مبهجاً إلا وزادت بيّ الأشواقُ تتقد
كأنما اشتقُّ معنى النار في خلدي من نوره، فغدت بالحكم تعتمد
وما دريتُ بأن الظلم منبعه من ظلمة الشعر حتى شفني الكمد
والغصن يرفل إعجاباً بملبسه وما له كلّ عام غير ما يجد
هذا وتعلقُ بالأبصار نضرته وما عليه من الإحسان منفرد
وغصن قدك في تعديل قامته أثوابه كلّ يوم بهجة: جُد
فما انزعاجك من إرسال أعيننا في وصف من ضاق في إحسانه العدد؟
ما لين قامتك الهيفاء إن خطرَتْ إلا بلاء على المشتاق مرتصد

* * *

وقال:

ورُبَّ أحمَةٍ كانوا قديماً إذا جنَّ الظلام عليّ: بدري
أتاني طيفُهم ليلاً فأورَى بقلبي نارَ أشواقٍ وفكر
وقالوا: قد صبرت، فقلت: مهلاً وحقكم عييت، ومات صبري
ولولا ذكركم عندي مقيمٌ تقضى العمر واستصحبْتُ قبري

* * *

وقال:

ويطول شوقي للحبيب المبعِد الأكحل الغصنِ النضير الأملد
هام الفؤاد بحبه فغدوت في أسر الغرام أسيرَ ظبي أغيد
بالله يا ريح الصِّبا قولِي لنا خبراً عن الغصن الرطيب الأملد

* * *

وقال:

لا والذي صيرّ التسهيد من صفتي ما حلت عن حبه، كلاً ولو بُعدا
ولي فؤاد لو استطلعت قرحته في العشق، أيقنت أني فيه منفرداً^(١)
لكن سجيّة نفس ليس يعجبها إفشاؤها السرّ لو أبصرتني جلدا

* * *

وقال:

وحرمة العشق، يا من قلبه قاس ما القلب عنك ولو أضررته: ناس
كيف السلو وجسمي في محبتكم أبدى السرائر في حفل من الناس
وزاده الدمع إيضاحاً لمشكلة حسبي غرامك روعي ثم إيناسي

* * *

(١) الصواب أني فيه منفرد، ولكن الروي مفتوح.

وقال:

أشجى وأرحم من فتى مشتاق
أمسى على العشاق كالأطواق
وهو السماح يُتُّ في الأعراق
أفلا رأوه مجدّد الأحراق
أن الهوى دعوى بلا تذواق
جعلوه سخرية بلا أذواق
وتمعنوا شرحي وحسن سياقي
وتيقظت لشجونه أحداقي
وبلوته في الأمن والإشفاق
وأنا السليم وذكره ترياق
غرّ يطابقها من الأوراق
يروي عذاب مصارع العشاق
وتتوق مهجته إلى الإزهاق
والذوق: صرف، فيه بالإطلاق
متشبهاً، ويديم في الإغراق
ويجول في الأنجاد والأعراق
ويرى الملاح بعين ذي إشفاق
يزهو كبدر التّم في الإشراق
في فكره وأحسن بالإطباق
لفؤاده، ويقول: هل من راق؟..

ما قام في نادي الغرام بساق
وإذا حديث الحب دار على الورى
إني لأعجب كيف صار فكاهاة
عدّوا نديماً من روى قصص الهوى
وارحمتا للأغبياء وظنّهم
وإذا رأوا من ناح من ألم الجوى
مني خذوا حكم الهوى، وبى اقتدوا
أنا من رمته يد الرزايا بالهوى
وغدوت فيه خادماً بجوارحي
الفنّ فني إن أردتم أخذه
أصل الغرام حكاية يلهو بها
أيضاً ويشفعها بشعر بعدها
وهلمّ حتى يستطاب لذوقه
فيرى بأن اللطف أجمع، والبهّا
فيزاحم العشاق في دعواهم
حتى يهيبىء نفسه لقبوله
ويجبل في نقد المحاسن فكره
فيصادف المقدور وجهاً مقبلاً
وإذا به انعكست أشعة نوره
فهناك يشعر أنه جلب الردى

ويصبح ما سطع الغرام فؤاده يشدو فيلهف من أذى الإطراق:
(يا قلب لِمَ عَرَّضْتَ نَفْسَكَ لِلْهُوَى أو ما رأيت مصارع العشاق؟..)

* * *

وقال مخمساً:

قد صيرَّ الحب هذا العقلَ مختلطاً في حبٍّ مَنْ لحظَّها في العاشقين سطا
إن كنت أنسى مجال القول ما فرطاً (لم أنس إذ قلت مِنْ وجدي لها غلطا
ووجهها مشرق في حندس الظلمِ)
وقد دنت لوصالي وهي مازحة تقول: روحك عندي. قلت: نازحة
قلت: فماذا دهاها؟ قلت: جامحة (سلوت حبك، قالت وهي ضاحكة
لتقرعن عليَّ السنَّ من ندم)

* * *

وله أيضاً:

أظننت قلبي^(١) من هواك مفيقاً أو أنني أحسو السلو حيقا
مرآيَ أمسى في الغرام عقيقاً (بعضُ بنار الهجرِ مات حريقا
والبعضُ أضحي بالدموع غريقا)
أما السلو فإنني أودعته قلبَ العذول، وبالرضا شيعته
والقلب مني بالهوى أقنعتَه (لم يشك عشقاً عاشق فسمعتَه
إلا ظننتك ذلك المعشوقا)

* * *

(١) في الأصل: (أظننت أني... الخ) ويترتب عليه رفع (مفيقاً) على الخبرية فيختل الروي.

وقال يشطر بيتين :

(تَحْمَلُ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِمَّنْ تَحِبُّهُ) لَأَنْ حَبِيبَ النَّفْسِ لَا شَكَّ حَاكِمُ
(وَأَنَا ظَالِمٌ) (وَإِنْ كُنْتُ مَظْلُومًا فَقُلْ : أَنَا ظَالِمٌ)
(فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَحْمَلِ الضَّيْمَ فِي الْهَوَى) وَتَصْبَحْ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَسَالِمُ
(فَقَدْ أَهْلُهَا الْمَغْبُورُونَ إِنْ كُنْتَ غَافِلًا) (يَفَارِقُكَ مِنْ تَهْوَى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ)

* * *

وقال مخمساً بعض أبيات النابلسي^(١) :

قَلْبِي بَغِيرِ جَمَالِكُمْ لَا يَعْلُقُ وَأَرَاهُ مِنْ رَقِّ الْهَوَى لَا يُعْتَقُ
وَبِكُلِّ وَصْفٍ مِنْكُمْ هُوَ يُرْشَقُ (مَا كُنْتُ أَعْلَمُ وَالضَّمَائِرُ تَصْدُقُ
أَنْ الْمَسَامِعُ كَالنَّوَاطِرِ تَعْتَقُ)
نَشْرَ النَّسِيبِ جَمَالِكُمْ فَطَوَيْتُكُمْ وَسَطَ الْفُؤَادِ وَبِالضَّمِيرِ رَأَيْتُكُمْ
قَدْ كُنْتُ غِرًّا قَطُّ مَا لَاقَيْتُكُمْ (حَتَّى سَمِعْتُ بِذِكْرِكُمْ فَهَوَيْتُكُمْ
وَكَذَلِكَ أَسْبَابُ الْمَحَبَةِ تَعْلُقُ)
فَنَبِغْتُ فِي فَنِّ الْهَوَى بِبِرَاعَةٍ مَلَكَتْ بِهَا الْأَدَابُ كُلَّ صِنَاعَةٍ
وَلَقَدْ شَفَعْتُ بِكُمْ بِكُلِّ شَفَاعَةٍ (وَلَقَدْ قَنَعْتُ مِنَ اللَّقَاءِ بِسَاعَةٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي لِلدَّوَامِ تَطَرُّقُ)

(١) النابلسي : هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي ، (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ) ، شاعر متصوف ، ولد وتوفي في دمشق ، له مصنفات كثيرة جداً ، منها ديوانه : (خمرة بابل ، وغناء البلابل) . الأعلام ٤ : ٣٢ .

قد يهتدي مُضْنَى الجوى لطريقه حتى يَرَز من سنا معشوقه
ويعالج المخمور رشف رحيقه (قد ينعش العطشان بلة ريقه
ويغصّ بالماء الكثير ويشرق)

تفديك نفسي ثم ما ملكت يدي من لي به يرضى بذا من أغيد
يا مالكي رفقاُ بعبدٍ أكمَد (فعسى عيوني أن ترى لك سيدي
وجهاً يكاد الحسن فيه ينطق)

* * *

وقال ملغزاً:

دمعي عليك غراماً سَحَّ وابله
لا تقطعنْ فؤادي، مَنْ وسائله
ما ابيضُ كأسُ رجائي فيك يا أملي
مزاجه زنجبيل، ليتني أبداً
أفنت فيك مسراتي فوا عجباً
فأنت كالشاهِ عندي أرتجي أبداً
يا عاشقيه تملؤا من محاسنه
حلّو مليح كبدر التَّمْ طلعتنه
كالشهد أخلاقه لو لم تكن أبداً
لكن بهذا على عِلّاته شغفاً

فلبَّ وصلي فقد أنباك واصله
من ريقك العذب مُذَكّي القلبِ سائله
إلا غداً مثل دَرِّ الضرعِ حاصله
إذا الشتاء أتى دهري أواصله
قد شبتُ، والوجد لم تبرح أوائله
نوالِ جودك طولَ العمر سائله
فاللوم في مثله قد بان باطله
والمسك نكهته، من ذا يماثله؟
على المشوق أسي تغلي مراجله
نهوى لقاءه وما نسلو مُقبّله

* * *

وقال في الغزل:

بيني وبينك يا حسينُ نسبةٌ
لو لم توافقني هوى وطبيعة

في الحب ما خفيت على المتفطنِ
ما كان جسمي في المحبة قد فني

* * *

وله أيضاً:

حلاوة الحب في قلبي لها أثر ونغمة العشق في فكري لها خطر
كبرتُ والحسن تُزهيني مناظره يا قلب، أقصر، فشيبُ الرأس يستعر

* * *

وقال مخمساً بيتين لأحد شعراء (اليتيمة):

لي أسر في الحب قلّ له الفدا بدّر على أفقِ الملاحه قد بدا
وأراه في معنى السياسة أوحداً (أضحى يجانبني مجانبة العدا

وبيت وهو إلى الصباح نديم)

حظّي إذا عدم الرقابة حظه في بسط أنسٍ غاب عنه وعظه
ويخيفني وسط المجامع غيظه (ويمر في وسط الوشاة ولفظه
شتم، وحشولحظه تسليم)

* * *

وله مخمساً أبياتاً لبعض الفضلاء:

أمانيك في النفس مشحونة ودياك للهلك مرهونة
ونفس حياتك مغبونة (همومك بالعيش مقرونة
فما تقطع العيش إلا بهم)

وكل زمان بدا شخصه لإقبال قوم شدا نقصه
أقول لمن غره حرصه: (إذا تم أمر بدا نقصه
ترقب زوالاً إذا قيل: تم)

فكم مهجة عديمت روعها وقد أطلقت في الهوى رتعها
أضاعت بشهواتها نفعها (إذا كنت في نعمة فارعها
فإن المعاصي تزيل النعم)

فأصغ لنصحي ولا تغد لآه وغلب على الغفلة الإنتباه
فليست تفيدك من بعد آه (وحام عليها بشكر الإله
فإن الإله سريع النقم)

فأي حياة لها قيمة لها صبغة الطيش معلومة
ونفسك بالإثم منهومة (حلاوة دنيك مسمومة
فما تأكل الشهد إلا بسم)

أتخسر رشذك في أكلة وتوقع نفسك في وهلة
فويلك يا غر من غفلة (فكم قدر دب في مهلة
فلا يعلم الناس حتى هجم)

* * *

وله أيضاً مضمناً بيتاً للمتنبي :

ما في الغرام إذا ظهرت خفاءً	إن التلثم في هواك جفاء
ليس الغريب من الكواكب أن تُرى	إمّا برزت كأنهن هباء
والبدر بالغ إذ أرانا وجهه	يحكي خيالك ضم ذاك سماء
لك يا مليحةً بهجةً الوجه الذي	في كل فكر فج منه ضياء
(لم تلق هذا الوجه شمسُ نهارنا	إلا بوجه ليس فيه حياء)

* * *

وله مضمناً بيتاً لبعض الفضلاء :

عدمتُ عيونَ الكاشحين لأنها	على الحب دوماً ما يزور أطلت
ويا لئت واشينا يُشقّ لسانه	وأذنأ له تُصغي ، مدى العمر صُمت
ومنْ لعدولي أن يرى الدهرَ أخرسا	فإن به نارَ المكائد شُبّت
وكيف التهنّي بالحبيب ووضله	وحولي جيوش من عدى قد أَلَمّت
(وهيهات هيهات الصفاء لعاشقٍ	وجنةً عدنٍ بالمكاره حُفّت)

* * *

وله أيضاً:

تكرم بالوصال عليّ حبي وبُذِل بُعْدُهُ عني بقرب
فيا عيني لك البشرى، فنامي ويا قلبي أمنت من التآبي

* * *

وقال مضمناً بيتاً لبعض الأدباء:

قالت: أراك جميل الرأي ممتلئاً ظرفاً، ولفظك بالأدب يسبيني
فليتك اليوم قد رافقتني أبداً على الهوى، وبكأس الوصل تسقيني
فقلت في مهجة نحو الجمال لها مئلاً، وديني لما قد شئتُ يحميني:
(أهوى هدى الدين، واللذات تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين؟ . .)

* * *

وله تخميس بيتين لبعض شعراء اليتيمة:

يا صاح، خلّك إن أراك ردى وصار بالصدّ رائماً رغدا
لا تُذهب الأيام فيه سدى (صل منّ دنا، وتناس من بُعدا
لا تكرهنّ على الهوى أحدا)
واصرف عنان الهوى لمن حُمدت فيه خصال للصفاء رشدت
لا يحسب الناس غيره فقدت (قد أكثر حواء إذ ولدت
فإذا جفا ولدٌ فخذ ولداً)

* * *

وله تشطير قطعة من شعر أبي العلاء المعري على البديهة:

(منك الصدود ومني بالصدود رضا)	ترضين هذا ولا تبغين من رفضا
حكم على الصبّ جور لا يفارقه	(من ذا عليّ بهذا في هواك قضى)
(بي منك مالوغدا بالشمس ما طلعت)	على البرية، وازدادت به مرضا
أو كان بالبدر ظل الدهر منكسفاً	(من الكآبة، أو بالبرق ما ومضا)
(إذا الفتى ذمّ عيشاً في شببته)	وهي اللذيدة لم يرشف بها برضا ^(١)
يظل فيها كئيب الفكر منكمشاً	(فما يقول إذا عصر الشباب مضى)
(وقد تعوضت من كلّ بمشبهه)	أرضاه منبسطاً، أو كنت منقبضا
جرياً مع الدهر في أحواله أبداً	(فما وجدت لأيام الصّبا عوضا)
(وقد غرضت ^(٢) من الدنيا فهل زمني)	يرضى بغيري في ترشاقه غرضاً ^(٣)
يا ليتة إذ رآني في الورى قلقاً	(مُعطيّ حياتي لغرّ بعد ما غرضاً)
(جربت دهري وأهليه فما تركت)	ليّ الليالي مبيتاً غير جمر غضى
فعشتُ والصحبُ دائي حينما ادّخرتُ	(ليّ التجارب في ودّ امرئ غرضاً)

* * *

(١) برضا: رشفة من الماء ونحوه.

(٢) غرض: ضجر.

(٣) غرضاً: هدفاً.

وقال في الغزل:

أَغْصَنَ النَّقَا؟ .. لَا، بَلْ، قَوَائِمُكَ أَعْدَلُ وَشَمْسُ الضُّحَى؟ لَا، بَلْ مَحْيَاكَ أَجْمَلُ
لَكَ اللَّهُ مَا هَذِي الشَّمَائِلُ؟ إِنَّهَا يَضِلُّ بِهَا الْهَادِي، وَذُو اللَّبِّ يَذْهَلُ
سَمَوْتَ بِهَا حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ فَانْتَنَى بِنَقْصٍ يُرَى فِيهِ، وَأَنْتَ مَكْمَلُ

* * *

وله أيضاً تخميس أبيات هبة الله الشيرازي:

كَمْ فِيكَ يَا ظَنِّي أَرْبَابُ الْهَوَى هَلَكُوا! وَكَمْ عِزَاءٌ بِهَذَا الظَّرْفِ مِنْهَتْكَ
حَوَيْتَ بِالْحَسَنِ مَا لَمْ يَحْوِهِ مَلِكٌ (خَدَاكَ^(١)) ... السَّبْعُ الْعِلَا الْفَلَكَ
وَمَقْلَتَاكَ شَهَابٌ، وَالْهَوَى فَلَكُ)
تَكُونُ طَوْرًا بِقَدِّ عَادِلًا حَكَمًا وَتَارَةً مَائِلًا بِالْجَوْرِ مَتَسَمَا
تَسِي، تَوَاسِي، مَعَ الضُّدِّينَ مُنْتَظِمًا (وَفِيكَ نَفْعٌ وَخَيْرٌ يَجْرِيَانِ كَمَا
يَجْرِي بِمَا يَحْتَوِي فِي وَسْطِهِ الْفَلَكَ)
تَقْسِمُ الْوَصْلَ ضَبِيزَى بَيْنَ مَرْتَهَنٍ وَخَالِي الْقَلْبِ مِنْ هَمٍّ وَمَمْتَهَنٍ
وَتَمْنَحُ السَّقْمَ صَبًّا فِي هَوَاكَ فَنِي (فَالضَّرُّ أَجْمَعُ مَخْصُوصٌ بِهِ بَدْنِي
وَالنَّفْعُ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ مُشْتَرَكُ)

* * *

(١) بياض في الأصل.

وله أيضاً تخميس أبيات لبعض الشعراء:

لما برى جسمي الهوى شوقاً وعلّ وسقى الأسى قلبي به صرفاً وعلّ
ورأيت لا تجدي (عليّ)^(١) عسى وعلّ (خاطبت معسول الرضاب فقلت: هل

لك في حياة النفس قبل فنائها؟ ..)

أعني الأواسي دائماً أن يعلمّا لَمّا غدا كمدي عليك مكتّما
لم يستطع في مطلبي أن يفهما (ظمّني إلى ذاك اللّمي دائي، أما
من رشفة تشفي الحيا بشفائها)

إن تمنعنّ طبي فإنك آثم ولأنت لو أحييت نفسي غانم
رفقاً فإنني لاصطباري عادم (فأجابني والثغر منه باسم
شرط المحبة أن تموت بدائها)

فسألته لو فيه قتل المسلم فأجابني: أغراك لينُ تكلمي
أو أشعب تغدو بحرّ المغنم (لا تغترب بشعاع لامع مبسمي
ما كل بارقة تجود بمائها)

* * *

(١) عليّ: ليست في الأصل. وعلّ: الأولى من العلة: (المرض)، والثانية من العلّ: (الشرب مرة بعد مرة)، والثالثة حرف دال على الرجاء: (لعلّ)، فيبينها جناس تام.

وله أيضاً تخميس بيتين لبعض الأدباء :

أحبة قلبي ذاب صبري لبعذكُم وكيف ورقي لم يزل تحت رِقمكم
ولي نفس حرٌّ لا ترى غير قريبكم (إذا جنَّ ليلى هم قلبي بذكركم
أنوح كما ناح الحمام المطوق)
أعلل نفسي طول عمري بهل، عسى يكون تلاق في الصباح أو المساء
ولولاكم ما بت بالشوق محبساً (وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى
وتحتي بحارٌ موجها يتدفق)

* * *

وله تخميس بيتين للشاعر الشيخ إبراهيم الأسكوبي^(١) :

كيف السلو وروحي ما يشبتها غير الغرام، فحب الغيد بغيتها
وعذرها أن بدت للناس فتتها (حسنا تزي بشمس الأفق طلعتها
من رام تشبيها بالبدر ما صدقا)
فهاك تفصيل ما أوردته جُملاً واعذر محباً عليها عاد مختبلاً
فما ترى مثلها في الحسن مكتملاً (تصاغر البدر لما أن بدت خجلاً
فانقض محترقاً بالخذ فالتصقا)

* * *

(١) الأسكوبي: هو إبراهيم بن حسن بن حسين (١٢٦٤ - ١٣٣١ هـ) من كبار شعراء المدينة، ولد وتوفي فيها، له ديوان شعر مخطوط. الأعلام ١: ٣٥.

وله أيضاً تخميس أبيات لابن الزيات في ١٥/٧/١٣٤٢ هـ:

خذو حكم الغرام العدل عني وَعُوا قولي فإن الفن فني
ولا تدعُوا اليقين بسوء ظن (سماعاً يا عباد الله مني
وكفُوا عن مغازلة الملاح)

متى فحص الغرام فتى مزايا تمثّل أمره صرفاً رزايا
فلا تقرأ له أبداً قضايا (فإن الحب آخره المنايا
وأوله شبيه بالمزاح)

وقال العاذلون: سهرت غياً!... فقلت لهم: لَوَجِدِ قد تهياً
فزادوا بالملام القلب كياً (وقالوا: دع مراقبة الثريا
ونم فالليل مسودّ الجناح)

أتنحت بالغرام الجسم نحتاً وتفتقد الرشاد وأنت أنتا
وتصرف في خراف العشق وقتاً (فقلت: وهل أفاق القلب حتى
أفرق بين ليلي والصباح)

* * *

٤٠

وقال مشطراً:

(أيها الرائح المجدّ تحمّل) من محبّ أمانة العشاق
واخفها في الفؤاد منك ففيها (حاجة للمتيّم المشتاق)
(أقرّمني السلام أهل المصلّى) واحكني في الخضوع والإشفاق
علّ رُوحِي يحفّها بعضُ رُوحِ (فبلاغ السلام بعضُ التلاقي)

* * *

ثم خمس البيتین بعد تشطیرهما فقال :

أَزْمَنَ الْبُعْدُ بِالْمَحَبِّ وَطَوَّلُ وَأَعَادَ الْآخِرَ فِي الشُّوقِ أَوَّلُ
مَنْ لَصَبِرٍ عَنِ الْحَشَاشَةِ حَوَّلُ (أَيُّهَا الرَّائِحُ الْمَجْدُّ تَحَمَّلُ
مَنْ مَحَبُّ أَمَانَةِ الْعِشَاقِ)

لَا تُرِيهَا^(١) مِنْ الْوَشَاةِ سَفِيهَاً سَوْفَ يَمْضِي وَرَاءَهَا يَقْتَفِيهَا
كَنْ حَرِيصاً فِي حَفْظِهَا مَصْطَفِيهَاً! .. (وَاخْفِهَا فِي الْفُؤَادِ مِنْكَ فَفِيهَا
حَاجَةٌ لِلْمَتَنِيمِ الْمَشْتَاقِ)

دَقَّ مَا بِي عَلَى الْغَرَامِ وَجَلًّا وَاشْتَبَاكَ الْأَفْكَارَ لَمْ يُبْقِ عَقْلًا
إِنْ تَكُنْ لِي عَلَى الصَّبَابَةِ خَلًّا (أَقْرَ مِنْهُ السَّلَامُ أَهْلَ الْمَصْلَى
وَاحْكُنِي فِي الْخُضُوعِ وَالْإِشْفَاقِ)

وَتَمَثَّلْ بِحَالَتِي ثُمَّ نَوْحِي وَاشْتَكَايِي دَوْمًا نَكَايَةَ قَرَحِي
فَعَسَى أَنْ تَجِي بِأَعْظَمِ رِبْحٍ (عَلَّ رُوحِي يَحْفَهَا بَعْضُ رَوْحِ
فَبَلَغُ السَّلَامِ بَعْضُ التَّلَاقِ)

* * *

(١) الصواب : (لَا تُرِيهَا) بالجزم .

وله تضمين للبيتين المذكورين:

مَنْ معيني على الصبابة يوماً	ومُعيري أسماعه باشتياق؟..
عاذراً إن رأى تغالي دُعوا	يَ بوجدٍ ترفُضُ منه المآقي
علني أستريح من حرِّ سفع	للهيْبِ أذكته أيدي الفراق
كم أداري جوئاً أذاب اضطباري	وأنادي ما لاح حادي نياق:
(أيها الرائح المجدُّ تحمّلْ	حاجةً للمتيّم المشتاق
إقرَ مني السلام أهلَ المصلّى	فبلاغُ السلام بعضُ التلاقي)

* * *

وقال في الغزل:

ولقد أقول لمن يروم غوايتي	في حب من أنا في هواه متيّم
سدّدْ سهامك نحو غيري إنني	غرضٌ لسهم الغانيات مقوم

* * *

وقال مطرزا:

هام الفؤاد ببدرٍ فاق إشراقاً بدرَ السماء، وفاق الظبي أحداقاً
أين الرديني من قدَّ يقدُّ به صبري، ويعلق بالأحشاء أعلاقاً
شتان بين لآلي البحر لو نظمت وبين نظم غدا بالشعر برّاقاً
ما كنت أعلم غيري في محبته حتى وجدت جميع الناس عشاقاً

* * *

وقال مطرزا:

حسبي الله من عيوني وقلبي كم غدوا بي في كل واد وشعب
ما استراح الفؤاد إلا تبدى ما يذكّي الشجون من وجه جبّ
زاد قسط الغرام عندي حتى دقّ عقلي، وجلّ في الحب كربي
هي عيني ترتاد هلكي قسراً لامتحاني، فالحب منها وقلبي

* * *

وقال مطرزاً / في ١٣٤١/١١/٧ هـ:

أبهى من الشمس إشراقاً على الزهرِ إذا تبدى محيّا منك يا قمري
حارت بحسبك أفكارٌ وأفئدة حاربتُها بسيف الغنج والحوَرِ
ما تفعل الخمر بالألباب لو عتقت ما يفعل الحب بالمشتاق في نظري
دعني فمن نعتِ حسنٍ منك يا أُملي دَمُ المحبين موقوفٌ على خطرِ

* * *

وقال مطرزاً في ١٣٣٩/٢/١٣ هـ:

عيناك؟ فخاك؟ أم سهماك في كبدي؟ أم السقام الذي تبّري به جسدي
بُغنج جفنيهما شوشت معرفتي كما بسحرهما أضللت لي رشدي
أزدادُ وجُداً إذا ما كنت حاضرنَا كالنقص إن غبت عن صبري وعن جلدي

* * *

وقال مطرزا، وكان ذلك في دار عابدين بري في

١٣٣٨/٤/٧ هـ:

عَهْدُ الصَّبَا وَمَلَاعِبُ الْغَزَلَانِ	أَبَا إِلَيَّ بِحَسَنِهِ الْفَتَّانِ
بَعْدَ زَمَانًا عَنْ مَعَاهِدِ فِتْنَتِي	وَتَقَرُّبًا أُنْسًا بِمَنْ أُبْلَانِي
أَقْلًا وَقَدْ طَلَعَا بِوَجْهِ مَعْدَبِي	كَطُلُوعِ بَدْرِ التَّمِّ فِي الْأَكْوَانِ
سَيَانٍ عِنْدِي وَالصَّبَابَةِ دِيدَنِي	مَوْتِي بِلَحْظٍ أَوْ بِحَدِّ سَنَانِ
رَاضٍ الْهَوَى قَلْبِي وَكُلَّ جَوَارِحِي	فَلذَذْتُ حِينَ ذَلَلْتُ لِلْحَسَنِ
إِنِّي وَإِنْ أَصْدَقْتُ فِي الْبَيْضِ الْهَوَى	مَا زِلْتُ أُعْشِقُ جَنَّةَ السُّمُرَانِ
زَوْجَانِ سَارَا فِي الْبَرِيَةِ كُلِّهَا	مَثَلًا، كَبَيْضِ الْهِنْدِ وَالْمُرَّانِ
قَفْ يَا غَرَامٍ بِأَسْمَرٍ يَخْتَالُ فِي	حُلِّ الْبَهَا سَحْبًا عَلَى الْأَغْصَانِ
يُعْطِيكَ مَا يَرْضِيكَ مِنْ أَوْصَافِهِ	حَسَنًا تُقَرُّ بِهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

* * *

وقال مطرزاً في اسم حمّادي الحوكي في ١٣٢٧/٧/٢٣ هـ:

أدهى سلاحاً بقلب الفارس البطل	حرب النفوس بسيف الأعين النُّجُل
أيدي الربيع كوردٍ صيغ من خجل	ما نزهة العين من ورد تفتّحه
من بينهم قمر ضاقت به سُبلي	إني وإن كنت مغرئاً بالحسان فلي
مفارقاً صبره من شدة الوجل	دعا بناظره قلبي فجأوبه
ويستجيش النهى بالغنج والكحل	يكاد يعلق بالأرواح من رفه
والظبي لفتته، والغصن في المثل	حلو مليح كبدر التّم طلعتّه
سنّ من التبر لم يخطر على أُملي	وزاده رونقاً في عقد مبسمه
فراح يحفظه بالنهل والعَلَل	كأنه خاف من تفريط جوهره
فيه من اللطف لم تُهد الملامه لي	يا عاذلي في هواه لو فطنت لما

* * *

وقال في الغزل:

شوقي عليك مدى الزمان يزيد وفراق من أهوى عليّ شديد
أما الحياة ففي يديك رهينة والوصل إلا من جنابك عيد
جار الزمان على تفرّق شملنا إن الزمان لذي الغرام حسود

* * *

وقال مطرزاً في ١٨/١/١٣٣١ هـ:

أوجهك أم بدرٌ من الحسن يبرق فديتك خبرني فقد كدت أفرق
حكيت أخاك الظبي جيداً ولفتهً وأريبت حتى خلتُ أنك أنزقُ
ملكته بسيف اللحظ كلّ قلوبنا لهذا نراها حين تُذكر تخفق
دريناً بأن السم في العضو كامن سرى فأصاب الجمع منا مرفق
رحيماك يا هذا فإن قلوبنا تأجج ناراً، من صدودك تحرق
ضننت ولم تسعف بردّ تحية فمهلاً أخا التمنيّع لا بد تعشق

* * *

وقال مشجراً في ١٣٣٠/١٠/٢٥ هـ:

الحسن دائي فهل طَبَّ يداويه
لا درّ درّ الهوى لولاه ما هويتُ
سام التصبّر قلبي يوم جدّ به
يا شادنا صيغ من لطف ومن صيّد
دعوت حسنك والأشواق قد لعبتُ
حتى جُفوني بصافي الدرّ مذحكت
مهلاً فكلّ جمالٍ لو غدا مثلاً
زيادة البدر في أيام صبوته
هذي عيونك لو ترنو لصمّ صفا
أبهى جمالاً يرى بالنفس ممتزجاً
سعد السعود غرامي كان طالعه
على محاسنك اللاتي زهون سناً
دعي العذول يداجي في عبارته
أما الغرام فما قامت قوائمه
فكيف أهدم بالسُلوان حصنَ هوى
نعيمُ ذوقِ الهوى في قلب ذائقه
دعا فأسمع داعي العشق زمرته
يا قوم هذا اختياري في محبته

هيهات عمت على المضنى أواسيه
أفكارُ ذي اللب في إحدى مهاويه
جدّ الغرام، ولكن أين يلفيه
وغصنَ بانٍ تهادى في تشّيه
نيرانها ففؤادي فيه ما فيه
مباسمُ الودّ لا تنفك تُذريه
في عصرنا، أنت واليه وراعيه
مكسوة من محيا منك تبديه
لأثرت فيه، قلبي كيف تبقيه؟
ما زاد فيه عيار الظرف والتّيه
في عشق مثلك لا نحسّ يدانيه
سالمتُ دهري ولو زادت مساويه
هو الحسود، وإمساكي يؤاذه
إلا بفكري وأشواقي تساقيه
أفنيّت عُمر شبابي في ترقّيه؟
جحيماً قلب عذولي في تعاميه
وصمّ قومٌ فأخطتهم مراميه
فشاهدوا قدرَ عشقي من معانيه

* * *

وقال مطرزاً في ١٣٣٩/٢/٣ هـ:

أصمى فؤادي بسهمي لحظه ولها ظبي من الغيد أوري مهجتي ولها
لا والذي بهواه اليوم جللني ما حال عن حبه قلبي الشجي، وسها
سلطان حسن أهاب البدر منظره وما المها حين يرنو نحوها بمها
يختال تيهاً ويثني قدّه عجباً فأئي غصن على كل الغصون زها!..
دريّ ثغرٍ ولفظٍ ما اكتفى بهما حتى يرى لهما من أدمعي شها
عجبت منه يرى صاح^(١)، ومرشفه بالصرف عن صفوة الصهباء قد نكها
يضارع الشمس إشراقاً فلو كسفت لما رأيت لها في الكون مشتها
دلائل الحسن في خديه واضحةً فمن يحاكيه حسناً قد سما وبها^(٢)
ما لاح مرآه إلا زادني شغفاً يرى التسلي عن أمثاله سفها
دع زخرف القول وانظره ترى بدعاً تقرّ بالرق أرواح العباد لها
نسيج ديباج شعري في محاسنه تطريزه يستبي من ناظريه نهى
يظل رائيه من إفراط رونقه يقلب الطرف في أردانه ولها

* * *

وقال:

كبتُ ولي حال من الهجر والضنى ييكي ويُسجي كلّ قلب منبه
ولو أنني أسطيع وصفاً وصفته ولكن طلاب المستحيل بحبه

* * *

(١) صاح: الصواب (صاحياً). وبعد هذا البيت: بيت غير مقروء، وهو مبدوء بالباء.

(٢) إذا كانت (من) شرطية، وجب جزم فعل الشرط، واقتران الجواب بالفاء (فقد...).

وقال مشجراً في ١٥/٣/١٣٣٨ هـ:

أَوْذَا غَزِيلٌ قَدْ نَضِرْ أَمْ ذَا بُدِيرٍ قَدْ بَدَر؟
بَالِلُهُ يَا بَدَرَ السَّمَا لَا تَحْكُ هَذَا الْقَمَرِ
وَاللَّهُ لَوْ عَايَنْتَهُ مَا كُنْتَ تَلْمَحُ بِالنَّظَرِ
إِنْ كُنْتَ تَكْبِرُ مَا أَقْوَى لَ، سَلْ حَسَنَ ثَغْرِ كَالْدُرِّ
لَا، بَلْ بِلَحْظٍ صَائِرٍ مِنْهُ الْأَنَامُ عَلَى خَطَرِ
هَلْ عِنْدَ فِيهِ جَنَّةٌ وَرَدِيَّةٌ قَطَرَتْ خَمَرُ
دَعْنِي وَكُلْفَتِكَ الَّتِي تَحْكِي التَّعْمُشَ فِي الْبَصَرِ
الْحُورُ لَوْ عَايَنَهُ قَبْلَ مَوْضِعِ مَا خَطَرِ
رُوحِي فَدَاهِ مِنْ مَلِيحٍ صَادَ الْأَبَابُ الْبَشَرِ
فَاقِ الْحَسَانَ جَمِيعَهُمْ حَتَّى تَسْلُطْنَ وَانْتَصِرِ
إِنْ مَاسَ فَالْأَغْصَانُ سَا جَدَّةٌ عَلَى ذَاكَ الْأَثَرِ
عَيْنَاهُ تَفْتِكُ بِالسَّيَوِ فِ وَخَدَّهِ يَرْمِي شَرِّ
يَا جَمْعَنَا مَا انْفَكَ مِنْ هَ امْرُؤٍ إِلَّا سُحْرِ

* * *

وقال مشطراً بيتين لأمير الشعراء أحمد شوقي، في محرم

١٣٤٠ هـ:

(خَدَعُوها بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءَ) بَيْنَ أَتْرَابِهَا فَسَرَّوْا وَسَاوُوا
إِنْ فِي حِكْمَةِ التَّفَاضُلِ مَعْنَى (وَالْغَوَانِي يَغْرِهْنَ الثَّنَاءَ)

* * *

ثم خمّس التشطير فقال:

جدّ وجدي وبان مني الرياء في فتاة تغار منها ذكاء
إن بلوا بي عندها شعراء (خدعوها بقولهم حسناء
بين أترابها فسرّوا وساؤوا)

تيهوها وغادروا الصبّ مضنى هدموا لي على التواصل مبنى
أي قول به التعطف يُجنّى (إن في حكمة التفاضل معنى
والغواني يغرهن الشاء)

* * *

وشرط التخميس:

(جدّ وجدي وبان مني الرياء) واستوى لي الصباح والإساء
ما لقلبي على العذول دواء (في فتاة تغار منها ذكاء)
(إن بلواي عندها شعراء) شخّصوها بأنها حوراء
فزهت بالجمال، والعُجبُ داء (خدعوها بقولهم حسناء
بين أترابها فسرّوا وساؤوا)

(تيهوها وغادروا الصب مضنى) بعدما كان لّلّقا يتمنى
كم له منطلق لويلي تمنى (هدموا لي على التواصل مبنى)
(أي قول به التعطف يُجنّى) غادروها بصدّها تتجنّى
هو سحر يهيج للكبر فنا (إن في حكمة التفاضل معنى
والغواني يغرهن الشاء)

* * *

وقال:

من ذا يرد على المشوق فؤاده ويعير جفني نومه وشهاده؟
يا ملبسي ثوب الضنى رحماك في صبّ، وساوسه ألفن وساده
شرب الأسى لما تملئ بالهوى وغدا زعاف الصبر قسراً زاده

* * *

وقال ملغزاً:

سمع العواذل ذات يوم من فمي (اللحظ أبلاني بصائب رجسه
قالوا: بمن تهذي؟ فقلت: بمن غدا ولعكس قلبي شوشوه وصحفوا
من بعد ما أخذوا الذي سمعوا ولا وتفكروا زمناً لحل رموزه
قالوا: يطير، فقلت: بعض صفاتكم كم ألغزوا لي في المحافل ما سرى
هم يخدعوني كي أبوح لعجزهم لم يعلموا أني أغار على اسمه

بيتاً أردده لمعنى أكمه^(١) وجوّاي كلّ عن الغرام وزحمه)
منزوعه من قلبكم لم يعمه كي يظفروا فنّاً بظاهر اسمه^(٢)
نظروا إلى تلميحه من رقه أو ما هداهم قسّمه من قسمه
قاربتُم في عكس ظاهر رسمه بيتاً غدا ظرفاً يعدّ لضمه
لا، والذي أجرى النعيم بجسمه حتى ومن لفظي أبيه وأمه

* * *

(١) أكمه: أخفيه.

(٢) إسمه: قطع الهمزة للضرورة الشعرية.

وقال في أسلوب شجرة:

أشد الشرى نفروا	سحر	تبر	خبر
سُقماً على العشاق إن نظروا	سحر	سحر	سحر
سيف له بين أرباب الهوى خطر	سحر	سحر	سحر
مشقة كل البدور إذا يجلى لها بدروا	سحر	سحر	سحر
كغصن البان معتدل ما شأنه في البها	سحر	سحر	سحر
طول ولا قصر	سحر	سحر	سحر

وقال موشحاً:

حاكُمُ الحب إزائي ما عدلُ لو قضى لي لكسا جسمي علل

* * *

إنما العَذْبُ عذابي في الهوى ونعيمُ الوجد إيقادُ الجوى
من تشكى الحب فينا قد غوى هو منا نفسه ظلماً نصل
ليس يدري أنه من لذّ ذل

أيها المُزري بنور الثَّيرينُ والمضاهي الظُّبَيَّ في جيد وعَيْنُ
والمسمَّى في الورى باسم الحسين ما لفكري كلما لحتَ اختبل
وفؤادي كلما غبت اشتعل؟

أعدم الحبُّ اضطباري والقوى وتساوى القربُ عندي والنوى
عزّ دائي أن يُرى فيه دوا ويل هذا الحب، كم مُضْنَى قَتْلُ!
كم سبا قلباً! وكم عقلاً عَقْلُ!

أنا إمّا قد تراني ذا جزعٍ أوقع الفهم الذي ليس يقع
وأري عيني محلات البدع فالهوى قد يلبس الفكر علل
يحمل^(١) الأفهام ما لم يحتمل

فالشجي في شرعة الحب صبي وأخو الفطنة فيه كالغبي
هو يرضى بجمال طيّب عنده أهلاً وسهلاً كالعسل
وبلين القول يعلوه الجدل

* * *

(١) يقصد: يحمل.

وقال مشطراً بعض أبيات^(١) لبعض الشعراء:

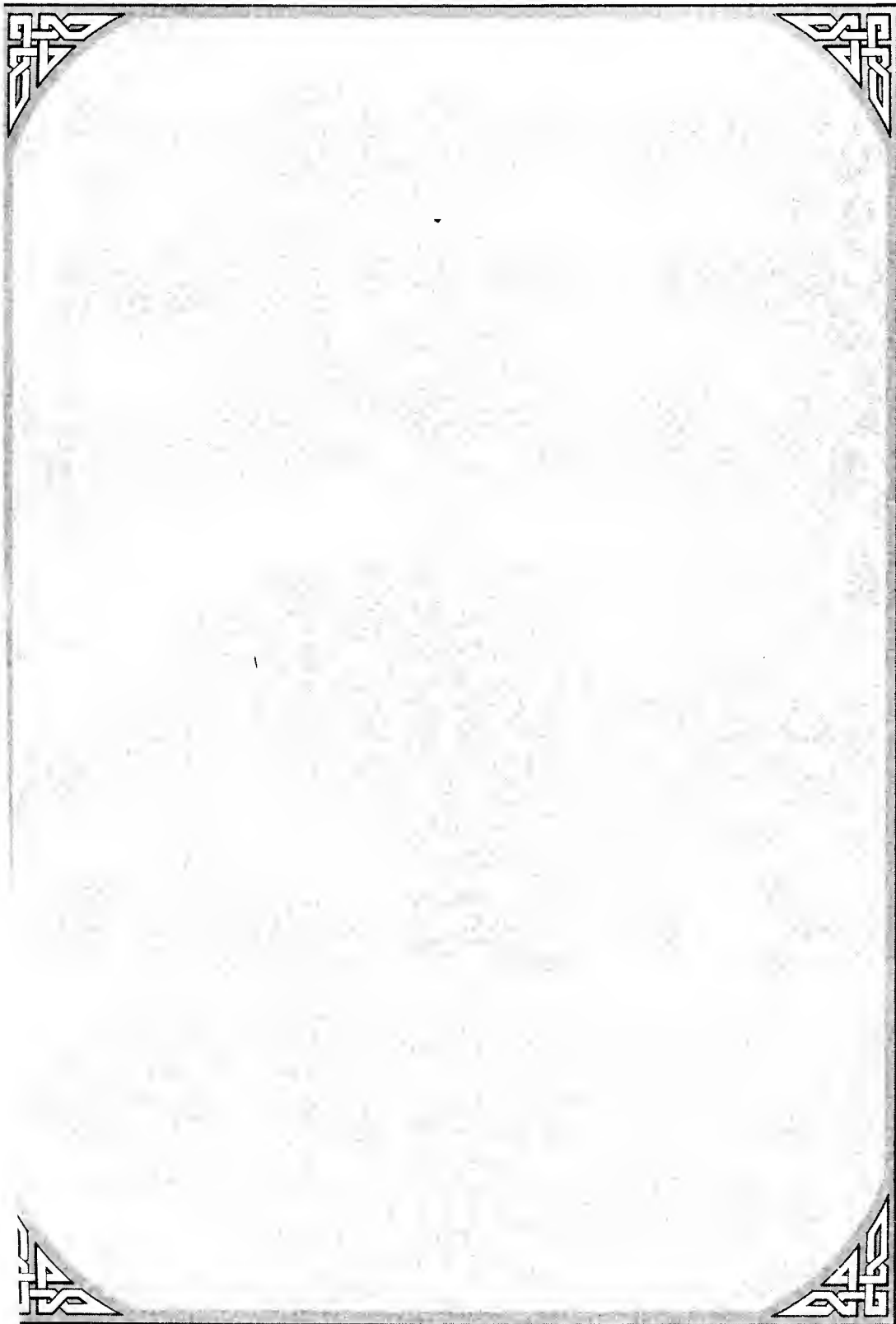
(بات ساجي الطرف والشوق يلح)	يلهب النار وما للدمع شح
بت أشكو جور وجدي والظنى	(والدجى إن يمض جُنج يأت جُنج)
(فكأن الشرق باب الدجى)	محكم الإغلاق عن أن يبدو نُجج
ودراريه جنود عنده	(ما له خوف هجوم الصبح فتح)
(يقدح النجم لعيني شرراً)	ليريني أنه خصم ملح
كم أعاني منه شكلاً مفظعاً	(وليزد الشوق في الأحشاء قدح)
(لا تسل عن حال أرباب الهوى)	لذة في ضمنها للرشد قبح
اقتنع من مخبري عن خبري	(يا ابن ودي ما لهذا الحال شرح)
(لست أشكو حرب جفني والكرى)	لو بدا لي أنه هلك وفضح
سوف أبدي منه قولاً مفصلاً	(إن يكن بيني وبين النوم صلح)
(إنما حلّي المحبين البكا)	حجة فيها لدى العشاق ربح
دمعة تكسب حظاً في الهوى	(أي فضل لسحاب لا يسح)

* * *

(١) الأبيات لابن النحاس، وهو شاعر مدني، عاش في حلب، ثم جاور بالمدينة، وتوفي بها سنة ١٠٥٢ هـ.

المحتويات

٥	١ - أسرة الشاعر
١٥	٢ - هذا الديوان
	٤ - ملامح من الحياة العلمية والثقافية
٢١	في عصر صاحب الديوان
٤١	* ديوان عمر بن إبراهيم البري
٤٣	١ - مقدمة الناسخ
٤٥	٢ - وجدانيات وإخوانيات
٩٧	٣ - تاريخيات
١٣٥	٤ - سعوديات
٢٠٩	٥ - غزليات



صدر للمحقق

- ١ - شعراء من أرض عبقر - جزآن - نادي المدينة المنورة الأدبي .
- ٢ - الرائد في علم الفرائض - الطبعة الرابعة - مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة .
- ٣ - شعر الحرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج - الطبعة الثانية - مؤسسة علوم القرآن - (دمشق - بيروت) .
- ٤ - عارف حكمة : حياته ومآثره - وهو شهيد النعم في ترجمة شيخ الإسلام عارف الحكم - لأبي الثناء الألوسي (تحقيق) الطبعة الأولى - مكتبة دار التراث بالمدينة .
- ٥ - المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية) الطبعة الثانية .
- ٦ - المدينة المنورة في العصر الجاهلي (الحياة الأدبية) - الطبعة الأولى .
- ٧ - المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية الاجتماعية والسياسية والثقافية) الطبعة الأولى .
- ٨ - المدينة في صدر الإسلام (الحياة الأدبية) الطبعة الأولى .
- ٩ - الفصول في سيرة الرسول - للحافظ ابن كثير - الطبعة الرابعة - تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ محيي الدين مستو - دار التراث بالمدينة - دار ابن كثير بدمشق .
- ١٠ - المقاصد السنية في الأحاديث الإلهية - للحافظ علي بن بلبان

المقدسى - الطبعة الأولى - تقديم وتحقيق بالاشتراك مع الأستاذ
محىى الدين مستو.

١١ - أمجاد الرياض (ملحمة شعرىة) الطبعة الأولى - دمشق.

١٢ - غناء الجرح (ديوان شعر) الطبعة الأولى - نادي المدينة المنورة
الأدبى.

١٣ - همسات فى أذن الليل (ديوان شعر) - الطبعة الأولى - نادي المدينة
المنورة الأدبى.

١٤ - ديوان محمد أمين الزللى - تقديم وتحقيق - الطبعة الأولى - دار
التراث بالمدينة.

١٥ - ديوان عمر برى - تقديم وتحقيق - الطبعة الأولى - دار التراث
بالمدينة.

